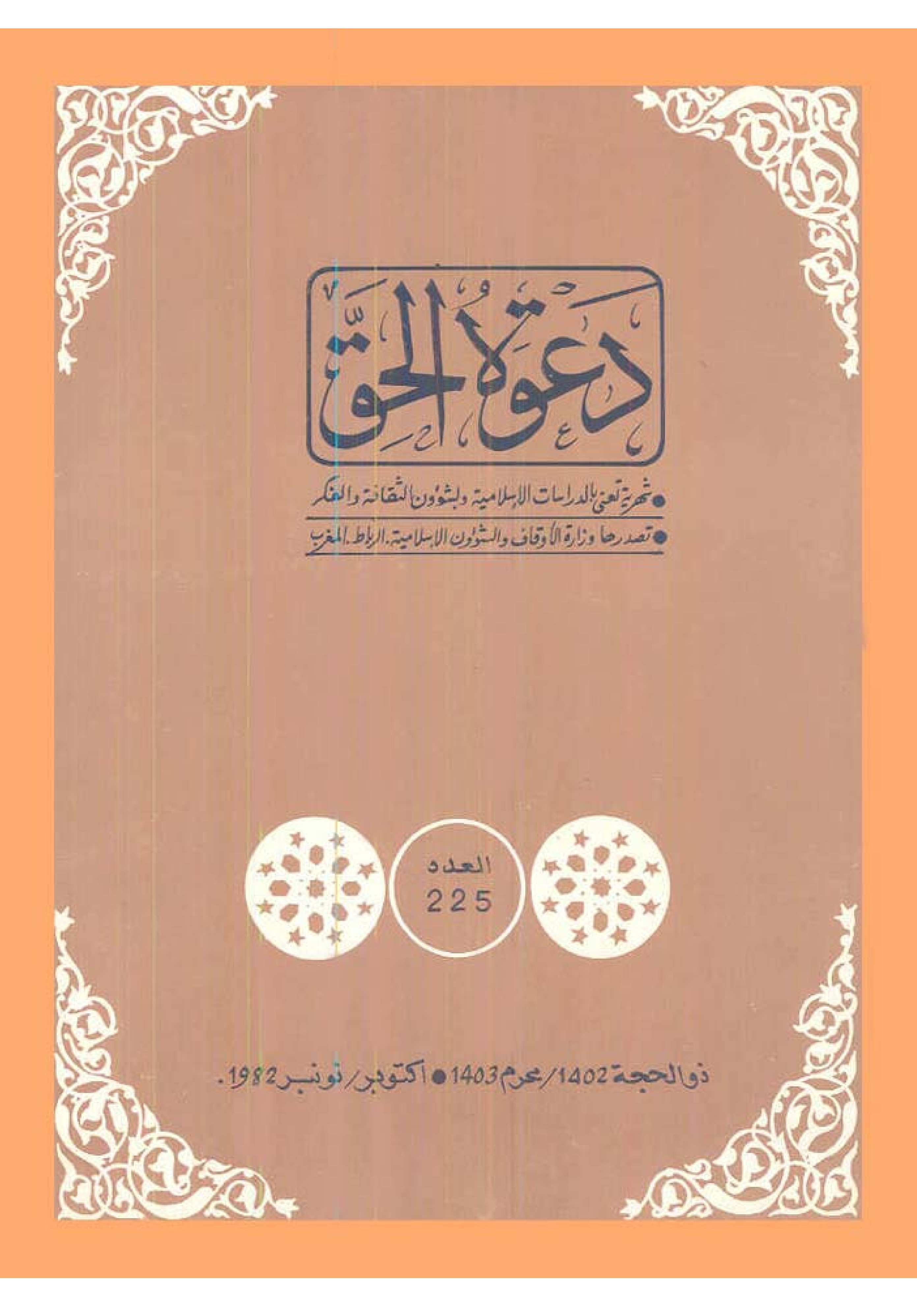

دعوة الحق
شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب
العدد
225
ذو الحجة 1402/محرم 1403 • أكتوبر/ نونبر 1982.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

بمناسبة الأعياد المجيدة للاستقلال

تنظم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المعرض الثاني لمطبوعاتها

من 9 صفر – 26 نونبر إلى 18 صفر 1403 – 5 دجنبر 1982

قاعة الأفراح - شارع الجيش الملكي

بالدار البيضاء

بمناسبة المعرض، وتشجيعاً للطلبة والمثقفين والمهتمين

30%

بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات إلى العنوان التالي :

مجلة « دعــوة الحــق »

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب

الهاتف :

التحرير : 601.85 - التوزيع ، 627.03 -

الإدارة : 627.04 - 608.10

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهما للداخل و 67 درهما للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة : 8 أعداد لايقبل الاشتراك إلا عن سنة كاملة.

• تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعــوة الحــق » رقم الحساب البريدي 485.55 - الرباط.

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه.

• لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

العـدد 225

ذو الحجة 1402 / محرم 1403

أكتوبر / نونبر 1982

هذا العدد

●● من مواد هذا العدد بحثان قيمان عن المقاومة المغربية، الأول للأستاذ أحمد زياد، وهو من الكتاب المغاربة الذين ساهموا بحظ وافر في الجهاد الوطني من أجل الحرية والاستقلال، والثاني للأستاذ محمد حمادي العزيز وهو أيضا من المشاركين في المقاومة المغربية وكان له دور في حركات التحرير ببلدان المغرب العربي.

● وكان من الواجب أن يصدر هذان البحثان في العدد الماضي بمناسبة احتفالات الشعب المغربي بثورة الملك والشعب، لولا أن ظروف الطبع تتحكم في إمكانات التحرير بصورة يتعذر معها، في غالب الأحيان التوفيق بين الطموح المشروع والإمكانات المتاحة.

● ومن أبحاث هذا العدد بحث قيم للأستاذ محمد الخطيب عن جانب مهم من العلاقات المغربية الاسبانية في القرن التاسع عشر. والكاتب الفاضل خير من يعالج هذا الموضوع لما له من اطلاع واسع على خلفيات هذه العلاقات ولما اكتسبه من خبرات عميقة بحكم المراحل الطويلة للنضال من أجل عزة العرش وكرامة المواطنين ووحدة الوطن.

● وفي هذا العدد الحلقة الثالثة من دراسة الدكتور عمر الجيدي (نظرات في تاريخ المذهب المالكي) وهو موضوع حيوي وشديد الخصوبة. والكاتب من الدارسين الشباب الذين تخرجوا من دار الحديث الحسنية وأثبتوا قدرتهم العلمية على الكتابة والتأليف والدراسة الموضوعية الهادفة - والفضل في ذلك، يعود أساسا - وبعد الله سبحانه وتعالى - إلى هذه الدار العتيدة التي أرادها مؤسسها جلالة الملك الحسن الثاني معقلا للفكر الاسلامي فكان له ما أراد. وهذه الدراسة عينة شاهدة على المستوى العلمي الذي وصل إليه بعض خريجي دار الحديث.

●● أما مقالات الأستاذ العلامة الباحث محمد بن تاويت (حول اللغة) فهي مما تعتز المجلة به وتفخر، الشيء الذي يقوم شاهدا على عمق الدراسات اللغوية في المغرب ونبوغ ثلة من العلماء الباحثين الذين امتلكوا أداة البحث النزيه وأوتوا طاقة على الكتابة في مثل هذه الموضوعات الدقيقة التي قل العارفون بها.

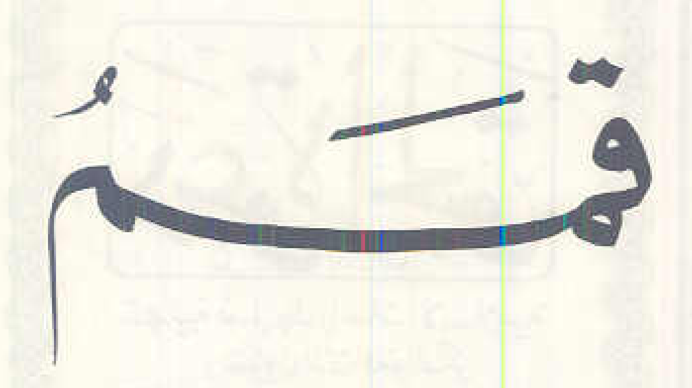
● وفي هذا العدد مقالات ذات قيمة لا تنكر ودراسات من مستوى رفيع تدل في مجملها على التطور الحثيث الذي تشهده الحياة الفكرية والثقافية في هذه البلاد بفضل الفرص المتاحة أمام جمهور المفكرين والكتاب والدارسين.

●● و(دعوة الحق) منبر لجميع هؤلاء بلا استثناء.

رئيس التحرير

الثمن : 5 دراهـم

بسم الله الرحمن الرحيم



●● أصبح للمغرب وزن عربي وإسلامي اكتسبه من مواقفه المشرفة في الساحتين العربية والإسلامية دفاعا عن شرف الأمة وحقها في الحياة الحرة الكريمة. ولقد كان مؤتمر القمة العربي الثاني عشر، الذي احتضنته مدينة فاس، مناسبة لإظهار مكانة المغرب كبلد شاء له قدره أن يتصدى للمهام الصعبة في اللحظات الحرجة نيابة عن الأمة العربية الإسلامية ونهوضا بأعباء الرسالة التاريخية المقدسة التي يتمسك بها شعبه المسلم.

● وإذا تخطينا المجال السياسي والديبلوماسي، ونظرنا إلى هذه المكاسب والانتصارات التي أحرز عليها المغرب من زوايا الفكر والثقافة، ألفينا أنفسنا أمام ظاهرة جديرة بالتسجيل وقمينة بأن تكون منطلق تأمل حضاري واع ورشيد، ذلك أن التوفيق الذي حالف المغرب في جميع مبادراته ومواقفه وأدواره والأشواط التي خاضها من معركة العروبة والإسلام إنما مرجعه إلى الرؤية الفكرية والخلفية الثقافية التي يمتاز بها فكر جلالة الملك الحسن الثاني، فليس شك أن جلالته هو صاحب الفضل - بعد الله سبحانه وتعالى - في إنجاز هذه المؤتمرات واللقاءات والاتصالات والمشاورات التي جرت على أرض المغرب، وجلالته، كذلك، هو العقل المدبر لكثير من التحركات السياسية على المستويين العربي والدولي التي تهدف نحو إحقاق الحق العربي الإسلامي وإزهاق الباطل



الصهيوني الاستعماري. ولا يمكن أن يكون كل هذا النصر الذي تم تحقيقه من قبيل ضربة الحظ أو نتيجة عوامل عفوية، ولكن الحق الذي لا مراء فيه أن وراء ذلك كله عقلا مفكرا واعيا مدركا لطبيعة الأشياء عارفا بمقتضيات العصر مؤمنا بكلمة ربه ورسالة أمته، ونحن نجزم، والعالم العربي الإسلامي كله يجزم معنا، أن عاهل المغرب، بكل ما وهبه الله من خصال القيادة وسجايا البطولة، هو الذي أوحى إلى إخوانه الملوك والأمراء والرؤساء بما وصلوا إليه من نتائج أذهلت الخصوم وأفرحت قلوب المؤمنين، كما نؤكد أن عبقرية جلالة الملك الحسن الثاني، التي أوتيت من التوفيق الحظ الأوفر، قادت الصف العربي إلى هذه السبيل التي لا عوج فيها ولا أمت، بعد سنوات من التيه والضياع والذهول عن الذات والانحراف عن سواء السبيل.

●● وليس من المبالغة في شيء، وقد ولى عهد التهويل والمبالغة والغلو، أن نقول إن الفكر الذي استلهمه جلالة الملك الحسن الثاني، والمنهج الذي اتبعه في جميع خطواته المفضية إلى وحدة الصف والكلمة والخطة، هو بكل تأكيد الفكر الإسلامي العربي، وهو المنهج الإسلامي العربي، وهو الحس المغربي الأصيل الذي يهدي صاحبه إلى الصواب والاستقامة والرشد. وبذلك ترتبط السياسة بالفكر والثقافة، ارتباطا يلزمنا بالإقرار والاعتراف باستحالة الفصل بينهما.

● إن قمة فاس، بكل ملابساتها وظروفها والانتصارات التي أسفرت عنها، تطرح أمام العقل العربي الإسلامي تحديا حضاريا جديدا، يقوم على أساس استلهام معطيات الفكر العربي الإسلامي واستشراف آفاق الثقافة الإنسانية الجديدة، وصولا إلى استغلال جيد وذكي للصيغة المثلى التي انتهت إليها قمة العروبة والإسلام، وليس صحيحا أن المسألة هنا تتعلق بقضية سياسية محضة، أو بالأحرى بوسيلة سياسية لمعالجة قضية شديدة الإلحاح، واعتماد هذا المنطق من شأنه أن يوقع في المحظور، وهو الفصل بين أحد طرفي المعادلة، وهو الأمر الذي ظللنا أسرى له زهاء ثلاث وثلاثين سنة.

●● والخلاصة أن نتائج قمة فاس تلزم المفكرين والأدباء والعلماء والمنظرين والكتاب والدعاة وكل صاحب رأي ينشد به الخير والمحبة والصلاح والتقدم لهذه الأمة.

ونحن، من موقع الإحساس الحاد بالمسؤولية الفكرية، ومن هذا المنبر المتميز، نعلن بكل الثقة والوضوح أن المغرب دخل بعد قمة فاس طورا جديدا يتعين فيه مضاعفة الجهد للنهوض بالمسؤوليات الجديدة التي ألقيت على كاهل أبناء أمته المجيدة، ليس فقط في المجال السياسي، كما تبدو الصورة من جانب واحد، ولكن في ميادين الفكر الإسلامي والثقافة العربية، من أجل ترشيد العقل العربي وتأصيل معطياته.

● وهي قمة أخرى من قمم المغرب، ترسم لنا مهام المراحل القادمة من معركة العروبة والإسلام في العقد الأول من القرن الجديد.

عبد القادر الإدريسي

في ثورة الملك والشعب

للأستاذ أحمد زياد

●● ننشر ضمن مواد هذا العدد المحاضرة القيمة التي ألقاها الأستاذ الكبير السيد أحمد زياد في إطار النشاط الثقافي للمندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير بمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين لثورة الملك والشعب.

وتعتبر المحاضرة وثيقة تاريخية هامة نظرا لشخصية كاتبها الذي يعد من المساهمين في المقاومة المغربية ●●

بسم الله الرحمان الرحيم :

إنه إذا كان إحياء الذكريات الدينية والوطنية تتسم بسمة الواجب والإلتزام فإنها إلى جانب ذلك تنطوي على الأجر والثواب وذلك على اعتبارها حسنة من الحسنات التي تستحق التوبة والرضوان.

ولقد تعلمنا فيما تعلمناه من الدروس أن أجر الحسنة يعظم ويتضاعف بتحسب الزمان والمكان والشخص، فالأعمال الخيرية على اختلاف أنواعها ومشاربها مثلا حينما تمارس في الجمادين فإنها تكون أقل أجرا منها في شعبان ورمضان، ومثلا فإن الصلاة في بيت الله الحرام أو في رحاب قبر الرسول على الصلاة وأزكى السلام فإن أجرها يتضاعف بالنسبة لمن يؤديها في مكان آخر.

وإذا كانت كل حالة من الحالات الثلاث، على حدة، تتضاعف مكاسب أجرها، فإن أجرها يكون أضعافا مضاعفة حينما تجتمع فيها الخصال الثلاث في ظرف واحد الزمان والمكان والشخص ومن باب القياس لا من باب التشبيه فإننا نجتمع اليوم في هذه القاعة وهذه الخصال متوفرة ومجتمعة فالزمان لا تفصله سوى ساعات معدودات عن فاتح رمضان المعظم، وأكرم به من شهر كريم تعد فيه الحسنة بعشر أمثالها، والمكان هو هذا الحي المحمدي الذي سبق لأبنائه وأن ضربوا أروع الأمثلة في التضحية والفداء، وسقط على ساحته عشرات من الشهداء وعاش ملاحم خالدة ينبغي أن يعرفها أبناء هذا الحي ليعتزوا بما حققه آباؤهم وما خلفوه لهم من مفاخر وأمجاد تعتبر ميراثا لا تستطيع مرور الأيام أن ينقص من قيمة رصيدة الهائل الضخم.

ونحن الذين عشنا هذه الملاحم، وفي عين المكان في بعض الأحيان ما نزال نذكر أية فدائية فريدة من نوعها، كان يتميز بها سكان هذا الحي، الذين استطاعت براريك الكاريان سنطرال يومئذ أن تصنع منهم أبطالا يتحدون أقوى قوة استعمارية مختلفة الأجناس والأسماء، وذلك فلناء

للوطن وللملك رمز السيادة والإستقلال. وتعطى لأبنائهم وحفدتهم الحق والمبرر لكي يرفعوا رؤوسهم عالية لما حققه آباؤهم في خضم تلك الملحمات الخالدات. وهذا هو المكان الذي يصادف أحياء هذه الذكرى فيه قنسية الزمان. هذا الحي الذي ما فتيء صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أعز الله أمره يوليه عناية خاصة وذلك وفاء لروح والده المجاهد الملك محمد الخامس رضوان الله عليه مما جعل الإستعمار يطلق عليه سلطان الكريان سنطرال. ومن ثم أفلا ترون معي أيها السادة أن هذا الجمع قد رافقه التوفيق حينما ساعدته الظروف على الجمع فيما بين الخصال الثلاث التي يعظم فيها الأجر والثواب الزمان. بحلول رمضان والمكان. في الحي المحمدي. وشخصية الشهيد محمد الزرقطوني تغمده الله برحمته.

فالحمد لله على هذه الخصال التي جاءت ولكن بميعاد.

أيها السادة :

إن تاريخ المقاومة في المغرب تاريخ فسيح الارجاء متعدد الجوانب غني بالأعلام الأبطال المعلوم منهم والمجهول.

ولذا فإن الإحاطة به تدخل في نطاق الدراسات الموسوعية التي تحتم تعبئة الجهود وتكثيفها من أجل كتابة هذا التاريخ وأن على مراحل وفترات. وتلك أمنية كانت وما تزال تراود جيل الإستقلال الذي عليه أن يدرك ويتعلم كيف أن ثورة الملك والشعب في سنة 1953. وما تضمنته من ملاحم وبطولات وما برز على ساحتها من رجال وأبطال. إنما هي بمثابة الإكليل من الزهور الذي وضع على هامة تاريخ طويل وعريض من الأمجاد والتضحيات والبطولات ومع مختلف الأجناس التي سول لها هواها الإستعماري أن تنتهك حرمة استقلال هذا البلد بداية من معركة وادي المخازن إلى ثورة غشت من سنة 1953 عبورا بتلك المشاهد الرائعة التي تجسمها صفحات تاريخنا المجيد من ذلك الدفاع المستميت عن شواطئنا ومواقع بلدنا ذات الموقع استراتيجي الذي كان بمثابة نعمة في طيها نقمة وفي أعلى قمم أطلسنا الجبار.

ولهذا فإن الحديث عن فترة بعينها أو عن علم من أعلام البطولة والمقاومة بشخصه لا ينبغي اعتباره شوفينية أو ما يشبهها وإنما هو حديث عن نماذج وعينات من تلك الملاحم والبطولات التي هي على حد تعبير أبي الطيب المتنبي. إن شئت مدحتها وإن لم أشأ تملى علي فاكتب.

أيها الســـادة :

هنالك نظرية معروفة في تاريخ الأدب تعرف بنظرية الكاتب الفرنسي (تين) وهي تقوم على أساس أن الإنسان بصفة عامة وليد بيئة. وتبعا لذلك فإن هذا الإنسان حينما يقتحم ميادين الفكر المختلفة ويصبح متوفرا على موهبة من العطاء الفكري فإن هذا العطاء لا بد وأن يتكيف بكيفية البيئة التي نشأ وكبر فيها أما كليا وأما جزئيا. ثم يمكن له فيما بعد أن يتفتح بذهنه على بيئات أخرى ليقتبس منها ما يراه ضروريا ومفيدا لعطائه الفكري.

وهي نظرية كانت الوقائع والأحداث وما تزال تؤكد صوابها ووجاهتها وذلك من خلال سير الأبطال والأعلام في مختلف الميادين وعبر القرون والأجيال.

وانطلاقا من هذه النظرية فإنني أحاول أن أرسم صورة أرجوا أن تكون متكاملة لا بالتجريدي ولا بالسرياني. ولكن بكلمات ومفردات. وأن أصوغ لها كذلك إطارا بنويا إن صح هذا التعبير أضعها فيه وكل ما أرجوه هو أن يحالفني التوفيق في ذلك. وإلا فإنني مجرد مجتهد لي أجران إن أصبيت وواحد إن لم أوفق وأنني لقنوع في الحالتين.

سادتـــي :

ربما يستغرب الكثيرون منكم إن قلت لهم أنني عرفت الشهيد الزرقطوني وهو ما يزال في الكتاب القرآني بزاوية حمادشة بزنقة فاس حي الصباغين بالمدينة القديمة. كان هو يمارس حفظ القرآن في زاوية حمادشة بينما كنت أنا أفعل نفس الشيء بالزاوية التي كان يقيم على شؤونها في ذلك الوقت الفقيه السيد محمد السوسي

الذي كان فيما اذكر يتولى مهمة إمام المسجد بمسجد دار المخزن.

وكنا نلتقي في مناسبات هي وإن كانت قليلة فإنها على كل حال مكنتني من أن أتعرف عليه وأشهد الله وأحمده في ذات الوقت على أنني ما أزال ولحد الساعة على نعمة ذاكرتي التي ما تزال تحتفظ بصورة لطفولته البريئة والتي كان يبدو من خلال ملامحها أنها تعبر عن شيء ما من السذاجة ولا أدري هل كان ترتيب المرحوم الزرقطوني في الكتاب القرآني بزاوية حمادشة ترتيبا مناسبا أم لا. إلا أنني كنت أعلم أن والده كان حريصا على أن يكون حافظا للقرآن. وهي أمنية كان يتقاسمها يومئذ كل الآباء ويتمنونها لأبنائهم حتى ولو كان ذلك بأساليب العنف والأرغام.

ثم غابت عني أخباره فيما بعد حيث سار كل منا في طريق إلى أن جمعنا النشاط الوطني وفي هذه المرة لم التق به في ميدان الدراسة وإنما عثرت عليه وهنا هو التعبير الصحيح تاجر أثواب بقيسارية باب مراكش التي كانت توجد إلى جانب سوق الأثاث المستعمل وكثيرا ما كنت أتردد عليه في دكانه كلما سمحت لي فرصة زيارة القيسارية التي كان يوجد بها دكان صديق آخر هو السيد الغالي برادة.

حتى إذا انتقلت إلى الرباط لم أعد ألتقي به إلا في مناسبات قليلة. ومن غير ما أن أزعم أنني كنت وثيق الصلة به إلا أنني كنت ألاحظ عبر اتصالاتي به التي كانت متقاطعة بداية من عهد طفولته إلى عهد عنفوان شبابه ما كان يميز طبعه من هدوء، ونزوع إلى التحفظ الذي يمكن تفسيره من أول وهلة بأنه انكماش، أو نوع منه وظلت هذه الصفة تلازمه حتى تحول إلى مناضل ثوري. فلم يكن يندفع أو ينفعل أو يحاول أن يظهر صفة الثورية في كلامه ونقاشه.

ولذا فإن العديدين من الذين لم يكونوا يعرفونه نفسانيا ويعرفونه جيدا ربما يكونون قد اندهشوا من بروزه بتلك الصفة الجريئة البليغة في الجرأة والأقدام. والتي دلت فيما دلت عليه وافصحت فيما أفصحت عنه من مكامن شخصية. هذه الطاقة الثورية والذهنية المخططة التي تستطيع استغلال الإمكانيات القليلة. تفجر من بين ثناياها مبادرات مثيرة. وفي غاية ما يمكن أن تصل إلى الإثارة من اندهاش وانبهار.

وهنالك شيء آخر يلفت الأنظار في سيرة المرحوم الزرقطوني وأعني به الحاسة الفطرية التي كانت ترشده إلى دقة التوقيت في كل من نشاطه الوطني بصفة عامة والفدائي بصفة خاصة.

ولئن كنت قد اتصلت به ولو على فترات قليلة من خلال الخلايا الوطنية فإنني لم أتمكن أو على الأصح لم يمكنني الظرف الزمني من أن أقيس مدى تكوينه السياسي. فلما لبس طاقية الإختفاء أو الإخفاء عقب حوادث دجنبر من سنة 1952 بدأت أحس بأن المرحوم كان يتوفر على حاسة سياسية مرهفة هي التي جعلته يوقت مواقفه بنفس الضبط التي ينطبض به توقيت جرينتش.

ولئن كنت أعلم يومئذ أنه اختفى عن الأنظار وأخذ يتحايل على البوليس الإستعماري وأعوانه وبقي كذلك إلى آخر وقت من حياته فإنني لا أزعم أنني اتصلت به في تلك الحقبة من الزمان. إلا أنني وبعد ذهابي إلى تطوان ربطت الإتصال به بواسطة الأخ حسن العرائشي. وقد ازددت اقتناعا من خلال هذا الإتصال الغير المباشر بأنه كان رحمه الله يتجاوب سياسيا مع جميع المعطيات السياسية وتتميز مبادراته بشيء غير قليل من النضج والاتزان وبمعنى أوضح وأدق فإن الشهيد الزرقطوني كان يمثل النموذج المتكامل للمناضل الثوري الملتزم والمنضبط في نفس الوقت. يعرف جيدا متى يتقدم الثوري وكيف ؟ ومتى يقف وكيف إذ بدون هذه الضوابط يصبح الثوري كنوطة نابية في العزف الثوري إن جاز لي هذا التعبير.

ثم أن المرحوم محمد الزرقطوني قد انطلق في نشاطه الوطني والفدائي من نقطتين وعلى مرحلتين وذلك بحكم الوقائع والأحداث التي عايش البعض منها وعايش البعض الآخر في مسلسلها الطويل.

فعلى مسرح هذه المدينة المناضلة شاهد وعايش نشأة وتطور المارد الإستعماري الذي كان قد اختار هذه

المدينة ليجعل منها قاعدته الرئيسية لتركيز دعاماته وتقوية نفوذه عن طريق خلق سلطة اقتصادية يكون في وسع حجمها كيفا وكما الهيمنة على مسيرتها العامة وبالتالي على المسار العام في البلد كله.

لقد عاش وعايش البذور الأولى التي زرعت في المغرب كله وفي هذه المدينة بصفة خاصة باسم الحماية ثم سرعان ما أخذت تلك البذور تنبت نظاما استعماريا مباشرا تجاوز بنود صك الحماية وتسلق على بنودها بغية تعميق جذوره حيث ظهرت طلائع الاستيطان هنا وهناك في جميع أنحاء الحكمة وطبقا لمقاييس تبنى على الزحف نحو كل ناحية يتميز بخصوبة التربة وسلوك أساليب التحايل لغصبها واحلال الدخلاء محل الاصلاء.

وفي خضم عملية المسخ والتحويل هذه أخذت معالم هذه المدينة المناضلة تتغير وتتبدل ويتوسع عمرانها ويترعرع في أنحائها ترف المستوطنين الأجانب على حساب بؤس وخصاصة الوطنين. وسرعان ما أخذت البنايات الشامخة تعلو ويشرئب البعض منها نحو البعض الآخر في شارع محمد الخامس اليوم وشارع فرنسا أمس. وأقيمت معامل التصنيع والمؤسسات التجارية وشيئا فشيئا انقسمت هذه المدينة إلى عالمين اثنين، علم اليسر والرخاء وعالم البؤس والشقاء عالم اليسر داخلها، وعالم العسر الذي أخذ يمتد في أرباضها عبر الكاريبرات على اختلاف مواقعها وأصنائها.

ثم سرعان ما أخذ يظهر على الساحة مجتمعان متبينان كل التباين واحد أصيل يعاني من مظاهر التخلف. وآخر دخيل يظفر في كل يوم بمكاسب جديدة لرفع مستواه وبتوالي السنوات بدأ العشور بخطورة هذا الزحف الإستعماري الذي لم يعد نافعا بما حققه من مكاسب مادية وانما أصبح يطمع ويرمي إلى أكثر من ذلك.

هذا الزحف الذي ارتكز مبدئيا على صك الحماية وبنودها لينقلب ويتحول إلى حكم مباشر استعماري يتسم بشيء غير قليل من الجشع والشراهة هذا الزحف لم يقتصر في تحقيق مراميه على الهيمنة الإقتصادية التي أصبحت هي الأخرى مع مرور السنوات بحكم نموها وضخامة كيانها وتفرع نفوذها قادرة ومالكة لوسائل التوجيه السياسي الذي كان يفرض وجوده دوما على دوائر الإقامة العامة محليا وعلى الحكومة الفرنسية مركزيا.

أقول أن هذا الزحف قرر فيما قرره وخطط فيما خططه التقليص من المقومات الأساسية للشعب المغربي كليا بدينه ولغته وتاريخه حتى تظل القوة المادية في هياكلها الإقتصادي تتوفر على ضمانة تتمكن بها من الإستقرار والإستمرار.

وهكذا فإن الزحف امتدأ وأخذ يمتد إلى هذا الكيان في محاربة دينه ولغته وتاريخه وذلك بالإضافة إلى تقليص شخصيته وسلطته وبالتالي سيادته وعموما بغير نسخ مجتمع بآخر.

في كل شيء وبكل ما يمكن من الوسائل، على أنه إذا كانت للفلسفة الإستعمارية قواعدها ومقاييسها في الوصول إلى مرامي الإستعمار الكلي بعد اجتيازه لمرحلة الإستعمار الجزئي، فإنه ظل دوما ينسى حتميات التاريخ وخصوصا منه العريق دينيا وحضاريا ولغويا.

لقد أحس الشعب المغربي بالشراهة والشراسة اللتين أخذتا تظهر على ملامح هذا الغول الإستعماري الذي تقمص هيئة الحيوان المفترس، فلم يكن بد من التحرك والتجرك سريعا لإفهام هذا الإستعمار الذي قلما كان يريد أن يفهم، أن الشعوب وخصوصا العريقة منها ليست مجرد خربشات طباشير، على سبورة يمكن محوها بأية خرقة وبكل سهولة.

وبالفعل فإن هذا التحرك قد بدأ بواسطة التوعية الوطنية ونشرها عبر أنحاء المملكة لتطارد ذلك الا خطوط الذي أخذ يتفرع ويترعرع والذي وإن كانت معالمه تضل على جميع أنحاء المغرب في حواضره وبواديه فإن هذه المدينة المناضلة كانت تظهره في مرآة صقيلة بهيكله العملاق وعلى صورة غول مفترس مخيف، لا يترك لأهل البلد الأصليين سوى ما يفضل عن ابتزازه واستنزافة وافتراسه.

وكما كان الإستعمار شغالا ماديا في إقامة المعامل والمؤسسات وفي تجسيم الهيمنة الإقتصادية والتحكم في

الأرزاق كوسيلة للتحكم في الرقاب. فإنه كان شغالا كذلك في محاربة ومقاومة الدين واللغة والتاريخ وذلك بواسطة زحف آخر من النوع الفكري الأجنبي الجامد والمتجمد.

فكان ولا بد والحالة هذه من أن ينبعث الوعي الوطني ليناضل ويناهض هذا الغزو وبكل وسيلة ممكنة وهكذا انتصب التعليم الحرفي هذه المدينة وتولى أمر التدريس فيه أطر كان يتكون معظمها داخل الخلايا الوطنية.

فكانت مدرسة النجاح في المدينة الجديدة بدرب السلطان والمدرسة العبدلاوية ومدرسة درب الهجاجمة بالمدينة القديمة بهذا الموكب مدرسة المعلم بوشعيب ثم مدرسة عبد الكريم لحلو فالمدرسة المحمدية مثلما كان الشأن في أغلبية المدن المغربية التي تأسست بها مدارس حرة من أكادير حتى وجدة. حيث كان هذا التعليم الحر وجنوده وضباطه وضباط الصف فيه يبلون البلاء الحسن في تثبيت وتركيز الشخصية الوطنية بكل معالم سيادتها القومية وسيمات كيانها الديني واللغوي.

وتنبه الإستعمار من جهته إلى خطورة هذا الهجوم المضاد وعواقبه فلم يستسلم وراح يخترع من الأساليب والحيل ما حاول أن يعد به الزحف المضاد وشنكل الصراع في هذا الميدان واجهة من الواجهات التي هب فيه الشعب المغربي بكافة أفراده ليدافع عن كيانه وشخصيته وهويته وسيادته.

وفي الوقت الذي كان فيه المعلمون والأساتذة يقومون بأعمالهم البطولية في هذا الباب اضطلع العمال في معامل هذه المدينة بقسطهم وحظهم في فرض الوجود الوطني داخل المعامل والمؤسسات في معمل السكر وفي الميناء.

وفي غيرهما من المعامل التي كان ينصب في كل واحد منها قرقوشا تناط إليه مهمة اضطهاد الطبقة العاملة وتأديبها بين مزدوجتين فكان مثلا شينبو بمعمل السكر وكاريير سنطرال. حيث مشاكل العمال. وكان «لورواء» بمعمل الأسمنت. وما جاوره في مؤسسة ممارتيني وروسي.

وتألفت من كل ذلك واجهة أخرى في ساحة النضال والكفاح بهذه المدينة.

ولم تتخلف الرياضة عن المساهمة في هذا الزحف المضاد فاقتحمت فرقة الوداد الساحة الرياضية بفريقها الذي فرض عليه في أول الأمر أن يكون مخضرما بلاعبين أجانب، ثم أنشئت فرق حرة في مختلف الأحياء وتأسست العصبة الحرة التي سرعان ماشملت أنحاء المغرب وتولت الحركة الوطنية وروادها الأوائل على الصعيدين المحلي والمركزي مهمة التوجيه والإرشاد في مختلف الواجهات وكانت الصحف الوطنية تبرز كلما سمح لها بذلك ما يتوفر عليه هذا الشعب من طاقة وقدرة وبلاء حسن في الدفاع عن كيانه وهويته. وعلى مستوى القمة كان الملك المجاهد محمد الخامس وولي عهده يومئذ جلالة الملك الحسن الثاني يمارسان مهمة شاقة وفي غاية ما يمكن أن تصل إليه مشقة الكفاح فعاش رحمه الله دوما في صراع صامت أحيانا وصاخب في بعض الأحايين في سبيل الإبقاء على السيادة المغربية التي كان يعتبرها أمانة شعبه الذي كان يبادله وفاء بوفاء.

وتتوالى الأيام ومع اتساع المرافق الإقتصادية في هذه المدينة وما طرأ على بنيتها الإجتماعية من تغيير في ارتفاع عدد سكانها وتنوع مساقط رؤسهم فإنها أخذت تشكل بذلك قاعدة شعبية فسيحة الأرجاء تنتمي إلى مختلف جهات المغرب، وأصبح وعيها الشعبي ورصيدها النضالي وقناعة جماهيرها بالسلبيات البشعة التي كان الوجه الإستعماري في هذه المدينة يبرزها في أجلى مظهر من مدير معمل السكر في المدينة إلى امبراطور الضيعة في قبيلة زناتة إلى ساعي البريد الأوربي الذي كان يرى وهو بصدد توزيع شؤون البريد يتأبط محفظة أنيقة تحتوي على الرسائل بينما يلاحظ وراءه مواطن مغربي وهو يحمل كيسا على ظهره يضم الطرود والأشياء الثقيلة ويلهث وراء ذلك الساعي ليرمي إليه إليه نهاية المطاف فرنكات معدودات. تلك هي الصورة التي كونت أجزاءها الواقع والأحداث المتتالية في المغرب وفي هذه المدينة بصفة خاصة.

وتلك هي الصورة التي عاشها وعايشها الشهيد محمد الزرقطوني بل ونشأ في داخلها وتلقى من ممارسة النشاط الوطني في مختلف الخلايا التي تدرج فيها دروسا واكتسب تجاريب أعدته لأن يصبح قادرا على التقييم والإستنتاج. انه شاهد وعايش ضروبا من كفاح هذه المدينة واسهم في البعض منه في إطار نشاطه الوطني، وتوفر له من الإمكانيات الفكرية ما أصبح به قادرا على تكوين القناعة التي تفضي به إلى اتخاد القرار وتحديد الموقف. ولقد قدر لي أن ألتقي به مرة وهو في مرحلة الإختفاء بعد حوادث دجنبر من سنة 1952 وكنت في هذه الفترة أتردد يوميا على هذه المدينة بعد أن أتى منجل حصاد القمح على أغلبية الأطر الوطنية ومن مختلف المستويات والمسؤوليات وفي حواره معي في هذا اللقاء أنه كان متأثر من الحوادث الدامية التي وقعت في السنوات الأخيرة وخصوصا منها ما وقع في الكاريير سنطرال، ولوح دون أن يصرح بأن الإستعمار الفرنسي منذ سنة 1950 أصبح يعتمد خطة «بنا - أبوة» وبالرغم عن الكفاح المرير الذي اضطلعت به الحركة الوطنية والجماهير المغربية، وبالرغم عن الصمود المثالي الذي ما فتىء الملك المجاهد محمد الخامس رضوان الله عليه يتحلى به، وبالرغم عن النجاح المحظوظ الذي استطاع النضال الوطني أن يحرز عنه ولو نسبيا في الميدان الدولي حيث أصبحت القضية المغربية مطروحة بشكل جلي بالرغم عن ذلك كله فإن الإستعمار وكما يبدو ذلك من خلال الحوادث والمواقف الأخيرة، قد كان مصمما على السير بأطروحته حتى النهاية وتلك حالة جديدة تفرض بطبيعتها سلوك نهج جديد واستخدام وسائل جديدة واسجل هنا وبكل موضوعية أنه لم يفاتحني في هذا اللقاء بخططه وإنما اكتفى بالإشارات العابرة التي وإن تسنى بحكم حاسة الصحافي ان أشم فيها شيئا ما إلا أنني لم أكن أعرف ما هو هذا الشيء بالتفصيل إلى أن أطلعني المرحوم ابراهيم الروداني وأنا يومئذ مختف في منزل الأخ العزيز المناضل الهاشمي الذي يعرف جميع المناضلين مواقفه وصموده واريحيته وتضحياته.

وكنت يومئذ على وشك الرحيل إلى «المنطقة الشمالية». يومذاك، اطلعني على الإتجاه الجديد في أسلوب الكفاح مشيرا بصفة إجمالية على أنه ربما تكون ساعة الكفاح المسلح قد نقت على أنني وفي خلال اتصالاتي العديدة التي أجريتها مع العديد من بقية المناضلين منذ حوادث دجنبر 1952 كان هذا الموضوع يثار ويثار بشيء غير قليل من الحدة وكان لبعض الأفراد والجماعات آراؤهم فيه وما هي نوع المبادرات التي يمكن القيام بها.

ولئن كانت هنالك اتجاهات ومبادىء لمشاريع فإن الحقيقة الثابتة هي أن الإستعمار الفرنسي هو الذي كانت له المبادرة في توقيت الشروع في هذا الكفاح وذلك في اليوم والساعة اللذين أقدما فيها على القيام بفعلته يوم 20 غشت من سنة 1953 لتقع الواقعة التي لم تنته ملاحمها إلا بعودة جلالة الملك محمد الخامس رمز السيادة والإستقلال.

والواقع أنه منذ سنة 1950 وفكرة الكفاح المسلح تراود العديد من المناضلين وذلك بعدما أظهرت وقائع الماضي وأحداثه وعلى طول مسافة أزيد من ثلاثين سنة وآفاق المستقبل أن الكفاح السياسي لم يجد له من التجاوب لدى الطرف الآخر ما يناسبه أو يقبل معه اللجوء إلى الحكم السياسي بروح رياضية.

ولا بد هنا من الإشارة إلى خصائل ذلك النفس الطويل والنضج المثالي الأصيل، وإلا تزان المحكمة الرصين، والتكوين السياسي بمعناه العصري وهي الخصائل التي برزت بها القيادة الوطنية في هذا البلد وفي طليعتها الملك الراحل محمد الخامس رضوان الله عليه. خلال تلك المدة الأمر الذي كان من نتائجه الإيجابية أن المجتمع الدولي وبالرغم عن تضارب مصالحه واختفاء حقوق الشعوب المستضعفة في تيار صراعاته من أجل اكتشاف النفوذ أو توسيع ساحته، بالرغم عن ذلك فإن الأسلوب الذي اختاره الكفاح السياسي كان يتسم بالموضوعية والرشد السياسي الذي ربما كان بروزه شيئا بدعا في البلدان التي كانت ما تزال تعاني من قيود الإستعمار.

أيها الســادة :

في مطلع الخمسينات أخذت بوادر الأزمة في المغرب تأخذ أبعادها التي كانت عناصر الخطورة تطبعها على تعاقب الأيام.

ومما لا شك فيه أن زيارة صاحب الجلالة الملك المجاهد محمد الخامس إلى مدينة طنجة سنة 1947 قد جعلت المواجهة فيها بين الإستعمار والعرش والقوى الوطنية تصل إلى قمتها في التحدي المتبادل وأن المؤرخ حينما يقوم بعملية مسح وجرد للوقائع والأحداث ويرسم لها المواقع في خريطة المغرب السياسية، حينذاك أي بعد شهر أبريل من سنة 1947 سيضع يده على مكامن التوتر وبؤر الصراع وهو كلما تتبع مسيرة تلك الأحداث إلا ويدرك أو يزداد إدراكا، لما كان يبدو من خلال نوعية ذلك الصراع من أنه صراع لابد وأن يفضي في آخر المطاف إلى ما يشبه الهدف الحاسم في المبارات النهائية في الميدان الرياضي. فمن استفزاز متوالي وحرب للأعصاب تتخذ أحيانا شكلا بذيئا من السفالة والبذالة لجلالة الملك محمد الخامس رحمه الله. ومن استفزازات متوالية للحركة الوطنية في مختلف الأشكال إلى أحياء الأساليب الأولى التي كان الإستعمار الفرنسي قد انتهجها قبل فرض الحماية كتحريض بعض القواد على التمرد ضد السلطة الشرعية في البلاد، فإلى محاولة للدرس والتفرقة فيها بين جلالة الملك محمد الخامس والحركة الوطنية، وحزب الإستقلال بالذات التي كان يومئذ عدوا لدودا للإستعمار.

وعلى طول مسافة خمس سنوات من هذه المواجهة وما اتسمت به من محن وأهوال يشيب لها الولدان، كما يقال.

أخذت معطيات جديدة تطفو على الساحة السياسية كان لها ولا بد من أن تكيف تفكير المناضلين وعلى مختلف المستويات وتضع سلسلة من الأسئلة عن آفاق المستقبل الذي لم تكن تلك المعطيات تبعث على التفاؤل فيما يجد فيه من مواقف وأحداث، وانبثق من خلالها حوار مكثف ومعمق فيما بين المناضلين ثم توالت الأحداث وبشيء غير قليل من السرعة لتثبت وتؤكد في خلال سنتي 1950 ـ 1952 أن المستقبل القريب وربما القريب جدا ستكون أيامه أياما حاسمة ومصيرية بالنسبة للشعب المغربي ولا كبلد مستعمر أو محمي، ولكن بالنسبة له ككيان وسيادة وهوية وذاتية. ويبدو أن المرحوم السيد محمد الزرقطوني كان من أولئك الأوائل الذين أدركوا واستنتجوا، وبكل ترجيح وتأكيد أن نوعية الصراع وماهية الكفاح أصبحت تتطلب التفكير الذي يناسب حجم تلك الأحداث التي كانت متوالية. وكل واحد منها تحمل في ثناياها ومضمونها مواقف من التحدي النهائي لاستعمار قرر أن يخوض معركة الحياة أو الموت بالنسبة لهيمنته وجشعه الذي لا ينفع ولا يشبع. والذي ألف أن يستمرىء العيش الرغيد على حساب ثروات الشعوب المستضعفة وعلى وسيادتها تبعا لذلك.

وأن مستقبلا كهذا لا بد وأن يحمل المناضلين على التفكير والتخطيط كما يلزم من مواجهة لكل الطواريء التي كانت متوقعة والتي كانت علاماتها تبدو في الأفق ثم ظهرت كفلق الفجر في اليوم العشرين من شهر غشت 1953 ولا شك أن الشهيد السيد محمد الزرقطوني حينما اتخذ قراره بتجمد نشاطه السياسي ثم حينما اختفى عن الأنظار كان قد اتخذ لنفسه خطة ومنهجا يسير عليهما ولم يطلع سوى اخلص الخلاص من رفاقه على ما قر عليه عزمه.

ثم جاءت الوقائع والأحداث لتبين ما كان يتمتع به رحمه الله من وطنية صوفية ومقدرة فائقة على التخطيط والإعداد مع مهارة قصوى في التحفظ والاحتراز طبقا لما كانت يقتضيه ذلك الظرف العصيب.

ويحسن بي أن أشير في هذا الصدد أن الموهبة هذه أي موهبة التخطيط والإحتراز قد برزت في مواقف شتى وفي صور مختلفة لتؤكد ما تتميز به عقلية الإنسان المغربي من انفتاح وقدرة تلقائية على الإبتكار، ويتجلى ذلك فيما كان يوضع من تصاميم هي وإن كانت تتسم بالبساطة فإن الأدوار التي كانت تضطلع به في ميدان المقاومة والنتائج الإيجابية التي كانت تسفر عنها كان من شأنها أن تحمل ملاحظين على ابداء إعجابهم بهذه المقدرة

في الخلق والإبتكار، بينما تحمل آخرين على الإندهاش وتضعهم في حالات من الذهول والإستغراب.

ولقد كان المرحوم الزرقطوني في طليعة المبتكرين لمختلف الوسائل التي مكنت المقاومة وخصوصا في بداية عهدها من التغلب على الصعوبات والعراقيل وقلة الإمكانيات، حيث كانت عينها بصيرة ويده قصيرة، ومع ذلك فإن الفكر الثاقب الذي ظهر به الرواد الأوائل في هذا الميدان استطاع التغلب يومئذ على سد ذلك الفراغ.

ويذكر تاريخ المقاومة وبكل تقدير وإكبار بطولة ذلك الجندي المجهول الذي قام في اليوم الموالي لترحيل جلالة الملك محمد الخامس أي اليوم الحادي والعشرين من شهر غشت بإشعال الفتيلة الأولى للمقاومة وتحويل خزانات البنزين في مركز عكاشة إلى مشعل للحرية والإستقلال سارت على طوله فيما بعد مواكب المقاومة، وافترضت وسائل الاعلام الإستعماري يومئذ أن ذلك الجندي المجهول كان ينتمي إلى الحي المحمدي هذا الحي الذي تعود أن تصاغ فيه ضروب البطولات والتضحيات وأروع صور للفداء والإستشهاد.

وإذا لم يقدر لي أن أعيش بصفة مباشرة في الأيام الأولى للمقاومة فإنني عشتها بصفة غير مباشرة عن طريق مقاومين أصدقاء، يوجد من بينهم من كان على أوثق الصلات بالمرحوم الزرقطوني. وأستطيع أن أؤكد بناء على ذلك أنه رحمه الله كان رائد في سلوكه النضالي وكان متفانيا في العمل الشريف الذي كان يمارسه لتحرير بلده في تلك المعركة التي كانت مصيرية في كل شيء في الكيان واللغة والدين وفي السيادة وفي الإستمرارية التاريخية لهذا الشعب الذي مهما قيل في حقه سلبيا وإيجابيا فإنه كان على مر القرون وتعاقب الأجيال لا يهادن ولا يتأخر ولا يتردد كلما أصبح الأمر يتعلق بكيانه واستقلاله وسيادته بداية من معركة وادي المخازن إلى آخر ملحمة في عهد المقاومة والتحرير.

كما أن هذا السلوك النضالي والمثالي في سيرة الشهيد الزرقطوني كان له تأثيره الواضح في أطر المقاومة على اختلاف مستوياتها ومواقعها في المسؤولية، وهي أطر كانت تجمعها روابط عميقة في حب وطنها والدفاع عنه في رمز سيادته واستقلاله وسبق لها أن تعلمت وتكونت داخل الخلايا الوطنية حيث اكتسبت المواد الخام التي يتطلبها نمو الكفاح الوطني لتستطيع فيما بعد أن تحولها إلى طاقة غنية بالبيروتنات النضالية إن جاز هذا التعبير.

وهكذا فإن الشهيد محمد الزرقطوني ورفاقه الأوائل في حركة المقاومة سرعان ما أخذوا يكتبون صفحات جديدة في تاريخ الكفاح الوطني بأساليب أخرى وذلك بعد ما توصلوا بقناعتهم أن تلك الاساليب أصبحت تحتمها الظروف والمعطيات، وأصبح ذلك التحدي الإستعماري الوقح يميلها بعد أن امتدت يده الاثيمة إلى رمز السيادة الوطنية لتطيح به وعائلته في أقاصي المحيط الهندي.

وبالرغم عن قلة الإمكانيات بل وضحالتها فإن تلك الفئة القليلة من المقاومين الأوائل الذين كان الزرقطوني دماغهم المفكر والمخطط تمكنت خلال أيام معدودات من أن تجعل تلك العملية الحسابية التي كان الإستعمار قد بني عليها موافقة عملية مقعورة وخاسرة، فتحقق بذلك مرة أخرى مضمون الآية الكريمة «**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين**».

ولست هنا بصدد استعراض المشاريع التي خططها المرحوم ورفاقه، ولا تحديد نوعيتها فتلك مهمة المؤرخ، وإنما بالإشارة إلى أن تلك المشاريع التي انصبت في قوالب لعمليات فدائية سرعان ما فجرها وفي شجاعة وإقدام يدعوان إلى الإعجاب حينا وإلى الاستغراب والاندهاش في أحاديث أخرى أبطال كانوا كلهم يقتبسون من روح آل ياسر في أول عهد الرسالة النبوية فما هانوا وما استهانوا حتى تمكنوا من إلحاق الهزيمة باستعمار مضى عليه حين من الدهر وهو يطاول ويصاول بظغمة امبراطوريته في البحار وفيما وراء البحار. ولئن كانت الإدارة الاستعمارية قد استطاعت أن تلقي القبض على الشهيد الزرقطوني فإن ذلك لم يكن من نقطة ضعف في برامجه مخططاته ودقة احترازه وتحفظه وإنما أتى من نقطة ضعف أخرى خارجة عن مخططه، ولذا عمد رحمه الله إلى قطع الطريق مرة أخرى على تلك الإدارة، التي كانت ترى في تطويق

الشبكة عليه صيدا ثمينا من شأنه أن يفتح لها آفاق جديدة فتغذى بها رحمه الله قبل أن تتمكن من أن تتعشى به فكان رحمه الله هو والحسن الصغير في هذا الباب رمزين في ضروب التضحية وصور الفداء. جزاهما الله خيرا مع بقية الشهداء عما حققوه لهذا البلد من مكاسب وطنية دفعوا دمائهم وحاربوا بأرواحهم وبسخاء مثالي ثمنا لها.

وهنالك صفة أخرى أو خصلة أخرى من خصال هذا المجاهد وهي أنه كان يخفي في ثنايا تكوينه ومنذ نشأته حتى لحظات استشهاده ما يمكن أن نطلق عليه وصف «الثائر الصامت» وهي صفة تميزه عن «الثائر الصاخب» الذي يمكن أن تعرضه صفة «الصخب» هذه إلى انفعالات ربما أدت إلى التقليل من عنصر الرصانة والرزانة في تصرفاته ومواقفه ثم في قراراته فينزلق نحو ارتكاب الأخطاء التي تكون ناتجة عن مجرد الاندفاع الذي لا يمكن تفسيره في قاموس السلوك النضالي إلا بمدلول التهور. لقد كانت نضالية الشهيد محمد الزرقطوني ثورية من حيث المبدأ إلا أنها كانت إلى جانب ذلك وبالإضافة إلى ذلك، رصينة ورزينة تخمن ألف تخمينة قبل أن تضرب بالمقص وذلك بعدما ان تكون قد أتقنت وأجادت التفصيل بنفس مقاييس الخياط.

ولذلك فإنني أستطيع القول أن جميع المشاريع والمبادرات ذات الطابع الفدائي التي وضعها وخطط لها الشهيد الزرقطوني إلا وقع إنجازها بما يلزم وتقتضيه طبيعتها ونوعيتها وخطورتها كذلك من دقة في الأعداد وانضباط في التنفيذ.

وفي المرحلة الأولى التي انطلقت فيها الشرارة الأولى للمقاومة كانت الإدارة الاستعمارية ما تزال تعتقد أنها مجرد «خرافات» حتى إذا توالت الوقائع وتعاقبت الملاحم ووقفت جماهير الشعب في حي السويس بالأمس وشارع الفداء اليوم تتحدى المدافع الرشاشة بصدور رحبة لأبناء هذا الشعب البررة فداء لوطنهم وملكهم. تسقط ما بأيديهم و «تبرقت» استنتاجات المحللين والخبراء من فقهاء السياسة الأهلية وعلى رأسهم حبرهم الأكبر بونيفاس وما جاوره من الأحبار وقيادة الأركان.

وفي قلب تلك الملحمة الرائعة باحداثها وصورها التي كانت تتوالى في شريط يومي عبر أنحاء المملكة وتكبر أحجامها في هذه المدينة عاش الفقيد وأعطى من إيمانه وجهده وموهبته وزرع البذور الأولى هو ورفقاؤه في أرضية الكفاح المسلح لتنشأ وتنمو وتؤتي أكلها حينما توجت البطولات والتضحيات بالوسام الرفيع. وسام الحرية والسيادة والاستقلال.

أيها السادة :

هذه هي صورة الفقيد الشهيد محمد الزرقطوني. وتلك هي صورة هذه المدينة التي نشأ وكبر في أزقتها وبين دورها وخاض معركة الكفاح والتحرير على أرضها.

ولا أزعم أنني كنت ملما بجوانب الصورتين كما أنني لا أزعم أنني أبرزت كل ما تحتوي عليه كل واحدة منهما من روعة ودقة في التصوير. بيد أنني أرجو أن أكون قد وقفت بنسبة مقبولة في رسم ظلالهما ومعالمهما.

والذي ينبغي بعدئد أيها السادة - هو التأمل في معالم الصورتين وما توخى به كل منهما من قيمة لذلك الرصيد النضالي في إطاره العام. وهو رصيد إذا كان يتصل أمره بالماضي القريب أو البعيد فإن المحافظة عليه والوفاء لحرمته وقدسيته يتطلبنان دعمه وتعزيزه ببناء الحاضر بناء يكون في مستوى هذا الرصيد الضخم الثمين. وفي مستوى ما بذله شهداؤنا الأبرار في سبيل هذا الحاضر وتلك أمانة ثقيلة من حيث العبء، وخطيرة من حيث المسؤولية.

ولهذا فإن مثل هذه المناسبة وكل ما يتدرج تحت بند الذكريات الوطنية يجب ألا تتخذ مجرد إحياء الذكرى والتنافس في تمجيدها بالخطب والمحاضرات. بل يجب أن يكون لمثل هذه المناسبة مدلول كثر بعدا وأنفذ عمقا. وأعني به مدلول الوقوف طويلا أمام هذه الذكريات والقيام بعملية تقييم موضوعي لتضحيات الماضي وما خلقته من رصيد معنوي ثمين في صندوق مستودعات تاريخنا القومي بصفة عامة وتاريخنا الوطني بصفة خاصة. وما هي قيمتها في أسواق حاضرنا وهل أن ما تميزت به من قيم مضمونة

أعطتها قوة هائلة من الدفع في مختلف مراحل كفاحنا الوطني، وهل أن ذلك ما يزال له قبس يهتدى به في مسيرة المغرب المستقل ؟

ذلك هو السؤال الذي ينبغي وضعه كلما حلت مناسبة من مثل هذه المناسبة.

لقد تغيرت معالم هذه المدينة كثيرا عما كانت عليه منذ خمس وعشرين سنة خلت تغيير كل شيء فيها منذ ذلك الحين توسعت عمرانيا وتوسعت أكثر من ذلك ديموغرافيا وسكنيا وتوسعت بسمتها البارزة اقتصاديا.

ولئن كانت المادية في عالم اليوم تهيمن على كافة مرافق هذه الدنيا في شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، فإن المادية ليست هي كل شيء في هذه الحياة ولا ينبغي أن تكون هي كل شيء في هذه الحياة، خصوصا وأن هيمنتها وطغيانها في البلدان المصنفة في خانة التطور والتقدم قد أصبحت تنطبع في بعض الأحيان وفي بعض الصور بطابع الجمود الذي كاد أن يحول الإنسان إلى مجرد آلة عديمة المشاعر فاقدة الأحاسيس ينشد فيها هذا الإنسان لحظات من الطمأنينة النفسية فلا يجدها إلا عندما يتناول المسكنات والمهدئات الكيماوية، وما من شك في أن مرد هذه الحالة يعود أولا بالذات إلى افتقاد الرصيد المعنوي الذي يكونه ويؤلف جوانبه تراث الشعوب العريقة ومقوماتها الروحية، التي ما تزال تعطى للمبادىء والقيم ما يناسبها من التقدير والاحترام.

ومن ثم فإنه إذا كانت هذه المدينة وغيرها من المدن والقرى قد أصبحت تتفيأ ظلال نعمة الحرية والاستقلال بفضل كفاح بطولي مسلسل الحلقات فإن مثل هذه المناسبة وغيرها من المناسبات الوطنية ينبغي أن تفيء بها إلى أن تسعى وتجد في السعي من أجل الابقاء على التوازن فيما بين المظهرين المادي والمعنوي، وأن تستوحي من توارد هذه الذكريات معانيها التي ما تزال عميقة في احداثها ووقائعها ومتوفرة على الطاقة المعنوية التي من شأنها أن تزيد في دفع مسيرة بناء الاستقلال. وكلما كانت الصلات

ـ أيها السادة ـ موصولة وباستمرار فيما بين ماضينا الغني الثري برصيده المعنوي كلما أمكن كسب مراحل هذا الجهاد الأكبر التي ما تزال كل البلدان التي تخلصت حديثا من هيمنة الاستعمار تخوض معاركه الصعبة في ساحات التخلف وعلى اختلال المواقع والأسماء والنعوث.

ان ما بذله شهداء الحرية والاستقلال من أجل الحرية والعزة والكرامة هو بمثابة دين يطوق ذمة كل مواطن ولابد من ادائه على الوجه الأكمل وبما يناسب تلك البطولات والتضحيات التي لم يتردد شهداء الاستقلال من أمثال الشهيد محمد الزرقطوني في بذلها وبسخاء.

وقديما قيل :

إن الفتى من يقول ها أنــــذا

ليس الفتى من يقول كان أبــــي

فماضي الشعوب في مختلف مظاهره وأشكاله ومهما كانت تلك المظاهر والأشكال من حيث الثراء والروعة والكمال، فإن مسيرة الحاضر هي التي يستطيع التاريخ أن يعطي بمقتضاها شهادته بحسن سيرة الخلف طبقا لأمجاد السلف.

وتلك حقيقة يجب أن تستقر في الأذهان وأن نجعل منها شعارا في سلوكنا بالغدو والاصال.

وان المغرب ـ كما تعلمون ـ ليتعبر من البلدان القلائل التي دفع أبناؤها الثمن غاليا في سبيل حرية هذا البلد واستقلاله.

ولقد خاض هذا الشعب الأبي المعركة المريرة، من أجل انتزاع حريته واستقلاله، بعزم وجد وتقدير عظيم للمسؤولية خاضا فرادى وجماعات ملكا وشعبا فاستطاع أن يكسبها وأن يربح الرهان مع استعمار قوى عتيد وعنيد بعدته وعدده.

ولهذا فإنه لن يربح الرهان مع مظاهر التخلف والضروريات والحاجيات التي حملها عهد الاستقلال إلا إذا كان له نفس العزم، ونفس الجدية.

ولنا في شهداء الحرية والاستقلال الذين ينتظم الزرقطوني في عقدهم النضيد الاسوة الحسنة فيما كان

يرمز إليه كفاحهم لهذا الوطن الذي كان حبه وما يزال ركنا من أركان الإيمان.

أيها السادة :

إن معارك الاستقلال في جميع البلدان التي منيت بالاستعمار تنشطر إلى قسمين اثنين، وتتفرغ إلى مرحلتين اثنتين.

القسم الأول والمرحلة الأولى هي هاتيك التي خاضت وتخوض فيها الشعوب المستعمرة كفاحها من أجل الحرية والاستقلال حتى إذا أحرزته بمعاناتها ونضالها جاء القسم الثاني وحلت المرحلة الثانية ليتطلبا نوعا آخر من المقاومة والجهاد ضد مظاهر التخلف التي كلما رحل استعمار إلا وتركها وراءه لتنوب عنه. ولتواصل القيام بوظيفته في إرساء قواعد الجهل والفقر والانحراف السلوكي في الأخلاق والمعاملات.

وانها لمقاومة أشد مراسا وأصعب انقيادا، لأنها مقاومة زيغ النفوس، التي قال عنها القرآن انها امارة بالسوء.

ولذلك فإن عهد الاستقلال يحتم ممارسة هذا النوع من المقاومة لكل أنواع الزيغ من كل أنانية فردية وطمع مشتط.

وانحراف في السلوك، وضعف في سلطة الضمير.

فاستقلال الشعوب إنما هو في الواقع بمثابة امتحان تكميلي للمعارك التي سبقته، ولن تكتمل نقط المعدل للنجاح في الامتحان ككل إلا إذا كان النجاح حليفا في المرحلتين معا.

ولذا فإن قيمة المقاومات في كل عصر، وفي كل مصر، من أجل الحرية والاستقلال تعلو أو تنخفض بقدر ما يتجلى في مقاومة مظاهر التخلف وبكل أشكالها وأسمائها من حرص حريص على المحافظة على رأس المال الأساسي وتنميته بالاستمرار في التحلي بأخلاق التضحية والإيثار والإستقامة والتفاني في خدمة الوطن، بنفس الروح وبنفس العزيمة، ومقاومة كل آفة من آفات الانحراف في القيم والأخلاق حتى لاتبور بضاعة الحاضر وتلحق أضرارا برأس المال الأصلي، فتحل طامة الإفلاس والعياذ بالله.

وتلك أشياء لابد وأن نستحضرها في كل مناسبة من المناسبات الوطنية، وفي كل ذكرى من الذكريات القومية، ان أردنا أن تكون دفاتر حساباتنا سليمة وامتحاننا التكميلي في الشطر الثاني وفي المرحلة الثانية في مستوى المعدل، وعند الامتحان يعزه المرء أو يهان كلمة لايقتصر مدلولها على الامتحانات المدرسية، وإنما يمتد مدلولها لما هو أبعد في سير الأفراد والجماعات والشعوب.

ولئن منيت بعض الشعوب بنكسات في عهود استقلالها فإنما ينبغي أن يعزى ذلك إلى أنها أما كانت عهد الاستقلال والتقيد بها والعض عليها بالنواجذ، فرسبت في الامتحان التكميلي لعهد الاستقلال.

وكلما أمكنها أن تتدارك إلا وأمكنها أن تجبر ما قد تحدثه الانتكاسات من رضوض وكسور في هيكلها العام ماديا ومعنويا.

أعود فأكرر مرة أخرى على أنه يتحتم استعراض وتقييم عدى قدرتنا في استيعاب مواد هذا الامتحان التكميلي للاستقلال في كل مناسبة من مثل هذه المناسبة.

هنا وستظل كلمة أجدادنا الأولين «لهلا يمتحنا» ذات مدلول أوثق وأعمق.

وأخيرا فالحيات الزكيات المشفوعة بالرحمات لشهدائنا الأبرار راجين أن نكون عند حسن ظنهم وفي مستوى تضحياتهم وتفانيهم وقادرين على أداء ما بذمتنا لهم من دين جسيم وفضل عميم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد زياد

خواطر واقتناعات:

حول مقال

علي بيه الجاسوس الإسباني بالمغرب

-1-

للأستاذ محمد الخطيب

مهما كانت العلاقات بين المغرب واسبانيا في الوقت الحاضر، وكانت نوعيتها وأسبابها. فذلك لن يعفي من البحث في أسبابها ويوجب النظر في عمق الموضوع وسلك الطرق القويمة للفهم الصحيح بالابتعاد عن استعمال العواطف والشهوات.

وإذا ما اهتممنا ببحث الجزئيات. فلاعتبارها تكون الكليات وتشكل وضعية عامة هي الأساس لما توجد عليه العلاقات القائمة ان ايجابا بالنسبة للنظرة المستقبلية أو سلبا بالنظر للماضي.

وليس البحث في الجزئيات بالأمر الهين، إذا ما تجردنا عن النظر إليها بما تجيش النفس به من العواطف والمبتغيات. بمعنى اننا يلزم أن نتجرد للبحث عنها في خلفياتها وما تركته من آثار فعلية من الارتباطات. وأن لانمر بها مر الكرام وننظر إليها من خلال ظروف طارئة وإن كان التاريخ لايتسامح في عدم ذكرها. وشرحها بما يتطلب حسب معطيات الزمن والظروف. ومجانية التأثيرات التي تحيد عن العمل المثمر النافع.

هذه جزئية لابد من ذكرها، أو بسطها، طبقا للدافع والإمتدادات المستقبلية لإدراك حقيقتها واستخلاص الواقع من شانها على اعتبار كونها حوادث تاريخية بالنسبة للماضي.

فقد وقفت في العدد الثالث والسبعين من مجلة «التاريخ16» التي تصدر بمدريد على مقال بعنوان : «علي بيه. الجاسوس في البلاط المغربي» تعرض فيه كاتبه للموضوع وآثاره بنزعة لاتخلو من تعصب لاتساعد على ما ذكرته وتعرقل ما يوجد المغرب الآن بصدده من تقريب الفهم الصحيح وعدم زيادة شقة الخلاف بين بلدين كتب لهما أن يعيشا في تآخ ومودة متبادلة.

نحن لاننكر حق المجلة في البحث التاريخي والتعرض لحلقات الحوادث التي لها التأثير الكبير في العلاقات بين البلدين. لكننا نعتقد أن تلك العلاقات توجد في وضع يعفيها من استعمال العواطف التي تبعدها عن تناول البحث الموضوعي والإحاطة بظروفه وعدم مسايرة الاثارات التي تنزع إلى قصد معين حسب الميولات والأهداف السياسية.

وباثبات هذا الحق. ننكر الأسلوب المبني على اللف والدوران الذي يبتعد عن الوصول للنتائج الحقيقية ويتقمص روح اللمز والتشويش.

فالظروف قد تغيرت، وتغيرها يوجب ابدال النزعة القديمة والتعويض عنها بما يساير الظروف الحالية. وإلغاء النزعة الاستعمارية. فالمغرب الآن غير مغرب ما قبل اليوم وهو في الحاضر على أشده. وليس كما كان قبل محط نزاع

شديد ومصدر ما كان يراد له من تطبيق سياسات توسعية كل يهدف إليها بوسائله الخاصة وظروفه إذ ذاك.

ان الحوادث الماضية، وظروف المغرب على ذلك العهد تستلزم نظرة خاصة إليه، وتوجب السبق المؤثر في تكييف التاريخ حسبما كان يستوحى من الأوضاع، والنزع إلى التسابق إليه كل بوسائله ومؤهلاته وكل بعمله وامكاناته. وقد أصبح جميع ذلك من الخلفيات التي هي في ذمة التاريخ أكثر مما هي تدعو لمصلحةالظروف الحاضرة.

لست أقول هذا بغير دافع النظر إلى الواقع في الحاضر، وإ ن كان ـ كما اثبت ـ لايعفى من البحث التاريخي الحق والموضوعي.

فقد أقدمت اسبانيا على احتلال المغرب خلال القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر، وحققت جزءا من مطامحها أوائل القرن العشرين باحتلالها قسما من ترابه في الشمال، وما كان يدعى بالمنطقة الاسبانية مابين 1912 و 1956، وإن كان باختلاف عن الصورة التي كان البغي الاستعماري الأجنبي يريد لهذه البلاد.

لكن وضعية المغرب في الحاضر ليست كما كانت عليه إذ ذاك فهو كما جد في الحصول على استقلاله وتحقيق جزء من وحدته، فهو لا يزال جادا في اكتمال تلك الوحدة ويسعى لها طبق إمكاناته الجديدة.

وهذه الإمكانات والأوضاع وإن لم يكن من شأنها أن تغير التاريخ وما وقع خلاله من حوادث، فإن التفسيرات لايجب أن تطابق المصلحة الحاضرة برغم من تلك الحوادث التي كانت تفرض استعمال الروية ومراعاة كل الظروف.

وهذا ما أغفله ـ على ما نعتقد ـ البحث الذي نحن بصدد التعرض لتفسيره ونقده.

فالجدير بمؤرخ موضوعي أن يجعل هذا نصب عينيه فيما يكتب. إذ كما يحق له أن يتناول موضوعا معينا، كان يجب أن يكتب فيه بروح أكثر تجردا وعدم مسايرة الهوى والعواطف التي تجيش بخاطره.

أقول هذا، لا اعتمادا على وجوب عدم اكتفاء الكاتب بوجهة نظر خاصة من زاوية ما كانت اسبانيا تريده إذ ذاك، بل أيضا لما كان يلزمه من ذكر جميع ظروف الإقدام على ذلك العمل سواء بالنسبة لبلاده أو المغرب نفسه.

ثم ان الحادث نفسه، وهو في حد ذاته أمر واقعي، كان يلزم للإحاطة به كبحث تاريخي ان يتوفر على جميع عناصر الحكم سواء بالنسبة لاسبانيا أو بالنسبة للمغرب.

فالجنرال گودوي بالنسبة لنفس المؤرخين الإسبان شخصية متنازع فيها، له ما يؤيد مراميه وسياسته، كما له معارضون من نفس المؤرخين الاسبانيين في تلك المرامي والغايات.

وهذا شأن التاريخ، مع اعتبار التجردات العاطفية والبحث في عمق الأسباب والدوافع لها. فالحكومة الاسبانية كما كانت لها أيام عهده ظروف خاصة، فإن تلك الظروف كانت توجب في حقه وهو المسؤول الأول عن تسيير دفة الحكم والسياسة رعي كل الأسباب وإمكانات الخطو إليها، والتي منها وجوب العلم والإحاطة بكثير من الظروف التي منها تشبث المغرب بالذود عن حياض وحدته وتمسكه بالوقوف في وجه كل معتد عليه.

وليست الظروف المغربية هي التي كانت وحدها تبرر وجوب التدبير، بل كانت هناك ظروف أخرى كان واجبا اعتبارها سواء من وجهة النظر الداخلية أو بالنسبة للمطامع الأجنبية.

فحادث ما وقع لعلي بيه كان بتدبير منه ونصح من الجنرال گودوي وهو رئيس الحكومة الاسبانية إذ ذاك، ولا يخرج عن كونه كان مجرد اجتهاد شخصي، إلا أنه اجتهاد كانت تنقصه كثرة الخبرة والاطلاع.

فلم يكن يكفي أن ينظر للمغرب من زاوية المواقع الخاطئة وزوايا المتمنيات الأنانية، إنما كان يلزم لاكتمال الحكمة الحكومية أن تقدر العواقب كلها سواء بالنسبة لشخص المولى سليمان وتأثيراته الشخصية، أو من كون المغرب برغم ماكان يعمه من اختلافات ومطامع شخصية، فهو أمة يمكن أن تصبح واحدة امام الخصم الأجنبي، وذلك ما وقع بالفعل .

على أن هذه النظرة في حالة المغرب وأوضاعه، لم تكن كافية لحد ذاتها، وإنما كانت هناك دول غير المغرب لها مواقف معلومة من محاولات قلب السياسة الاسبانية وتحويلها من الغرب إلى الشرق، وتغيير الاتجاهات العكسية باستبدال تحاولات التوسع في أمريكا بالشرق الذي كان هو المطمع الأصيل في نهج السياسة الاسبانية.

وإن المعاناة التي كانت اسبانيا تعانيها بالقارة الاميريكة، والانتفاضات الإقليمية في تلك القارة ضدا على السياسة الاستعمارية الاسبانية، قد جعلت گودوي يتجه بنظره من جديد إلى الاستيلاء على الشرق كله.

فالعقبات التي لاقتها خطة گودوى اصطدمت بذلك، وباءت بالفشل لأول وهلة عند المحاولات الأولى بالمغرب، فاضطر گودوي لتحويل الخطة من محاولات الابتلاع وسلك السبيل الجديد إليه، إلى محاولات التجسس.

وكلا الخطتين كان باديا العباسي أو ما كان يطلق عليه إذ ذاك إسم (علي بيه) كان رجلها الأوحد والشخص الذي سعى للتمكن من نزعته الجديدة واستمرار الخطة التوسعية فخسر معركة بعد أخرى برغم الحيل التي تحايل بها، والصفات التي اتخذها لتدبير عمله.

وإلى جانب ذلك كله، كانت هناك حالة داخلية بالنسبة لاسبانيا كان يلزم مراعاتها قبل الإقدام على كل تدبير جديد. فكل نزع استعماري واستبدال خطة بأخرى كانت تتطلب درسا عميقا لجميع الحيثيات، وفي مقدمتها ما ذكرناه من الاعتبارات.

كانت الحرب التي تريد اسبانيا شنها لا تشمل المغرب وحده، بل ترمي لاحتلاله والسير منه إلى مصر في معركة صليبية ضد الإسلام والمسلمين. وقد تفطن المغرب لهذا وأدرك أن الذي تريد اسبانيا القيام به كان يعني أولا احتلال أرضه، ثم جعلها قاعدة الانطلاق التوسعي الصليبي الجديد بتعويض التفكير في أميركا بالاتجاه نحو الشرق الإسلامي وقد تصور گودوى أن ذلك كان أمرا ممكنا يضرب به عصفورين بحجر واحد كما يقال. فهو كان يسعى لأشغال الرأي العام الاسباني في الداخل، ويريد بسط الوجود الجديد لبلاده بكسب المعركة الأولى في المغرب. نغفل أولا عما أصاب اسبانيا من الانحدار عند شنها الحرب ضد شمال إفريقيا في الجزائر وتونس وطرابلس، أيام شارل الخامس وعلى يد الكردنال تسنيروس ونسى المقاومة التي تعرضت لها اسبانيا من طرف الدول الإسلامية والتي آلت للانحدار والتراجع.

ثم ان ذلك الاقدام منه على يد باديا قد كان كشفا لسوء النية المبيتة للوقيعة بالمغرب فاتبع وسائل المغربات وابتعد عن الحقيقة من أمر المغرب وشأن الدول الإسلامية كلها.

وهذا ما نجعله موضوع هذا البحث محاولين وضع الأمور في نصابها دون استعمال العواطف وطرق اللمز والتشويش.

لاشك أن من الدوافع إلى ما قام بها باديا العباسي باتفاق مع گودوي كانت حالة المغرب الداخلية وما كان يعمه من الثورات والحالات. إلا أنها ثورات وحالات كان لها من الاعتبار ما يجعلها شؤونا داخلية لا يحق استغلالها من طرف أية دولة أجنبية مهما بلغت سطوتها وكانت تدبيراتها ثم أنها في الوقت نفسه كشفت عن أمر ما كان يلزم أن يكون ونعني به سوء النية الاسبانية وما كانت تنزع إليه.

فمحاولات گودوى، واستغلاله للميولات الشخصية لباديا الذي أصبح يعرف في المغرب بعد ذلك بالأمير العباسي، كانت أيام المولى سليمان. ولا يخفى عن كل مغربي مدرك لتاريخ العهد السليماني أن المغرب على تلك الأيام كان يعاني تفككا كان يهدد بانقسامه، وتمردات داخلية أغرت كل أجنبي بالتفكير في احتلاله والتوسع ضد الإسلام والمسلمين. إلا أنه بجانب هذا الواقع كان لازما إدراك حقيقتين اثنتين. أولاهما سعي المولى سليمان لتوحيد البلاد تحت ملكه وعرشه. وثانيهما شعور التماسك الديني والنزع لرفض كل احتلال أجنبي ، وهو شعور وطني حقيقي.

وإلى جانب هذا وذاك كان احتلال سبتة ومليلية من طرف اسبانيا مما يعكر صفو كل تفاهم معها مما جعل

المولى سليمان يقوم بإلغاء جميع المعاهدات الترابطية بين المغرب واسبانيا وما كان قد أبرم من الاتفاقات بين البلدين على عهد والده المولى محمد بن عبد الله.

وبرغم هذه العوامل كلها، بالإضافة الى النزاع الدولي أقدمت اسبانيا على ما سبب لها في الكوارث وجعل العلاقات المغربية الإسبانية تسير من توتر لآخر أشد منه.

فالتمردات الداخلية بالمغرب ومحاولات الانقلابات ومحاولات استغلال تلك الأوضاع والعودة الى نظرتها التوسعية الاستعمارية الدينية قد جعلها تمارس ما أقدمت عليه، والموافقة على ما كان ينصح به باديا العباسي.

فقد كان بالجنوب المغربي تمرد ضد العرش، وفي شماله ثورة عارمة عليه. وقد استطاع المولى سليمان أن يفتك بالأولى ويقضي على محاولات المولى هشام. كما قضى بعد ذلك على الفتنة في الشمال وصرف أيامه كلها باستثناء الأربع سنوات الأخيرة من حياته في التنقل بين ربوع البلاد من الجنوب إلى الشمال حتى تمكن من إعادة المياه في المغرب لمجاريها. ساعده على ذلك حسن عزمه وصرامة الشعب في الوقوف معه ضد المكايد التي كانت تدبر ضده وضد وحدة البلاد.

هذه مقدمة توضيحية لا بد من ذكرها قبل التعرض للتفاصيل الجزئية التي نحن بصدد ذكرها.

فالتاريخ يروي أن گودوي قد اقنع شارل الرابع بأهمية رحلة باديا للمغرب وقام بتهيئ مقابلة بين شارل الرابع وباديا لشرح وجهة نظره وأصغى إليه وإلى رفيقه في الرحلة روخاس كلمينت واستمع لشروحاتهما فأصدر أوامره بمنحهما جوازات السفر واعتبار عائلة باديا تحت حماية الدولة بمنحها ما تتوقف عليه من مال أثناء غياب باديا في مهمته. فسافر باديا وبمعيته رفيقه إلى باريس ومنها إلى لندن متقمصين صفة البحث العلمي حيث تمكنا في العاصمتين من الاتصال برجال البحث هناك. بينما الحقيقة أن باديا كان يخفي الغاية الواقعية من رحلته.

ويحدثنا عن ذلك گودوي في مذكراته فيقول : « لقد ادركت منذ الوهلة الأولى غرابة كون باديا ينتحل صفة اجتيازه إلى الإمبراطورية بوصفه عربيا لاإسبانيا وادعاءه الحج إلى الأماكن المقدسة كسليل للنبي وكونه يسعى بذلك للحصول على ثقة سلطان المغرب أو مساعدة التعاون ضد الثوار وجعل السلطان يقوم بنفسه بطلب التأييد الواسع من البلاط. وهو إن لم يحقق ما كان يتوق اليه يكتفي بطمع الإحاطة وتقدير قوته والسعي للتفاهم مع خصوم الملك حتى يتمكن من خوض غمار الحرب وتنفيذ ما كان مبرما من اتفاق معهم. وبذلك يمكننا الحصول على ما نريد».

وقد انتقل باديا بعد لندن إلى قالص ومنها للجزيرة الخضراء حيث سافر إلى طنجة بعدما خلف بالأرض الإسبانية صديقه روخاس الذي انتحل اسم محمد بن علي، بينما الأول اتخذ في لندن اسم علي بيه.

كان وصوله لطنجة يوم التاسع والعشرين من شهر يونيو سنة 1803. ومنها قام بتحرير رسالة لصديقه محاولا اقناعه للالتحاق به. كما حرر رسائل أخرى لذويه تاركا للحكومة اختيار وقت الإعلان عن مهمته والظروف والغاية التي سافر من أجلها.

وقضى باديا بالمغرب سنتين ستكونان محور الحديث المقبل عن تفاصيل هذه المهمة.



للأستاذ محمد بن تاويت

أذكر أني لا مست هذا الموضوع في الخمسينيات، على مانشرته ببعض المجلات التي كانت تصدر بتطوان، فوقفت عند هذه الكلمة التي استغربت صوغها، الذي كان يلزم أن يكون مجلى، أو مجلات، نظير ما في اللغات الأخرى من نحو . Revista الإسبانية، أو Review الانجليزية.

أما مجلة، فالقاعدة تفرض أن تكون مشتقة من «جل» كما هو من «أم» مأم، ومأمة، ومن «بر» مبرة، ومن «تب» متبة،. ومن «ثل» مثلة، ومن «جر» مجرة، وهكذا نقول محبة، ومخدة، ومدبة، ومذبة، ومرمة، ومزلة، ومسرة، ومشقة، ومصبة، ومضرة، ومطلة، ومظنة، ومعرة، ومغبة، ومفرة، ومقرة، ومكمة، وملذة، وممرة، ومنمة، ومودة، وميمة.

فهذه الصيغة يمكن وجودها في جميع الحروف، مكانا أو زمانا أو مصدرا ميميا، ولنا الاختيار في اشتقاقها من ذلك كله نعود إلى مجلة، فنجدها كما ننطقها في شتى المعاجم إلا في معجم عثماني، ضبطت بضم الميم.

ولا التفات لهذا، فقد رويت في بيت للنابغة،

مجلتهم ذات الإله ودينهم   قويم فما يرجون غير العواقب

إلا أن البيت روى أيضا بالحاء، فيكون هذا من قبيل المحتمل الذي لا يستشهد به.

نعم، انها وردت في بعض الأحاديث، بمعنى الصحيفة، وعلى القول بالاعتماد على الأحاديث، فإنها تكون مقبولة، كما أنها نسبت إلى لقمان، على أنها صحيفة له فيها حكم ومواعظ، وقد نشر بعضهم، هذه المجلة، في حجم ديوانه الذي عطس به، لعهدنا.

ويبقى السؤال من أين اشتقت الكلمة، فقيل انها مفعلة من الجلال، ولكن ماصلة الجلال بموضوعنا الذي نريد ؟

وقيل أن الكلمة ليست عربية الأصل، وإنما هي عبرية، فإن صح هذا، وغالبا ما يكون صحيحا، فإننا سنستريح من معاناة اشتقاقها، ونستروح إلى وجودها، هكذا كما خلقت، في العبرية وانتقلت إلى العربية.

أما استعمالها في الكناشة، فهو متأخر، بعدما عرفت الصحف، مجموعة من الأوراق مضموما إلى بعض، وإلا فإن الكتب عامة ما كانت بهذه الصورة التي هي عليها الآن بل كانت عبارة عن صحف، مقرطسة، ملفوفا بعضها على بعض، في شكل قمطر، وقد قيل في هذا بيت إسلامي

ليس بعلم ماحوى القمطر   ما العلم إلا ما وعاه الصدر

التزام السكون في أواخر الكلمات :

ذكر ابن جني في الخصائص أن من العرب من يقف على حرف الإعراب بالسكون، هذا في الوقف خاصة، بل

قال غيره بذلك عموما وان من العرب من يستثقل الحركة في آخر الكلمات أو الألفاظ. فلا ينطقون بها، وهم قبائل مضر، بخلاف قريش، فهم لا يرتاحون إلا لتحريك الأواخر.

وهذا هو الذي انتهت إليه العربية في عاميتها. فهل هذا الانتهاء رقي فيها ؟

يرى ذلك بعضهم، ومنهم أستاذنا إبراهيم مصطفى - رحمه الله - كما حكى لي ذلك عنه، الدكتور عبد العزيز الأهواني عليه الرحمة - وسمعت طالبا، يذكره بهذا للدكتور فؤاد حسنين، فاستشاط غضبا، ولم يعبأ بهذه القولة، وجسم الرد عليها، في قوله هل يحمد للإنسان أن يبعثر ملابسه ويخلط بعضها ببعض، ويفضل عمله هذا من ينظم نفسه ويضع كلا في موضعه من الدولاب، أو كما قال رحمه الله ؛ وهو رجل اللغات سامية وغيرها، والمتمكن فيها تمكنا، جعله عصبيا بين الذين امتد به زمنه إليهم من... وقبله قال جرجي زيدان في كتابه فلسفة اللغة، ان آخر ما وصلت إليه اللغات في سلم الارتقاء، هو الاعراب، وهي حال العربية الفصحى واللغات اليونانية واللاتينية والألمانية.

والحق مع هؤلاء فإن قريشا أفصح العرب، كما قال النبي عليه السلام، أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، وان الاعراب به تكون الابانة محققة، في الغالب، ومدح الله لغة القرآن، لكونه بلسان عربي مبين، وقال موسى عن نفسه «يضيق صدري ولا ينطلق لساني» وطلب من الله أن يرسل معه أخاه هرون، كما طلب منه أن يحلل عقدة من لسانه، وقال عن أخيه هو أفصح مني لسانا.

نعم أن قريشا نفسها كانت لا تغير الأب في الكنية، بل تجعله بالواو في كل وجه، كما في نوادر أبي زيد عن الأصمعي .

وبهذا الذي عملت قريش، وقعت قراءة «تبت يدا أبو لهب» واستحسن هذا في الاعلام خاصة، لأن الواضع جعلها كذلك.

نيابة الضمائر بعضها عن بعض :

نجد ضمير الرفع المنفصل، يقع موقعا غير الرفع أحيانا، فهو حينئذ يؤكد الضمير المتصل الواقع موقع الجر أو النصب، كما قال الخماسي «اني أنا الموت».

وقال غيره :

أو فاعلموا أنا وأنتم ... بغاة ما بقينا في شقاق

وجعل النحاة هذا مطردا في التكيد في رواية من لم يعلق في غير ورد في حديث نعيم بن مسعود - في غزوة الخندق - أنه أتى بني قريظة فقال لهم : ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، أدخل كاف التشبيه على ضمير الرفع، المنفصل، ولا تدخل على المتصل إلا نزرا كما يأتي :

وكذلك الضمائر المتصلة فإننا نجد بعضها كذلك واقعا في غير موطنه، كما في لولاك ولولاه وعساك وعساه.

قال سيبويه في هذا والجمهور، هي لن لولا جاره للضمير، مختصة به كما اختصت حتى والكاف بالظاهر، ولا تتعلق لولا بشيء وموضع المجرور بها رفع بالابتداء والخبر محذوف، وبهذا أجراها مجرى رب، وهي أيضا مختصة بالظاهر، كما في الخلاصة :

بالظاهر اخصص منذ مذ وحتى ... والكاف والواو ورب والتا

وما رووا من نحو ربه فتى ... نزر كذا كها ونحوه أتى

ولولا غير جارة، ولكنهم أنابوا الضمير المخفوض عن المرفوع، كما عكسوا إذ قالوا ما أنا كأنت، ولا أنت كأنا قال ابن هشام في المغنى، ان النيابة إنما وقعت في الضمائر المنفصلة، لشبهها في استقلالها بالأسماء الظاهرة، فالعطف عليه اسم ظاهر، نحو لولاك وزيد، تعين رفعه.

من ذلك الفصل بين قد ومدخولها، كما حصل الفصل بين سوف ومدخولها، كما نجد في هذا البيت :

لعمر أبي لقد أصحاب مصر ... على طول الصحابة أوجعونا

إذ التقدير «لقد أوجعونا»، ولكن تقدم الفاعل فأصبحت الجملة اسمية وصار فعلها خبرا لها، وتضمن كل ذلك الاعتراض بعلى طول الصحابة، فكان هنا تقديم ما كان مؤخرا إلى جانبه الاعتراض، والبيت لأم الهيثم بنت الأسود النخعية، جاء في رثاء لها لعلي بن أبي طالب صبر كان متعديا، فأصبح قاصرا، دليل ذلك قوله تعالى **«واصبر نفسك»**.

ومن هذا المتعدى القتل صبرا، أي حبسا. يموت به المصبور جوعا. ومنه بمعنى الحبس قول الشاعر :

فصبرت عارفة لذلك حرة   ترسو إذا نفس الجبان تطلع

وقول الآخر :

قلت لها أصبرها جاهدا   ويحك أمثال طريف قليل

فلما حذف المفعول وتوالى حذفه تنوسي فصار الفعل قاصرا، كما تقدم في أصاخ وأنصت وأقام. وقد وقع هذا الحذف في عدة آيات كذلك مثل :**«فاصبر كما صبر أولو العزم» و «واصبر وما صبرك إلا بالله» و «لمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الأمور».**

ولا شك أنه سيأتي وقت تصبح فيه «غفر» أيضا قاصرة، وقد بادرت العامية بذلك، فقالت : «تغافروا» في مناسبات الأعياد الدينية، فقال بعضهم لبعض «اللهم أغفر لنا ولك».

نعت النكرة بالمعرفة ونعت المعرفة بالنكرة، لا يسيغه النحو، كقاعدة عامة له. ولكن الواقع، يجيز ذلك . بل هو موجود في القرآن الكريم. قال **«ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا»** فاسم الموصول مع صلته صفة لهمزة. والذي سوغ ذلك المعنى المقصود به شخص بعينه. فنزل منزلة العلم ـ كما أرى أنا ذلك ـ فهو، كما عند الأصوليين، عام أريد به الخصوص. فالنظر إلى المعنى حول مجرى القاعدة العامة، كما تقدم. ومن ذلك **«فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان»** فإن **«الاوليان»** المعرفة صفة **«آخران»** النكرة.

والمسوغ لهذا في الآية الأخيرة، أن النكرة «آخران» لما وصفت بالجملة بعدها، أصبحت كأنها معرفة، لهذا نعتت بالتعريف قاله الأخفش أما العكس، وهو وصف المعرفة بالنكرة، فكقول الشاعر :

وللمعني رسول الزور قواد

فإن «قواد» صفة للمعني وكذلك قول الآخر :

في أنيابه السم ناقع

فإن «ناقع» صفة للسم جوز هذا ابن الطراوة فيه، لأن ناقع خاص بوصف السم، فكأنه معرف به وهذا التعليل أن تأتي في هذه، فإنه لا يدر فيما قبلها.

وخصص الكوفيون التخالف بينهما في المدح والذم، وأطلق آخرون، كما نص على ذلك السيوطي في جمع الجوامع ويشهد للكوفيين الأمثلة السابقة. وأن القطع في النعوت، يبيحه المدح والذم، فكأن تلك النعوت السالفة، إنما جاءت جوابا لسؤال مقدر كلمة الحمى، كانت جمع حمية، على القياس «ولفعلة فعل» كما في الخلاصة، إذا الحمية ما حمي من الأشياء، والأصل في هذا المصدرية، من حمى يحمي حميا وحمية وحماية، ومن وروده مورد الجمع ـ كما أرى ـ الحديث «الاوان حمى الله محارمه» فتنسجم بذلك المحارم مع الحمي في الجمعية إنسجاما يقره الذوق والطبيعة، ولا يعدل عن ذلك إلا بضرورة، لامحل لها هنا، ثم صار «الحمى» يستعمل كأنه مفرد، وثني فقيل «حميان» على قاعدة «آخر مقصور تثني اجعله يا... كذا الذي اليا أصله نحو الفتى... وفسر بله ما يحمى ويدافع عنه.

قبل أن تظهر الطبعة الأخيرة لكليلة ودمنة، كنت قد حضرت على أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام ـ رحمه الله ـ محاضرة ـ ضمن أخرى ـ حول الأثر الفارسي في ترجمة ابن المقفع، فكان من ذلك الأثر الذي ذكره، انه يستعمل أحيانا اسم الإشارة بدل ضمير الغائب، وقد آخذت بذلك وقررته في تدريسي، قبل أن أعلم بالطبعة المذكورة، ولنفس الأستاذ ـ رحمه الله ـ إخراجها.

لكني وأنا أتلو القرآن الكريم، وجدت هذا الصنيع في العربية الخالصة، وفي نحو قوله تعالى :

الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر إلى آثر رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ان (ذلك) لمحيي الموتى.

فإن «ذلك» هذه قامت مقام الضمير، إذ التقدير بدل ان ذلك «انه» لمحيي الموتى، كما ورد هذا في آية أخرى وكذلك وجدنا الصنيع نفسه في قوله تعالى :

ألم يك نطفة من مني تمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فاسم الإشارة هنا كذلك قام مقام الضمير الذي يعود على الرب في قوله ، «إلى ربك يومئذ المستقر».
وهو معاد الضمير كذلك المستتر في «فخلق».

وبهذا لا يكون الضمير عائدا على أقرب مذكور، كما يقول أصحاب القواعد النحوية العامة. إذا ما قبل هذه الجملة فجمل تخص الإنسان «ألم يك نطفة من مني تمنى ثم كان علقة» أما «خلق فسوى» إلى آخره. فتخص الله الخالق وبعض اللغات كالتركية لاتفرق بين ضمير الغيبة واسم الاشارة للبعيد فكلمة (أو) في التركية تعنى الإشارة إلى المفرد والضمير و «أونكر» كذلك في الجمع.

ومقامات الإشارة، بعيدة كانت أم قريبة، تناولها البلاغيون. ولكن ذلك مأخوذ على العموم. ولا نريد نحن هنا إلا قضية إحلال الإشارة محل الضمير. مما عرفته العربية وليس خاصا بالفارسية ولغات أخرى من فصيلة الهند أوربية، كالتركية والاسبانية.

وقد ظهر لي أن الإشارة في هذه الأخيرة أليق من الضمير، حيث أن معاده ابتعد عنه بعدة آيات. بخلاف السابقة فيمكن أن يناط به الملحظ البلاغي القاضي فيه بالتعظيم. كما في «**ذلك الكتاب لاريب**».

كاف الخطاب في الإشارة تطابق وقد لاتطابق. فمن التطابق قوله تعالى ، «**ذلكم الله ربكم**» ومن غير التطالمتطابق قوله ، «**تبغون عرض الحياة الدنيا» فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم**».

وهنا ظهر لي أيضا أنه لم يطابق هنا، لأنه لو حصل التطابق، لكان القلق في النطق. كما نحسه ان كان «**كذلكم كنتم**» فتقلق الحركات بالسكنات على التوالي.

وهذا القلق هو الذي استوجب كسر عين «يرتع» في قراءة ورش «أرسله معنا غدا يرتع ويلعب».

تتفق الألمانية مع العربية، في تعدد جموعها، وفي تذكيرها للقمر وتأنيثها للشمس. وفي تقديم الآحاد على العشرات دائما. والعقود من 29 إلى 90. وأن بعض أسمائها تكون دالة على المفرد آنا وعلى الجمع آنة أخرى. كما أنها سمت الأرض باسمها العربية Erde «إردي» = أرض بخلاف الانجليزية التي سمتها باسمها العبري «إرث» = أرض . أما غيرهما فسموها باسم مشترك بينها وبين التراب وبذلك قلنا «التراب الوطني» وهذا موجود حتى في العربية. ومن شواذ القراءات «فسيحوا في الطين» بدل فسيروا في الارض وهذا الطين هو بعينه Tierra في الإسبانية نحوه في الرومانية والفرنسية واللغات المنبثقة من اللاتينية كالإيطالية.

من العرب من يجزم بعوامل النصب . فإن أبا الحسن اللحياني حكى في نوادره ان بني صباح من بني ضبة، يجزمون بها، ثم أنشد لشاعرهم بيتا هكذا ،

وأغض من أشياء منك تريبني
أغمض عنها لست عنها بذي عمى

كما أن بيتيه وأولهما ،

إذا الاخلاء لم تحمد غيوثهم
وخان ميثاقهم في البعد أو حالا

نظرا فيهما إلى معاصره أيضا، عمر الخيام، حيث قال من شعره العربي ،

زجيت دهرا طويلا في التماس أخ
يرعى ودادى إذا ذو خلة خانا
فكم ألفت وكم آخيت غير أخ
وكم تبدلت بالاخوان إخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبها
بالله لا تألفي ما عشت إنسانا

وبمثل صدور هذا الكلام الحصيف عن عمر الخيام، ندرك أن هذا الرجل ظلم من الدارسين الذين انصاعوا إلى الأوربيين، فحملوا عليه من أوقار لم يكن له يد ولا لسان في صنعها. وأذكر أني نفسي، نشرت وكتبت إلى معالي وزير التعليم، منتقدا تسمية ثانوية باسم عمر الخيام، لما أشيع عنه من تلك الرباعيات الهدامة الإلحادية المدمنة الشاردة. وكم من تهم تلصق بالناس فتغلف حقائقهم بالظلمات، وتنور أصحابها الظالمين وتحوطهم بالهالات، ولكن التاريخ لا يظلم الناس طويلا، وسرعان ما يذهب الزبد جفاء، ويمكث في الأرض ما ينفع الناس، كما قضى بهذا القرآن الكريم.

محمد بن تاويت

ملخص رحلتي ابن عبد السلام والدرعي المغربي

●● ضمن السلسلة الثقافية (في رحاب الحرمين : أشهر رحلات الحج) التي تصدرها (دار الرفاعي) بالمملكة العربية السعودية صدر كتاب (ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي) بتحقيق علامة الجزيرة العربية الحجة في التوثيق التاريخي والتحقيق العلمي للتراث العربي الأستاذ حمد الجاسر. يقع الكتاب في 178 صفحة من الحجم الكبير.

وقد قدم المحقق للكتاب نبذة عن كتب الرحلات في التراث العربي ومنها نعرف أن معظم الرحلات لعلماء وفقهاء مغاربة. وفي مقدمتها هذه الرحلة التي قام بها محمد بن عبد السلام بن عبد الله الناصري الدرعي المتوفى سنة 1239 وهو من بيت علم مشهور، وقد حج مرتين إحداهما سنة 1196 هـ والثانية سنة 1211 هـ. وعن حجته الأولى ألف رحلته الكبرى وهي من أوسع الرحلات وأوفاها. وقد رجع فيها إلى كثير من الرحلات المؤلفة قبل عهده كرحلة العياشي ورحلة العبدري ورحلة الصفدي ورحلة التجيبي ورحلة البكري والرحلة الناصرية. أما عن حجته الثانية فقد ألف عنها الرحلة الصغرى.

ومن المعلوم أن هذه الرحلة توجد منها نسخة مخطوطة في الخزانة العامة في الرباط..

الإسلام وقضية المعاصرة

للأستاذ أنور الجندي

في كل قضية تسأل عن رأي الإسلام. انه الميزان الدقيق الذي يحتكم إليه والذي يهدينا في هذا الطريق الطويل المضبب بالسحب الكثيفة التي تحجب ضوء الحقيقة. ان الإسلام لايقر الاستسلام لروح العصر ويري أن روح الأمة أعظم من روح العصر، فروح الأمة من الأصول الأصلية التي أقامها الدين الحق وبنى عليها الامة منذ أربعة عشر قرنا ليضعها على طريق الحق، وعلى المحجة البيضاء، يحل حلالا ويحرم حراما. انها هي الثوابت الراسخة التي تحرك الأمم في إطارها من خلال تغير العصر وتغير البنيات أما روح العصر فما هي إلا طائفة من التقاليد التي شكلها العصر وقامت بالحق حينا وبالباطل حينا وله مجموعة تجارب وظواهر وفروض قدمها أناس مصلحون أو مفسدون، فهي خليقة بأن تراجع وتغربل ويستصفى منها وجوه الخير، وينبذ منها كل فساد وضلال ومن أخطر الدعاوي المسمومة تلك الدعوى التي يطرحها الغربيون بقولهم أن يجعل الإنسان نفسه جزءا من عصره ومعنى هذا أن يضحي الإنسان بالقيم والضوابط والحدود التي أقرها الدين الحق، لتفسح الطريق أمام تجاوزات العصر وأهواء البشر وأخطاء الناس، تحت اسم التقدم المادي أو الاباحيات والحريات المنطلقة بعيدا عن الالتزام الخلقي الذي هو جزء أساسي من مسؤولية الإنسان في الحياة.

وما أظن أن ميزانا للتقدير الصحيح تحت حكم العقل والفطرة والعلم يقبل منا أن نستسلم متابعين وعبيدا اذلاء لكل مايفرضه عليها من أهواء البشرية وفسادها وانحرافها وتحللها أو أن نجعل من الشريعة الغراء وسيلة لتبرير هذا الواقع الفاسد أو تحسينه أو تاويله. ولو حتى تحت حكم الضرورة أو حكم الرخص أو حكم الظروف المبررة فإن هذه كلها لاتفرض أبدا احتراج قاعدة من القواعد الثوابت في بناء العقيدة أو بناء المجتمع ولذلك فنحن لانقبل كل مايقدم العصر سواء في الأدب أو الفن أم المسرح أم العقيدة الاجتماعية أم الفلسفة المادية من تبريرات للواقع القائم في المجتمع تحت اسم التطور، وواجبنا ان نرد المجتمع إلى الأصالة وان لاتقف مهمتنا عند حد مراقبة الأوضاع ووصفها وتقبلها ولكن يجب أن نصل إلى مرحلة التوجيه للمجتمع واصلاحه وتحريره من عوامل الفساد والانحراف وأن نلزمه بمثول حكم الله والتماسه منهجه والا حكمنا عليه بانه مجتمع ضال وعلينا أن نكشف هذا الفريق الداعي إلى التثبيط والتبرير والمتابعة فانه جزء من خطر التغريب والغزو الثقافي المفروض الآن على العالم الاسلامي ونحن مطالبون في رأيي بأن نحطم الدائرة المغلقة، هذه الدائرة المظلمة من التبعية للغرب ولفكره ولاسلوب عيشه ولمفاهيمه في الأخلاق والنفس والعلوم الاجتماعية علينا أن

نكون ربانين أوسع افقا ننظر إلى الأبعاد المتعددة ولا تحصر أنفسنا في الفكر الغربي الجزئي الانشطاري المادي الوجهة ولا الاستسلام لروح العصر أو التبعية للأوضاع المفروضة التي رسمتها الظروف والعادات وتراكمت عليها شتات الامم وأهواءها ونقول ان المجتمع هو المسؤول عن الأخطاء والانحراف. فهذا باطل والمسؤول الحقيقي في مفهوم الإسلام هو الفرد. مسؤول عن عمله وعن تقبله للواقع المعارض لحدود الله أو رفضه وتجازوه.

ان القول بأن هذا العصر هو عصر العلم قول فيه كثير من الخطأ والتجاوز. فأي علم هو ذلك أنه يخضع له العصر. هل هو العلم التجريبي الذي يعرف بالمحسوس وتجارب المعامل. وهو لايستطيع أن يحيط بما سوى ذلك . أم هو الفلسفة العلمية القائمة على مفهوم المادة وحدها. أم هو مفهوم البحث العلمي الخادع الذي يجزيء النصوص ويقبل منها ما يوافق هواه. ويستقبل البحث بآراء مسبقة ولا يحفظ نفسه من الأهواء والتعصب والأحقاد.

هل هذا هو عصر العلم الذي يريد أن يخضع البشرية كلها له. وكيف به ازاء الابحاث النفسية وما يتعلق بالمعنويات وخصائص الروح وكيف به ازاء الأمم والشعوب هل تبقى سيطرة العلوم والتكنولوجيا في أيدي الأقوياء وحدهم وتظل الأمم المستضعفة متخلفة وعاجزة عن امتلاك إرادتها. وهل تظل الأسلحة الفتاكة بين طرفي النزاع مهددة للبشرية كلها وفارضة مفاهيم في الأخلاق والاجتماع والسياسة قوامها الاذلال والسيطرة. وهل تظل الأمم التي تدعي أنها تعيش في عصر العلم تستعمل أدوات العلم في العبث والإباحية وتدمير الأخلاق وتظل قائمة على مجموعة من الأساطير القديمة والوثنيات والماديات ولا تتعرف إلى طريق بالحق فتعرف مسؤولية الإنسان الحقيقية في هذه الدنيا وامانته وتؤمن بأن الإنسان روح وجسد وأن الماديات لاتستطيع أن تسيطر فتفزع جانب الروحيات والمعنويات وتحجبه وتترك في النفس الإنسانية تلك الهزائم والأزمات والأحاسيس بالغربة والغثيان والحقيقة أن كلمة عصر العلم هي كلمة متناقضة لأنها تحاول أن تحتمي بالعقل بينما هي تفر من الفطرة. وتحاول أن تقف عند المحسوس فإذا هي ضباب في أعماق الأساطير. وإذا هي عقلانية في نفس الوقت فاسدة التصور ذاهبة مع الأهواء والأوهام إلى أبعد مدى إن هذا العطاء المادي وحده لم يحقق للنفس الإنسانية أشواقها. بل لعله زاد من أزماتها. لأنها انفصلت عن فطرتها الجامعة بين المادة والروح. فإذا كانت الحضارة المادية تعطيها في الجانب المادي فإنها قد حرمتها الإطار المعنوي الذي يجب أن يتحرك في الماديات رحمة وخلقا وإخاء إنسانيا وعطاء وغيرية. أما هذا التكالب المادي والاندفاع الإباحي فإنه مضاد لفطرة الإنسان الحقيقية.

ومن هنا يأتي فساد الفلسفات الاجتماعية المعاصرة التي تحاول أن تقول بأن الإنسان خاضع للعصر والزمن والتيه. وليست هذه النظرية الجبرية صحيحة مع الروح على أي وجه من الوجوه. فإن الإنسان هو الذي يصنع عمله وهومالك الإرادة الفردية هذه الإرادة الفردية التي هي أساس المسؤولية والجزاء أما استسلام الإنسان لعصره فتلك هي انتكاسة البشرية عن دعوة الدين الحق.

والقاء المسؤولية على العصر هي مؤامرة المدرسة الاجتماعية التهورية. المصدر التي تريد أن تدمر حقيقة أمانة الإنسان في الحياة ومسؤوليته والتزامه الأخلاقي.

ان دعوى الاستسلام للعصر أو مسايرة الزمن هي قضية خطرة مسمومة ولو فعل المسلمون ذلك لأصبحوا منذ وقت بعيد غير مسلمين. ان المسلم مطالب بأن يغير الوضع الاجتماعي في بيئة ليتفق مع أمر الله وأحكامه وحدوده وهو يستطيع أن يستعمل وسائل العصر في تحقيق هذه الغاية.

وعلى المسلم أن يغير العرف العام إذا مضى نحو المادية أو الوثنية أو الاباحة وأن يرده إلى الحق لا أن يبرر هذا الانحراف بتأويل نصوص الإسلام إن استجابة المسلم هي لله ولشريعته وليس للعصر (استجيبوا لربكم) والإسلام لايحول دون الاستجابة للعصر وللمتغيرات وللبيئة شريطة أن يكون ذلك من داخل دائرة قيم الاسلام الأساسية الثابتة التي لا يمكن تجاوزها ونحن نستطيع أن نستعمل وسائل العصر ولكننا لاننسى عقيدتنا وقيمنا وأدابنا

إذا كنا نحن أصحاب حضارة مؤهلة فإننا نستطيع أن نحملها إلى سائر الأمم.

وقد شهد من علماء الغرب أنفسهم فكرة الغرب وانشطارها وأنها كانت المصدر لانحرافه وأزمته بقولة أرنولد توينبي في كتابه الحضارة والغرب «ان الحضارة الغربية لابد أن تمر في طور من التدهور والانحلال الذي مرت به الحضارات من قبل من أجل هذا كانت فنون الصناعة والاقتصاد وغيرها من المعارف غير كافية لتوفير الاستقرار والسعادة للمجتمع الإنساني ذلك أن الروابط الروحية هي العمد التي يقوم عليها صرح المجتمع ويتماسك بناءه. ويقول الدكتور حسين نصر الذي نقلنا عنه مايؤكد فساد نظرية روح العصر قبلا. إذا عرفنا الغرب لأدركنا مايواجهه من مشاكل معنوية وتدهور خلقي وأخلاقي وان مايتحدث به عن ضرورة تقليد الغرب بحجة مسايرة الزمن ليس إلا ضعفا في المعنوية وأحساسا لعقيدة الحضارة التي تواجهها الأكثرية قبال الغرب. ويدرك هذه المسألة الشباب الغربي أنفسهم حين راحوا يتوسلون ب؟؟؟ كاذب ليصبحوا «هبيين» ولو أدركنا نحن هذا الضعف والفقر الذي يعانيه الغرب لما تلقينا فكره وكأنه وحي منزل ينبغي أن يسود ويفرض علينا بحجة مسايرة الزمن ؟ لقد قال المسيح لأمته «إذا صفعك الإنسان على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر» ولكن المدنية المسيحية نفسها هي التي سجلت أعظم الأرقام في القتل والتدمير...

أنور الجندي

العدد الخاص بعيد العرش المجيد

●● تستعد أسرة التحرير لإصدار العدد الممتاز الخاص بعيد العرش السعيد في مطلع مارس القادم.

وتهيب (دعوة الحق) بالسادة الكتاب إلى موافاتها بإنتاجهم في وقت قريب ●●

القراءات القرآنية واللهجات العربية (1)

8

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

34 ـ ذَخَرَ :

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى ، **«ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم انني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين»** (2).

ذكر أبو القاسم بن سلام (3) أن قوله تعالى ، **«تدخرون»** حين تقرأ مثقله تكون من لغة تميم (4). ومعلوم أن قراءة الادغام هي قراءة الجمهور (5) أي القراءات المتواترة، وبمعنى آخر هي القراءات السبعة وكل قراءة غيرها وافقت المصحف.

وهناك قراءتان أخريان غير قراءة الجمهور، لكنهما شاذتان (6) ،

الأولى تَذْخَرُون :

بذال معجمة ساكنة، وخاء مفتوحة (7). قرأ بها

---

1) كنت حدثت قراء مجلة «دعوة الحق» في سبعة أعداد سابقة من مجلتهم هذه عن «القراءات القرآنية واللهجات العربية»، ظهرت الحلقة الأولى من هذه السلسلة في العدد التاسع من السنة الرابعة عشرة، وظهرت الحلقة السابعة منها في العدد السابع من السنة السادسة عشرة، وأواصل اليوم، بحول الله وقوته، متابعة هذه الدراسة التي كنت أوقفتها في اللفظة 33 من لغة تميم.

2) الآية 49 من السورة الثالثة ، آل عمران.

3) بينت في مقدمة الكتاب الذي حققته تحت عنوان «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» من هوأبو القاسم بن سلام، انظر الصفحة 3 من مقدمة المهذب .

4) انظر حاشية الجلالين، صفحة 55 من الجزء الأول أو بهامش «التيسير في علوم التفسير الديريني.

5) البحر المحيط لأبي حيان الغرناطي، المجلد الثاني صفحة 467 السطر الخامس قبل الأخير.

6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، الجزء الثالث، صفحة 97 تحقيق المجلس العلمي بفاس طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب مطبعة فضالة بالمحمدية 1397 هـ (1977م).

7) البحر المحيط لأبي حيان الغرناطي ، المجلد الثاني، صفحة 467.

مجاهد (8) والزهري (9) وأيوب السختياني (10) وقعنب بن أبي قعنب البصري (11) أبو السمان (12).

الثانية تذدخرون :

بذال معجمة ساكنة ودال يابسة مفتوحة من غير إدغام. قرأ بهذا أبو شعيب السوسي في رواية عنه (13).

أما القراءة المتواترة التي تهمنا وهي «تدخرون» بالادغام. لأنها من لغة تميم فإنها موافقة للقاعدة الصرفية في اللغة العربية في وزن «افتعل».

ومعلوم أن القاعدة التي أقصدها تتكون من ثلاثة مستويات :

أ ـ مستوى حرف الاطباق :

فإذا كانت فاء افتعل حرفا من حروف الأطباق. وحروف الأطباق هي الصاد والضاد والظاء والطاء. فإن التاء الزائد في الوزن تقلب طاء ثم يقع الادغام أو الفك حسب صفات ومخارج الحرفين المتجاورين، فإن تجانسا أو اقتربا ادغما وإلا فكا.

ب ـ مستوى الهمزة والواو :

حين يكون احدهما فاء الفعل، فإن كل واحد منهما ينقلب في وزن «افتعل» تاء ثم يدغم في التاء المزيدة. وهكذا نقول «اتصل» في (اوتصل» و «اتخذ» في (أأتخذ).

ج ـ مستوى الحروف الثلاثة : دال ، ذال، زاي.

ومعلوم أن تاء افتعل تقلب دالا مهملة حين تكون فاؤه إحدى هذه الحروف الثلاثة، هذه هي القاعدة العامة التي تطبق بشكل مطرد.

فماذا وقع في اللفظة «تدخرون» التي تهمنا ؟

كان أصلها «تذتخرون». وبما أن النطق بالتاء مع الذال ثقيل لتقاربهما في المخرج وبما أن العربي يسلك في نطقه أيسر السبل قلبوا التاء إلى مثيلها الأقوى، ومثيلها الأقوى هو الدال. فاجتمعت الذال المعجمة والدال المهملة وهما من المتقاربين صفة ومخرجا. بين هذا بوضوح العالم اللغوي الزجاج فقال : «وما تدخرون في بيوتكم» أصله «تذتخرون» إلا أن الدال حرف مجهور لا يمكن النفس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه. والتاء مهموسة فأبدل من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الدال في جهرها وهو الدال فصار «تذدخرون». ثم ادغمت الذال في الدال. فصار «تدخرون» (14).

كان أمام فعال الكلام Sujet parlant العربي سبيلين :

السبيل الأول : أن يتأثر الصوت الأول وهو الذال المعجمة بالصوت الثاني وهو الدال المهملة. يسمى اللسانيون هذا بالتأثر الرجعي. (Régressive). ومعلوم أن هذا هو الأصل في الادغام. سواء كان ذلك في لهجة تميم أو في غيرها. هنا تنقلب الذال المعجمة دالا مهملة وحينئذ يقع الادغام. نقول : (1) تذتخرون. (2) تذدخرون. (3)

---

8) مجاهد هذا هو غير ابن مجاهد صاحب «كتاب السبعة في القراءات». ذلك مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي الذي توفي رحمه الله وهو ساجد حوالي 103 هـ. كانت له اختيارات في القراءات. وذا أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمي البغدادي، المولود ببغداد سنة 245 هـ والمتوفي سنة 324 هـ أقول هذا لأن بعض الإخوان يخلط بين الاثنين فيما يكتب وما يقول.

9) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر الزهري وهو غير عبد الله بن عمر الزهري المقرىء أيضا. كان أبو بكر الزهري يطوف بالكعبة المكرمة ومعه ألواح وصحف ولذا سار أعلم الناس في زمانه، عرض عليه امامنا نافع رضي الله عنه وروى عنه امامنا مالك رضي الله عنه. مات سنة 24 هـ.

10) لا أدري بالضبط من هو ولعله يكون، والله أعلم، أبو بكر أيوب بن أبي تميمة المذكور في الجزء الثاني من اللباب في تهذيب الأنساب لعز الدين بن الأثير الجزري صفحة 108 من طبعة بغداد.

11) انظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري، الجزء الثاني، صفحة 27.

12) حاولت أن أجمع جل قراءاته الشاذة في العدد السابع من السنة السادسة عشرة من «دعوة الحق». ومع حرصي أن يكون الجمع شاملا ـ لأن الجمع الشامل للقراءات الشاذة سيساعدنا كثيرا على تكوين فكرة علمية دقيقة عن اللهجات العربية، فإنني نسيت التعرض لـ «تذخرون» الموجودة في هذه الآية. انظر العدد المذكور أعلاه من مجلة «دعوة الحق» الحاشية 10 من الصفحة 66.

13) هو صالح بن زياد بن عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم بن الجارود بن مسرح الرستبي أبو شعيب السوسي. قرأ على حفص بن عاصم.
مات رحمه الله في أول سنة 261 هجرية وقد قارب السبعين (انظر ترجمته المفصلة في غاية النهاية لابن الجزري الجزء الأول، صفحة 332 ـ الترجمة رقم 1446.

14) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، الجزء السابع، صفحة 321.

تددخرون (4) تدخرون. هذه هي قراءة الجمهور التي توافق النطق التميمي ويظهر أن هذا التأثير هو الذي ساد في القرآن الكريم. وفعلا فكلما جاءت التاء بعد الذال إلا وأبدلت الذال الأصلية دالا مهملة ليتسنى لها أن تدغم في الدال المنقلبة عن التاء. مثال ذلك : «ادكر» في قوله تعالى **«وادكر بعد أمة...»** (15) و **«مدّكر»** في قوله تعالى ، **«... فهل من مدكر»** التي تكررت ست مرات في السورة الرابعة والخمسين (القمر) (16).

وكلما كانت التاء قبل الذال إلا وأذغمت التاء في الذال دون تحويلها إلى ذال أودال. لأن من عادة العرب أن تكسب الحرف الضعيف قوة بادغامه في الحرف الأقوى. والتاء أضعف من الذال. ولذلك أدغموها في الذال. وذلك في مثل قوله ، **«ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولي الألباب»** (17) أذغمت التاء في الذال في «يذكر» (18).

السبيل الثاني ؛ أن يتأثر الصوت الثاني وهو الدال المنقلب عن تاء افتعل بالصوت الأول. وهو الذال. يسمى هذا عند اللسانيين بالتأثر التقدمي (Progressive). وعندئذ ينطق بها (تذخرون) بذال معجمة مشددة.

ويجوز طبعا في هذه الحالة الفك. فيقرأ القارىء «تذدخرون». وبهذا قرأ كما قلنا أبو شعيب السوسي في رواية عنه.

---

15) الآية 45 من السورة 12 يوسف.
16) وردت مكررة في هذه السورة في الآيات 32،22،17،15.
17) الآية 269 من السورة الثانية البقرة. تكررت هذه اللفظة «يذكر» بادغام التاء في الذال المعجمة خمس مرات أخرى غير هذه في آل عمران، الآية 7 وفي سورة ابراهيم، الآية 52 وفي سورة الفرقان، الآية 62 وأخيرا في عبس، الآية 4.
18) كما سنجد في القرآن صيغا أخرى من هذه المادة ادغمت التاء في الذال.

الوسيلة الأدبية

●● صدر للدكتور عبد العزيز الدسوقي رئيس تحرير مجلة (الثقافة) القاهرية كتاب جديد من تحقيقه بعنوان (الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية ـ الجزء الأول لحسين المرصفي. وقد مهد المحقق للكتاب بمقدمة دراسية تعرف بحياة المرصفي ومصادر ثقافته ومؤلفاته ومنهجه في التأليف.

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب (الوسيلة الأدبية) كان في الأصل محاضرات ألقاها المرصفي على طلبة دار العلوم بالقاهرة في مستهل القرن الميلادي الحالي.

مِنْ وَحْيِ الرَّبَابَة

تأليف: الأستاذ الحاج عبد الكريم الرايس
كتب مقدمة الكتاب: الأستاذ عبد اللطيف أحمد خالص

•• يصدر قريبا للفنان المغربي الحاج عبد الكريم الرايس كتاب جديد حول الموسيقى الأندلسية المغربية ـ يحمل عنوان (من وحي الرباب) وقد كتب الأستاذ عبد اللطيف أحمد خالص مقدمة ممتازة لهذا الكتاب، نرى من المفيد أن ننقلها للقارىء شاكرين للمؤلف والمقدم فضلها ••

يسرني غاية السرور، ويسعدني أيما إسعاد، أن أقوم اليوم بتقديم كتاب «من وحي الرباب» وهو عبارة عن مجموعة من الأشعار والأقوال والتواشيح والأزجال والكلام المنظوم الموزون. المعروف عندنا بالملحون، تلبية لرغبة ملحة عبر لي عنها مرارا أخونا الأستاذ الفنان الحاج عبد الكريم الرايس. رئيس مجموعة موسيقى «الآلة» بمدينة فاس المعروفة بمجموعة المرحوم البريهي وأحد كبار رجالات هذا الفن في بلادنا. والذي قام بهذا العمل الأدبي والفني الرائع.

وعملية هذا الجمع ذات أهمية قصوى. فقد جاءت لتسد فراغا كبيرا في هذا المضمار، كما تمت في ظرف أخذ الإقبال يتزايد فيه بكثرة على هذا الطرب المغربي الأصيل. وأصبح عدد كبير من الهواة والعشاق. والمحترفين الحذاق. يتناولونه. حسبما هو معروف في المدينة التي يوجدون بها. وحسبما هو محفوظ عندهم في الكنانيش الفردية. والدفاتير الشخصية. وبعض الأوراق المتناثرة هنا وهناك. وتزداد أهمية عملية الجمع هذه. إذا ما اعتبرنا ما يقوم به بعض المهتمين بموسيقى «الآلة» من مجهودات جبارة للحفاظ على هذا التراث المغربي الأصيل. الذي كاد الإهمال الذي لقيه عبر التاريخ يؤدي بالاشعار والأقوال المستعملة فيه إلى الإندثار والضياع. كما أدى ببعض الأنغام والألحان المستعملة فيه إلى الإنحلال والإنصداع.

والحقيقة أن موسيقى «الآلة» من أهم الآثار التي يزخر بها التراث المغربي الحديث نظرا لما تشتمل عليه من أنغام توارثها الأباء عن الأجداد. ومن معان سامية يتشبث بها الأبناء والأحفاد. ومن آلات عتيقة ما زال العازفون في الوقت الحاضر يحافظون عليها. كما يحافظون على

الطريقة التقليدية التي كان يستعملها بها أسلافنا منذ قرون مضت.

إن موسيقى «الآلة» لا تهم الجانب الغنائي فحسب. ولكنها تمس جوانب متعددة من الحضارة المغربية. ومناحي متنوعة من المدنية القومية تتجلى. أولا. في تعدد الألحان العذبة والأنغام الشجية. والإيقاعات التي غنيت بها موسيقى «الآلة» كما تتمثل. ثانيا، في التراث الأدبي الزاخر بالأشعار البديعة. والكلمات الرفيعة. والأقوال العجيبة، إلى غير ذلك من زجل وملحون جمع بين رشاقة المبنى، وجلالة المعنى، وعمق التفكير، وحسن التعبير. الأمر الذي جعل الخلف يطرب لها بقوة لا تقل عن الإهتزاز الذي كانت تحدثه هذه الألحان والأنغام والأقوال والكلام في نفوس السلف. أما الجانب الثالث الذي يضفي على «الآلة» هالة الإعجاب بها. والإكبار لها. فهو نوع الآلات المعهيدة التي يعزف بها الهواة والمحترفون في هذا الفن. وطريقة العزف على هذه الأدوات الموسيقية الوترية القديمة كالرباب الذي يرجع استعماله إلى القرون الوسطى، وكيفية أداء هذه الموسيقى. ذلك أن المعروف عن طريقة أداء هذه الموسيقى انها تتميز بكونها طريقة موسيقى جماعية. تفرض في نفس الوقت العزف والغناء. والترديد والأداء. ويعني هذا أن أعضاء المجموعة الموسيقية يستعملون، عند العزف، غالبية الآلات الموسيقية إن لم تكن جميعها. على وجه التحقيق والتدقيق. كما أنهم يقومون، جميعهم. بالتغني بألحان هذه الموسيقى. ولا يتوقفون عن العزف الجماعي ساعة الغناء، بخلاف ما هو عليه الأمر عند المجموعات الموسيقية الحديثة التي يتوقف فيها العزف ساعة الغناء، أو التي يوكل الغناء فيها إلى شخص واحد أو إلى مجموعة صوتية يطلق عليها اليوم إسم «كورال» وقد لا نفي موضوع هذه الطريقة التقليدية حقه إن لم نشر إلى الكيفية التي كانت تجلس فيها مجموعات موسيقى «الآلة» فقد كان يخصص لها ركن أو زاوية في البيت أو في فناء الدار، تبث فيه زراب وأفرشة وأرائك يقعد فيها أفراد المجموعة للشروع في عملهم الفني من عزف وغناء، إذ يجدون في هذه الجلسة جميع أسباب الراحة والهناء دون أن يفرضوا على صاحب الحفل مكانا مرموقا في البيت تقام فيه منصة خاصة وتوضع به كراس مرتفعة. كما هو عليه الأمر اليوم بالنسبة للمجموعات الموسيقية الحديثة المسماة بالأجواق العصرية. كل هذا يجعل غيرتنا كبيرة على هذا التراث المغربي رغبة في الحفاظ عليه، وعلى طابعه الأصيل حتى يظل كالمباني الأثرية الخالدة الموجودة في بلادنا بكثرة ثابتا راسخا كالطود الشامخ. يتحدث في تحد واعتزاز. عن أمجادنا الوطنية. ويخلد حضارتنا القومية. ويعرف بأصالتنا الثقافية والفكرية والفنية على السواء. ويضمن لبلادنا استمرار الإشعاع الفكري والديني الوهاج. والإشراق الفني والروحي المجيد. الذي واكب حياتنا في القرون الماضية. والذي سيتواصل بحول الله، في الحال والإستقبال.

وقد دفعت الغيرة الأكيدة على هذا التراث الأصيل بعض المؤلفين من المواطنين المتمسكين بأصالتهم القومية، وإنسيتهم المغربية، من أدباء وعاة، وعلماء حماة، إلى بذل جهود جبارة لصيانة هذا التراث، وإحلاله المكان اللائق به ضمن مظاهر حضارتنا. فعملوا على التعريف به بين المواطنين، عموما، وشبابنا، خصوصا، والمثقفين منهم بصفة أخص، وإنشاء المعاهد الموسيقية الكفيلة بتلقين أصوله إلى الناشئة المغربية. وتأليف الكتب العديدة عنه. ونشر المؤلفات القديمة المتعلقة به. وطبع المخطوطات التي تشتمل على الأشعار. والأقوال. والتواشيح. والأزجال التي وجدت في بعض الخزانات العامة والخاصة. وتجديدما طبع منها في الماضي. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما

قام به أخونا الفنان الحاج ادريس بنجلون التويمي رئيس جمعية هواة الموسيقى الأندلسية بالمملكة المغربية، وأخونا الأستاذ الفنان السيد عبد اللطيف بنمنصور اللذان عملا على طبـــــع مجموعة «الحايك» في حلل باهية وأشكال زاهية، وما سعى إليه بعض المتعلقين بهذا الفن الأصيل من إخراج بعض النوبات منفردة أو مشتركة إلى حيز الوجود حسب الرسم الموسيقي المعروف «بالنوطة» كعمل الأستاذين التازي لبزور والشامي، وهي وايم الحق، أعمال جليلة واهتمامات جميلة يستحق أن يجازى عليها كل الذين دفعهم حافز الغيرة الوطنية إلى الإعتناء بهذا الفن والقيام بحفظه، كليا أو جزئيا، من الضياع.

وقد جاء عمل الأستاذ الحاج عبد الكريم الرايس ليكلل هذه الجهود المبذولة إذ لأول مرة يتصدى رئيس مجموعة موسيقية يشهد له الجميع بطول الباع في الميدان، ليضطلع عن معرفة وروية، بهذه المهمة الجليلة والتبعة النبيلة.

والفنان الحاج عبد الكريم الرايس جمع بين المعرفة والتطبيق، فهو حافظ كبير لموسيقى الآلة شعرها وكلامها، ألحانها وأنغامها، وهو في نفس الوقت عازف بارع يتقن استعمال مختلف الآلات، وفي طليعتها، الرباب الذي قل عدد الذين يحسنون استعماله. وهو إلى جانب ذلك، رئيس مجموعة موسيقية استطاعت بقدرة أعضائها الفنية الفائقة وجهودهم المتواصلة المتناسقة، وحافظة قائدهم العجيبة، وتمكنه من هذا الفن البديع أن تصبح من أحسن المجموعات الموسيقية في بلادنا، يتسابق المواطنون بصفة عامة، وهواة الآلة بصفة خاصة إلى إحضارها في كل سهرة واشراكها في كل حفل، إلى درجة أصبح فيها بعض المواطنين لا يعتبرون أفراحهم تامة، ومسراتهم كاملة، وندواتهم شاملة إلا إذا شاركت فيها مجموعة المرحوم البريهي ورئيسها المبدع السيد الحاج عبد الكريم الرايس.

وسوف لا أعدو الحقيقة إذا قلت بأن أخلاق هذا الفنان الكبير، ولطف سلوكه مع الناس، ومع أفراد جوقه، وحسن معاملته مع الناس، وما يتمتع به من صفات حميدة، ومزايا مجيدة، كل هذه العوامل تذكي رغبة الناس في التعامل معه ومع مجموعته الفنية. وقد سنحت لي فرصة التعرف على فناننا الحاج عبد الكريم الرايس منذ مدة طويلة بحكم هواي لموسيقى «الآلة». واتصالاتي العديدة به، فوجدت فيه مثال الرجل العامل بحنكة نادرة، وقدرة باهرة وإتقان لا يشوهه افتراء أو ادعاء، وتمكن من الفن لا يشوبه اختلال أو التواء. وقد كانت مسؤولياتي على رأس دار الإذاعة والتلفزة المغربية خلال أزيد من أربع سنوات ونصف خير مناسبة لمعرفة رجالات الفن في بلادنا، والإحتكاك بغالبيتهم، فعرفت من هذه الإتصالات المباشرة، والمذاكرات المتكررة، قدرتهم الفنية، ونفسيتهم الأخلاقية، وشره البعض منهم، وسوء تعاملهم فيما بينهم وبعضهم مع البعض. وقد وجدت الفنان الحاج عبد الكريم الرايس من خيرة المطربين علما وعملا، وخبرة وسلوكا، وتعلقا بمعالي الأمور، وإعراضا عن سفاسفها، وجدته مستعدا لإعطاء المزيد من علمه وفنه، ملبيا الرغبات التي يعرب عنها الهواة والمحترفون، دون تردد ولا تلكؤ، لا يقيد هذا العطاء بشرط مالي أو غيره، ولا يبخل بتزويد المستمعين ومشاهدي التلفزة بكل طريف وتليد، ولا يمنع المعجبين من التسجيل أو التحصيل، ومن أغرب ما أتذكره أنني كنت ألجأ إليه كثيرا عند تحقيق بعض المشروعات التي يرفضها غيره مسبقا، فأجده يتقبلها عن طواعية مثالية وبتجرد كامل، حتى إذا ما أنجز الأعمال الفنية المطلوبة منه، وشاهد زملاؤه رؤساء المجموعات الأخرى ما قام به، رجع هؤلاء الزملاء الذين قابلوا هذا العرض بالرفض في أول الأمر، إلى الأدلاء بدلوهم، والمشاركة في انجاز المشروعات

المقترحة اقتداء بما فعله الحاج عبد الكريم الرايس ومجموعته الموسيقية. وقد كان حرصي عظيما - وأنا مدير عام لدار الإذاعة والتلفزة المغربية من 17 يونيو 1974 إلى 26 دجنبر 1978 - على تحقيق عدد من المشروعات الموسيقية عموما، وموسيقى الآلة خصوصا. بغية الحفاظ على هذا الفن الموسيقي المغربي من الضياع، وسعيا وراء تخليد هذا الفن الذي تعرض فيما يخص الكتابة والتسجيل إلى مزيد من الإهمال. خلال القرون الماضية، والتي عملت الأمية المتفشية بين المحترفين فيه، والمتعاطين له، على تقليص مكانته ضمن التراث المغربي، لولا أن تداركته العناية الربانية في العقود الأخيرة عندما تصدى بعض العلماء والمثقفين والنقاد والمؤرخين. للكتابة فيه والتعريف به وتأريخ الجوانب الفكرية والفنية منه، كالأساتذة السادة الشيخ أبي اسحق ابراهيم التادلي في كتابه «السيقا في علم الموسيقى» والمكي امبيركو الذي ألف ست نوبات نالت من الجودة والإتقان ما يطرب له كل مؤرخ وكل فنان، والوزير محمد الفاسي والعلامة عبد الله بن العباس الجراري وولده الدكتور عباس الجراري، والمؤرخ الثبت محمد المنوني .

وإن من حسن حظ هذا الفن الأصيل أن يقوم اليوم الحاج عبد الكريم الرايس بجمع آثاره حسب المستعملات الرائجة اليوم في فاس. ولو كانت مختصرة، أسوة بما فعله الجامعي في عهد السلطان الحسن الأول وإذا كان البعض من المهتمين بهذا الفن، يرى أنه كان من الأولى بالفنان السيد عبد الكريم الرايس أن ينشر مجموعة الأشعار والتواشيح الموجودة بكناش «الحايك» كاملة غير منقوصة، لما تتسم به هذه المجموعة من الشمول والكمال - وهو أعرف الناس بها وأكثرهم حفظا لها - فإني أحبذ، مع ذلك، نشر هذا المختصر لأنه جمع أهم الأشعار والتواشيح المستعملة، فضمن بذلك تيسير تداولها بين القراء والهواة والحفظة والرعاة أما إذا طلب هؤلاء المهتمون بهذا الفن مزيدا من المعلومات، ورغبوا في الحصول على الوافر من المحفوظات، ففي إمكانهم أن يرجعوا إلى المجموعات الكبرى - وقد أشرنا إلى أن الأستاذ السيد الحاج ادريس بنجلون التويمي. والأستاذ السيد عبد اللطيف بنمنصور، قد قاما بنشرها من قبل - وسيجدونها سهلة المنال، يسيرة الإستعمال، وسوف لا يتوقف الأمر آنذاك، بالنسبة إليهم، إلا على إشباع نهمهم في التطلع والبحث، وإرواء ظمإهم إلى الكمال والشمول، فيتحق لهم بذلك الفيض بعض الغيض والكثر بعد القل، ولهذا فإني لا أرى داعيا لأن يلح بعض الباحثين المولعين بموسيقى «الآلة» إلحاحا كبيرا على أنه كان من الأولى بالفنان الحاج عبد الكريم الرايس أن يقدم لجمهور عشاق هذه الموسيقى مجموعة «الحايك». وان لا يقتصر مجهوده على إخراج هذا المختصر، رغم أني أعتبر أن هذه الملاحظة وجيهة. لا يجادل فيها إلا مكابر، خصوصا وأن الفنان الحاج عبد الكريم الرايس معروف بحافظته القوية، وإطلاعه الكبير على كل ما يستعمل في موسيقى الآلة من أشعار وإزجال وتواشيح وأقوال، كما أنه معروف بتمكنه الكبير من أسرار هذا الفن الموسيقي الأثيل، وحفظه لمختلف النوبات والأنغام التي يزخر بها هذا التراث الأصيل ولكن اعتبار هذه الملاحظة لا يعني أن هذا العمل الفني والأثر الأدبي، الذي يقدمه لنا الأستاذ الحاج عبد الكريم الرايس في هذه المجموعة لا يكتسي أهمية قصوى. ذلك أن مختصر الجامعي لم يكتب له أن عرف النور عن طريق الطبع والنشر، بل إنه ظل مخطوطا لا يقف عليه إلا الحذاق من أهل هذا الفن والعارفون بأسراره العجيبة، وهو مختصر بذل فيه صاحبه الوزير الجامعي مجهودا جبارا إذ جمع حوله الحذاق، وأرباب الأذواق، ليقوموا باختيار

أجود الكلام المستعمل المأخوذ من «الحايك»، وأحسن المقطوعات التي كان الناس يتغنون بها في عهد السلطان الحسن الأول. وهذا المختصر ظل متداولا بين الناس، عامة. وبين سكان فاس. بصفة خاصة. ينقله السلف إلى الخلف ويتلقفه الأبناء من الآباء. والتلاميذ والطلبة من الأساتذة والشيوخ. أما كناش «الحايك» فقد كتب له أن يعاد طبعه. وأن يتولاه بالدراسة عديد من المهتمين بهذا الفن كالأستاذ الفنان الحاج ادريس بنجلون وقبله الأستاذ الفنان عبد اللطيف بنمنصور وغيرهما.

بينما ظل مختصر الجامعي منسيا مهملا لا يرجع إليه أحد. ولا يقبل على طبعه وإخراجه إلى حيز الوجود أي باحث أو دارس مولع بهذا الفن، رغم أن محتواه هو المستعمل أكثر من غيره، خصوصا بالنسبة للذين تلقوا هذا الفن من أفواه الرجال. كما هو الأمر، بالنسبة للفنان الحاج عبد الكريم الرايس الذي أخذ هذا الفن مباشرة من صهره وأستاذه الفنان المرحوم السيد محمد بن عبد السلام البريهي.وإني شخصيا لا أرى أي ضير في أن يقوم الفنان الحاج عبد الكريم الرايس بإخراج مختصر الجامعي، حتى يسهل تداوله بين عشاق هذا الفن والهواة المعجبين به والمتتبعين لنشاط «جوق» البريهي الذي يعتبر هذا المختصر أهم مرجع يعتمد عليه في أعماله الفنية.

وكيف ما كان الأمر. فقد أحسن رئيس مجموعة البريهي صنعا بإخراج هذه الوثيقة الزاهية إلى حيز الوجود، وتيسير تناولها، كما أحسن غيره فعلا بطبع «الحايك» أو بعض النوبات منفردة كما هو الشأن بالنسبة للعمل الفني الذي قام به الأستاذان السيدان الشامي والتازي لبزور. فكل هذه الأعمال الفنية جليلة في حد ذاتها، سواء كانت تكتسي صبغة الشمول والكمال، أو صفة الإختصار والاصطفاء، أو شكل الانفراد والتجزئة، فقد جاءت كلها ملبية لحاجات المولعين بهذا الفن المغربي الجميل. ميسرة لهم. جميعا، وسائل الإستمتاع به. والتعمق في دراسته، والاغتراف من هذه المنابع الجميلة، والروائع الجليلة التي أصبح الإقبال عليها كبيرا في الوقت الحاضر والحمد لله.

وقد عمل الأستاذ الحاج عبد الكريم الرايس كل ما في وسعه لإخراج هذه الأشعار في حلة رائعة من حيث الطبع. وبذل مجهودا لتصحيح ما طرأ على بعض الأشعار والأزجال من تحريف أو أخطاء. وحاول في أول كل نوبة أن يعمل على تقديمها إلى جمهور عشاق موسيقى «الآلة» والتعريف بأصولها. وبيان ما تشتمل عليه من أنغام إلى غير ذلك من التوضيحات والتصويبات الضرورية، وقد عملت، من جهتي، على تصحيح بعض الأشعار التي عبثت بها ألسنة العوام فحرفتها عن وزنها الحقيقي وبحورها المعروفة. وأعترف أنني لم أستطع الاضطلاع بهذا الدور من أول المجموعة إلى آخرها بل اكتفيت بتصحيح ما في النوبات الأربع الأول، وكان بودي أن أواصل هذا العمل الذي قمت به، بكل فرح وسرور، من بدايته إلى نهايته، ولكني لم أستطع إتمام هذا العمل نظرا لضيق الوقت من جهة، وقلة المصادر التي يسهل تناولها، من جهة ثانية، وما يعتري هذه المصادر نفسها، وعلى قلتها، من تحريف، من جهة ثالثة.

وخلاصة القول، فقد أدى الفنان الحاج عبد الكريم الرايس واجبه في الميدان، وقدم باكورة أعماله هدية لعشاق الفن الأندلسي، كما سمحت له بذلك الظروف والوسائل، ووضع بين أيدي الباحثين والدارسين مادة خام يتعين على من يهمهم، في الحاضر والمستقبل، أمر هذه الألوان الموسيقية، والقصائد الشعرية أن يرجعوا إلى ما شاهد النور منها حتى الآن، كما ينبغي لهم أن يرجعوا إلى المصادر الأولى، سواء منها المخطوطة أو المطبوعة في طبعات تعد اليوم بمثابة

المخطوطات، نظرا لقلتها، كما يتحتم، على هؤلاء الدارسين والباحثين، التعمق في هذه الآثار، ومقارنة بعضها مع بعض، وتصحيح ما علق بها من أغلاط أو تحريف، وإصلاح ما اعتراها من نقص أو خلل حتى تسترجع هذه الآثار المكانة اللائقة بها ضمن الإنتاج الأدبي والفني في المغرب الحديث، ويغدو تناولها بين الناس، عامة والمثقفين والهواة، خاصة، أمرا عاديا لا يتطلب عناءا كبيرا، وجهدا مرهقا لا يقدر على تحملها الا أولو العزم والحزم، والراسخون في الفن والعلم الذين لا يلويهم عن شغفهم في البحث والتنقيب بأس ولا نصب، ولا يصدهم عن الدراسة والتحقيق ضنك ولا تعب، وإذا كان الحاج عبد الكريم الرايس قد أدى بعض الواجب بإخراج مختصر الفقيه الجامعي إلى حيز الوجود، ووضعه رهن إشارة عشاق الطرب الأندلسي، فاستحق بذلك الثناء الجميل على حسن صنعه، فإن هذا لا يمنعنا من القول بأن المسؤولية ما زالت ملقاة على عاتقه، والأمانة ما فتئت منوطة بجميع المطلعين على أسرار هذا الفن المتناهية ليعرفوا به، وبرجاله، وليعملوا أولا على تسجيل موسيقى «الآلة» تسجيلا كاملا لا يعتوره نقص، ولا يشوبه خلل، على الأشرطة الاليكترونية التلفزية منها والإذاعية، التي عرفت في العقد الأخير تطورا تقنيا مذهلا، وتقدما فنيا مدهشا يسمحان بالحفاظ على مختلف الآثار الصوتية، وغيرها في أجمل الصور، وتخليدها في أبهى الحلل، وليبذلوا المساعي الإيجابية لتسجيلها بواسطة الرسوم الموسيقية المعروفة بـ «النوطة».

وأعتقد أن الأمر هين على الأستاذ الفنان الحاج عبد الكريم الرايس إذا شمر عن ساق الجد، وواصل ليله بنهاره. ليعرف بهذا التراث المجيد، ويلقنه للأجيال الصاعدة، ويبعث في روح أبناء هذا الوطن الاعتزاز بهذا الفن، والإقبال والارتواء من منابعه الفياضة، ذلك أن الأستاذ الحاج عبد الكريم أستاذ بالمعهد الموسيقي بفاس، ورئيس مجموعة موسيقية تتمتع بسمعة فائقة اكتسبتها بفضل طاقة أعضائها الفنية، ومساهمتهم المتواصلة في مختلف المهرجانات الوطنية والدولية التي يناط بهم في كثير من الأحيان، مهمة تمثيل الموسيقى المغربية فيها، والتي يضطلعون بأعبائها على أكمل وجه وأحسن حال، ولعل هذا ما يجعل مسؤولية الأستاذ الحاج عبد الكريم، وأعضاء مجموعته كبيرة وثقيلة، إذ الأمر لا يتعلق بتوعية المواطنين والأجانب بموسيقى «الآلة» فحسب، ولكنه يتعلق، أيضا، بتقديم هذه الموسيقى حسب أصولها الأثيلة، وطرقها التقليدية الأصيلة، ومعنى هذا أن الواجب الفني والتاريخي يفرض على هذه المجموعة - ورئيسها في المقدمة - أن يكون تقديم هذه الموسيقى في قالبها العتيق، وشكلها التاريخي، وإطارها الحقيقي. وإذا كان جمهور هواة الموسيقى الأندلسية يطربون ويمرحون بإعجاب كبير، خلال عزف وأداء مجموعة المرحوم البريهي، فإن هذا الطرب والإعجاب يرجعان إلى كون هذه المجموعة تعمل، جهد المستطاع ، على الحفاظ على التقاليد السليمة، والطرق القديمة التي كانت تؤدي بها موسيقى «الآلة» ذلك أن الأستاذ الحاج عبد الكريم يتعمد استعمال الآلات الموسيقية التقليدية، ويبذل ما في وسعه، للامتناع عن إدخال الآلات والأدوات الموسيقية الحديثة التي تشوه، بحق، وجه موسيقى «الآلة» وتبعث في روح المستمعين والمشاهدين لها عدم الانشراح والارتياح وسوف لا أبالغ إذا قلت بأن محاولات التجديد التي يقوم بها بعض المسؤولين عن بعض المجموعات الموسيقية الأندلسية، وبعض الهواة تبعث الضجر والاشمئزاز لأنها - وإن كانت تنم عن نوايا صادقة - لن تؤدي - وللأسف الشديد - في نهاية الأمر إلا إلى اضمحلال هذه الألوان الموسيقية التي ستصبح بمثابة ذلك

الطائر الذي حاول تقليد غيره من الطيور في مشيتها ففقد بذلك مشيته، ولم يتوفق في اكتساب طريقة ما قلده في مشيته، فحذار حذار من عدوى التقليد التي تكتسي - خداعا - صبغة التجديد، إن موسيقى «الآلة» في حاجة إلى إصلاح ما في ذلك شك، ولكن الإصلاح الذي نريد يجب أن يهدف إلى رأب ما عرا موسيقانا العزيزة من انصداع، وترميم ما تفكك أو تلاشى من أنغامها وألحانها، والتنقيب على ما ضاع أو تداعى من موازينها وألوانها، وصيانة ما تبقى لنا منها من آثار، واحاطتها بكل ما يقيها من الانحلال والاندثار.

ومن البديهي أن الحفاظ على هذه الموسيقى، وما تحتوي عليه من فنون القول والنغم، صنوف اللحن والكلم لا يقتضي نشر هذا التراث فحسب، ولكنه يقتضي الاستمساك بالطرق الفنية والمادية التي كان يؤدي بها، والتشبث بالإطار والشكل الذي وصل به إلينا، وعدم محاولة إرضاء رغبات الجماهير والعوام بالتضحية بالنوبة والإنشاد والمقام.

وإني أغتنم هذه المناسبة لأطلب من أخينا الحاج عبد الكريم، وبكل إلحاح، بذل مزيد من الجهد لاحترام تقاليد أداء هذه الموسيقى ، والعض بالنواجد على طرق العزف والغناء الجماعيين، والإكثار من الإنشادات المشهورة الباهرة في مختلف صنعات «الآلة» المعروفة الزاهرة حتى لاتنقرض وتضيع، كما انقرضت عدة أنغام وألحان من هذه الموسيقى، والإعراض بكل قوة وإصرار، وبحزم واستمرار، عن المواويل المتداولة هنا وهناك، خصوصا في الحفلات الوطنية الكبرى والمهرجانات الدولية العظمى، وإني أقدر موقف الحرج الذي أضع فيه أخانا الحاج عبد الكريم، الذي تضطره رغبة بعض إنصاف المثقفين والهواة، وكثير من الرعاع والعوام إلى توقيف السير الطبيعي، والأداء العادي لكل ميزان من موازين نوبات هذه الموسيقى، وقضاء أوقات طويلة في سماع مواويل لأصلة لها بموسيقى «الآلة» سوى إطلاق العنان، والسماح في اطمئنان وأمان، دون وعي ولا إمعان للزج بهذا الفن الأصيل في هرج ومرج، وصيحات لا تخلو من ضوضاء لم يحك لنا تاريخ طرب «الآلة» لها من مثيل ، والتي لا نعدو الحقيقة العلمية إذا قلنا بأنها من باب الغزو الموسيقي، والتيار الفني الشرقي والغربي والتي لا نرى مانعا في اعتبارها من باب الفن الدخيل.

وسوف لا تكمل مهمة الأستاذ الحاج عبد الكريم، إلا إذا أضاف إلى هذه الأعمال الرامية إلى التعريف بموسيقى «الآلة»، وتعميمها بين المواطنين وتوعية الأجيال الصاعدة بها، نشاطا ثقافيا موازيا يخص التعريف برجالات هذا الفن الذي أسدوا خدمات مثلى في هذا الميدان أذكر في طليعتهم الأساتذة الذين أخذ عنهم هو بنفسه، «والمعلمين» المعروفين في هذا الميدان كالسادة البريهي، والحاج أحمد تحيفة، ومحمد واشاواش العلمي العارف بإيقاع الدربكة، ومنصور، والمعلم سعيد وتلميذه الفقيه المطيري، وعثمان التازي، والخصاصي، وعيوش واللعبي، والساوري، وكريش وعزوز بناني، ودادي بفاس، والحاج الطيب بلكاهية، والحاج عبد السلام بنيوسف، والحاج عبد السلام ملين، والحاج مصطفى المعروفي، وحبيبي أمبيركو، والحاج محمد البيطاوري، والفقيه الروندة، وابنه الحاج محمد الروندة، وعمر الجعيدي وابنه محمد، وأحمد بناني وولده أبي بكر، وأحمد بن المحجوب زنيبر، وأفراد كثيرين من عائلة گديرة بالرباط والبارودي بسلا والصبان بمراكش، وأفراد أسرة الحراق وبنونة بتطوان، والعربي السيار بطنجة، والشرفاء الوزانيين في مختلف مدن المغرب وقراه، وكثير غيرهم من الذين لم أستحضر الآن أسماءهم والذين يعدون، بحق، من أعلام هذا الفن في جميع أنحاء المملكة

المغربية، والذين استطاعوا، بعملهم الدؤوب، أن يبلغوا هذه الرسالة الفنية، حسب طاقاتهم المبدعة، وإمكاناتهم وقدراتهم الممتعة، وينقلوها بأمانة وإخلاص إلى الأجيال التي لحقت بهم، دون تبديل أو تغيير، ولا تلاعب أو تقصير.

ان تعلق الأجيال الصاعدة بهذا الفن الجميل، وإقبالها على هذا التراث البديع بكثير من الحماس والحمية، والتروي من معينه الزاخر المعطاء بمزيد من الفرح والحبور ـ أقول ـ ان هذا التعلق لا يمكن أن يتم إلا إذا عرف الأحفاد ما قام به الأجداد، ووقف الخلف على ما تركه السلف، وتشبع الأبناء بالروح الخلاقة الأمينة التي هيمنت على الآباء.

في هذا يفرض علينا، جميعا، وفي مختلف مستويات المسؤوليات التي نتحملها، مواصلة البحث والتنقيب عن المصادر الخاصة بهؤلاء الأعلام، والوثائق المتعلقة بعملهم الفني حتى تسهل عملية التعريف بهم وبآثارهم، وتخليد ذكرهم وأخبارهم، والتذكير بأمجادهم وأسرارهم، ومما لا ريب فيه، أن هذا الأمر لا يهم رجال الموسيقى وحدهم ـ وإن كان القسط الأوفر من هذه التبعة يقع على كاهلهم عموما والأساتذة منهم خصوصا ـ ولكنه يهم المثقفين من المواطنين، عامة، والجمعيات الثقافية والمؤسسات الفنية، خاصة، والوزارات والإدارات المعنية كالثقافة، والتربية الوطنية، والشبيبة والرياضة، وأكاديمية المملكة المغربية، ومسرح محمد الخامس، وغيره من المسارح الأخرى، وجمعية هواة الموسيقى الأندلسية، بصفة أخص فليشرع أخونا الحاج عبد الكريم في هذا العمل الجليل، وفي المؤلفات المقبلة التي وعدنا بها، والتي ستكون أشمل من هذا المؤلف الذي كان لي شرف تقديمه إلى عشاق هذا الفن، وشغف الاشتغال بتصحيح بعض فصوله فإن الفضل كل الفضل للأسبق، وعسى أن يكون عمله هذا وما سيليه ـ بحول الله ـ بداية لانطلاق حركة تعريف بهذا الفن ورجالاته.

وحبذا لو أضيف إلى هذه الأعمال الفردية المحمودة العواقب والنشاط الحكومي والإداري المأمول عمل أدبي وفني جماعي يشترك في إنجازه الأساتذة المعروفون بطول الباع في هذا المضمار والإدارات والمصالح والمؤسسات المهتمة بالفن ورجاله الأبرار للخروج ببرنامج محدد المعالم ينهض بهذا الفن البديع من جهة ويضع حدا للفوضى السائدة في هذا الميدان نظرا لتناوله من طرف أفراد لا تتوفر فيهم شروط الكفاءة المطلوبة رغم صدق رغبتهم وحسن نيتهم من جهة ثانية.

لقد سمحت لنفسي، وأنا أقدم كتاب «من وحي الرباب» بإبداء بعض الملاحظات التي سنحت لي، والتي أراها ضرورية للحفاظ على هذا الجانب الغالي من حضارتنا الوطنية، وشخصيتنا المغربية، وقد يرى البعض من القراء والهواة أن المقام غير موافق لذلك، ولكنني أومن بأن المناسبة شرط وأن الضرورة تدعو إلى الجهر بهذه الأفكار حتى تتجند كل النوايا الحسنة، والطاقات البارة للمساهمة في هذا العمل، خصوصا وقد أصبحنا نرى عددا من المتهافتين على الفن يطلقون العنان لألسنتهم وأيديهم للخوض في ميدان موسيقى «الآلة» هذرا وهذايانا، وقسرا وبهتانا إذ يعتقدون أنهم يتكلمون فيها بينما هم يهرفون، ويبطشون في حلبتها ولا يعرفون إن الأبحاث المطلوبة في هذا الميدان أبحاث علمية صرفة والأعمال المنتظرة أعمال فنية محضة، والحقائق العلمية والأبحاث الدراسية تقتضي أن يندب لكل أمر مهم أهل بلواه، وأن يسند إلى من يعلم حدوده ومداه، أما غير هؤلاء وأولئك من الذين يخوضون في هذه الحلبة بغير علم ولا دراية ولا هوية ولا رواية فإنما، هم، في

واقع الأمر، في الظلام يعمهون، وفي البهتان يتسكعون.

فكيف يمكن لي - والحالة هذه - أن أعرض عن هذه المناسبة وأنأى عنها بجانبها في وقت :

تكاثرت الظباء على خداش....

إني أعتقد أن مقدمة كتاب «من وحي الرباب» خير فرصة لتوضيح المواقف، وتبيان الحقائق، سواء بالنسبة لنا نحن الهواة المولعين بهذا الفن البديع، أو بالنسبة لصاحب الكتاب الذي يعمل كل ما في وسعه لرفع مستوى موسيقى «الآلة» عمليا وعلميا، وتطبيقيا ونظريا.

أحسن الله للأستاذ الفنان الحاج عبد الكريم الرايس وقوى أعوانه، وجازاه وجميع المواطنين الغير على هذا الفن وأعانه.

عبد اللطيف أحمد خالص

الأعمال الكاملة لشوقي وحافظ في مجلدين

●● بمناسبة الاحتفال بشوقي وحافظ أصدرت هيئة الكتاب بمصر مجلدا يضم الأعمال الكاملة لشوقي ومجلدين يضمان كل ما انتجه أمير الشعراء من شعر ومسرحيات وروايات وكتابات نثرية. ويقع المجلد الأول في 3 أجزاء تضم الأشعار التي كتبها شوقي ويقع الثاني في جزءين الأول لمسرحياته «عنتر ومجنون ليلى وأميرة الأندلس وقمبيز ومصرع كليوباترا وعلي بك الكبير والست هدى والبخيلة ويضم الثاني رواياته وكتاباته النثرية وقد قام الشاعر سعد درويش بضبط نصوص هذه المسرحيات وتحريرها وقام بمراجعتها د. عز الدين اسماعيل رئيس هيئة الكتاب.

وقد أصدرت الهيئة طبعة مستقلة لكل مسرحية من المسرحيات الثماني وذلك لتيسير اقتنائها على القراء وفقا لرغباتهم ومتطلباتهم.

أما عن الأعمال الكاملة لحافظ فتقع في مجلدين لكل ما انتج شاعر النيل يقع الأول في جزءين لأشعاره التي نشرت في الطبعة الأولى من ديوانه مضافا إليها عدد من القصائد لم يسبق نشرها والثاني يقع في جزء واحد يضم كتابات حافظ النثرية وترجماته الأدبية وتتولى الآن لجنة علمية بإشراف د. سعد الهجرسي أستاذ علم الببليوجرافيا بجامعة القاهرة بإعداد عمل ببلوجرافي ضخم يتعلق بالشاعرين الكبيرين ويقع في ثلاثة أجزاء الأول دراسة ببلوجرافية والثاني ببلوجرافيا، والثالث تخريج الشعر..

إفتتاحيات البخاري

للدكتور يوسف الكتاني

تعريف :

لعل الإفتتاح أو افتتاحيات الجامع الصحيح لأبي عبد الله البخاري، مما اختص به المغاربة وانفردوا، وكان من مبتكراتهم العلمية، وتآليفهم وإنشاآتهم الحديثية. وقد قصروا تلك الإفتتاحيات على صحيح البخاري وحده، دون بقية كتب الحديث أو الفنون الأخرى، فلم تعرف لهم افتتاحيات لكتاب الموطأ لمالك، أو لصحيح الإمام مسلم، أو لبقية الكتب الستة وغيرها من الكتب الحديثية والعلمية، كالنحو والفقه والأصول وغيرها، على كثرة عناية المغاربة بكتاب الموطأ، وصحيح مسلم وشدة اهتمامهم بهما خاصة.

وقد كان الأمر في الإفتتاحيات، على عكس الختمات التي لم تكن قاصرة على صحيح البخاري وحده، عند الإنتهاء من قراءته واقرائه، إذ مثلما كان يعقد المحدثون والعلماء مجالس لختم صحيح البخاري، ـ كما سنفصل فيما بعد ـ كانت تعقد مجالس لختم مسلم والترمذي وغيرهما من بقية الكتب الستة، كما عرفت العلوم الأخرى مجالس الختم، كالمختصر والأجرومية وابن عاشر وغيرها، وناهيك بختمة الاجرومية للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بجامع القرويين، ومجالس الختم التي عقدها سيدي جعفر وولده سيدي محمد بن جعفر الكتاني وغيرهما.

أما افتتاحيات صحيح البخاري فهي من مبتكرات المحدثين المغاربة، ومن منشآتهم العلمية، غير مسبوقين إليها ـ فيما نعلم ـ كما أنها خصت بصحيح البخاري دون غيره من بقية كتب الحديث، ومن دون بقية العلوم الأخرى.

لذا كانت مظهرا فريدا، من مظاهر اهتمامهم بدراسة الجامع الصحيح، والعناية به، وتفرغهم الكامل لدراسته وتدريسه، وقراءته، وسماعه، وإسماعه، وإفراغ الجهد والطاقة، لتفهم معانيه وألفاظه، والتعمق في دراسة متونه وأسانيده.

مجالسها :

وقد تصدى لعقد مجالس الإفتتاح، المحدثون النابغون من المغاربة، المتفرغون لدراسته وتدريسه، حيث عرفت مراكز الثقافة، من مساجد وزوايا ومدارس بمدن المغرب وقراه، مجالس حافلة لافتتاح البخاري، من طرف العلماء والمحدثين، أمثال الشيخ عبد القادر الكوهن في افتتاحيته المشهورة، والتي عقدها وأملاها في محفل كبير وجمع عظيم سنة 1252 هـ وهي مطبوعة، وافتتاحية صحيح البخاري المسماة «بسملة الصحيح والسندالية لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض حمدون بن الحاج، وافتتاحية الشيخ فتح الله بناني المطبوعة سنة 1347 والتي سماها «رفد القاري» بمقدمة افتتاح صحيح الإمام البخاري» وافتتاحيات

المحدث المدني بن الحسني الثلاث ولدينا الثالثة منها والمسماة «ثالث افتتاح لأصح الصحاح» وقد أملاها في أول رجب سنة 1343 إلى غير ذلك من الإفتتاحيات التي سنذكرها في آخر هذا المبحث، على أن تقدم دراسة مركزة عن هذه الإفتتاحيات الأربع، كنموذج للإفتتاحيات المغربية وتعريفا بهذا الفن من فنون الحديث الذي ابتكره المغاربة وسبقوا فيه غيرهم، وكان مظهرا من أروع مظاهر اهتمامهم بالصحيح.

عناصرها :

تتركز عناصر الإفتتاحيات على ما يلي :

- الكلام على فضل العلم والعلماء ومجالسه وتعليمه وخاصة علم الحديث.
- الكلام عن سبب اقتصار البخاري على البسملة مكتفيا بها عن الحمد لتضمنها معناه اقتداء وجريا على سنن الصدر الأول، وفي مقدمتهم النبي صلى الله عليه وسلم في رسائله.
- الكلام على سبب تصدير الجامع الصحيح بترجمة بدء الوحي بيانا لمقصد المؤلف من كتابه.
- التعريف بالبخاري حياته ونشأته وفضله.
- الكلام عن الجامع الصحيح وكيفية تأليفه.
- الكلام على الإسناد والسند إلى البخاري.
- شرح حديث النية متنا وسندا.

الختم بالدعاء والصلاة على النبي الكريم. (1)

وائل صحيح البخــاري (2)

مصطفى بن محمد القسطموني
ألفه سنة 981 هـ/

مقدمة على صحيح البخــاري (3)

محمد بن قاسم بن محمد جسوس المتوفى سنة 1768/1182

توجد بالخزانة العامة تحت عدد 478 د وهي بخط المؤلف.

نفحة المسك الداري لافتتــاح صحيح البخــاري

حمدون بن الحاج المتوفى سنة 1232 هـ.

افتتاح صحيح البخــاري (4)

عبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي المتوفى سنة 1254 هـ
توجد بالخزانة العامة تحت عدد 1746 د.

رسالة في مناسبة ابتداء البخاري (5) بقوله كيف كان بدء الوحي

محمد بن محمد بن قدور المراكشي اليزمي المكنى بالأبيض المتوفى سنة 1835/1270

بقوله كيف كان بدء الوحــي

بسملة صحيح البخاري والسند إليــه

محمد بن أبي الفيض حمدون بن الحاج السلمي ت1858/1274

---

1) أنظر تفصيل الموضوع في كتابنا مدرسة الإمام البخاري في المغرب 82/1 وما بعدها.
2) تاريخ التراث العربي المجلد الأول ص 339.
3) السلوة 330/1 معجم المؤلفين 199/11 تاريخ التراث العربي ص 31.
4) معجم المحدثين ص 23.
5) الاعلام للمراكشي 294/5 الموسوعة المغربية 88/2.

يوجد بالخزانة الملكية في مجموع تحت عدد 2/173 من ص 93 إلى ص 126.

رفد القاري بمقدمة افتتاح صحيح الإمام البخاري (6)

الشيخ فتح الله بناني طبعت سنة 1347 بالمطبعة الأهلية بالرباط.

مقدمة الرعيل لجحفال محمد بن اسماعيل

المدني بن الحسني ت 1958/1378

الميدان الفسيح من بسملة الصحيح (7) وهو ثاني افتتاح له

المدني بن الحسني أيضا كان في أول شعبان 1342.

ثالث افتتاح لأصح الصحـــاح

لنفس المؤلف يوجد بالخزانة الملكية ضمن مجموع تحت عدد 1821 د

دراسة افتتاحيات نموذجيـــة

1 ـ افتتاحية الشيخ الكوهــن :

لقد بدأ الشيخ عبد القادر الكوهن افتتاحية للجامع الصحيح بالبسملة والحمد لله والصلاة على رسوله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ذاكرا «بأنها منح الهية، ومواهب اختصاصية واشراقات قدسية وامدادات نبوية من بها بارىء البريات وتفضل بها مجزل العطيات جعلتها كالشرح لترجمة بدء الوحي مع حديث إنما الأعمال بالنيات من كتاب الجامع الصحيح...» (8).

وقد ألمح إلى أنه رجع في شرحه لهذا الحديث إلى زهاء ثلاثين مؤلفا وأتى فيه بالغرائب واللطائف والتحف (9).

ثم تحدث عن وجوب اهتمام العالم، وحصر همه واختصاص عمله بالإشتغال في العلوم الدينية التي مدارها على الكتاب والسنة، باعتبار أن بقية العلوم الأخرى آلات لفهمها، فهي التي ينفق في الإشتغال بها والجري على مقتضاها من أجل الحصول على السعادة الموصلة إلى أعلى الدرجات وأن الإمام البخاري في جامعه، قد تصدى للإقتباس من أنوارهما، وأنه وفق فيما جمعه حتى أصبح جامعه قبلة الدارسين، ومرجع العلماء والمحدثين.

ـ مستدلا على قوله بالحديث الشريف «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي» وبأشعار في فضل الكتاب والسنة.

ثم تحدث عن فضل العلم من حيث هو آيات وأخبار، وأورد في ذلك آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وفصل الكلام عن مجلسه وأهله، وفضل تعليمه وخاصة علم الحديث.

ـ ثم تحدث عن سبب اقتصار الإمام البخاري على البسملة، دون الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، مكتفيا بالبسملة لتضمنها معنى الحمد، ولكون ذلك كان صنيع السلف، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتبه إلى هرقل وغيره، ومثل مالك في الموطأ وأحمد في مسنده وأبي داود.

كما أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ليست ثابتة في أصل البخاري على عادة الصدر الأول وإنما حدث الإبتداء بها فيما بعد القرن الرابع.

6) فهرس الفهارس 2 /47.
7) معجم المحدثين ص 35.
8) من افتتاحيات الشيخ الكوهن الموجودة بالخزانة الملكية تحت عدد 746 / ص 1.
9) المرجع السابق ص 2.

ثم بين تصدير الجامع الصحيح بترجمة بدء الوحي، بيانا لمقصده على أن العمل دائر مع النية، فدل بكتابه قصده على جمع وحي السنة، المنتقى عن خير البرية، مكتفيا بالتلويح عن التصريح، تاركا التعريف بنفسه تواضعا منه.

- ثم تكلم عن العلماء وفضلهم على الناس، ووجوب تعظيمهم وتوقيرهم، وأورد في ذلك أخبارا وأقوالا، ثم انتقل إلى التعريف بالإمام البخاري، حيث تكلم عن حياته وأسرته ونشأته، وكيفية تعلمه وأخذه ونبوغه المبكر، وعن قصص حفظه ورحلاته، وأول ما ألف من الكتب ناقلا نصوصا في ذلك.

ثم تحدث عن فضل الصحيح وسبب تأليفه، وكيف ألفه، وعن سبب الإفتتاح بالبسملة، ووجوب ذلك اقتداء بالكتاب الكريم، وتكلم عنها من الناحية الفقهية، وشرح البسملة شرحا لطيفا موجزا، وذكر ما قاله العلماء في شرحها، مشيرا إلى إسقاط لفظ باب، في رواية أبي ذر وغيرها، وتطرق إلى إعرابها مع بقية كلمات الحديث ذاكرا اعتراض محمد بن اسماعيل التيمي على عبارة كيف كان بدء الوحي (10) ورد عليه وأخذ في شرح الحديث.

وتحدث عن الرواية السعادية وقيمتها وإجازة الصدفي له على وجهها سنة 493 وقراءته البخاري بها على شيخه الصدفي أكثر من ستين مرة، وعرف بابن سعادة وابن أخيه محمد بن يوسف بن سعادة كما ترجم لأبي على الصدفي.

كما تحدث عن أوجه الأخذ وأقسام التحمل، ثم أردفه بالكلام على سند البخاري إلى ابن سعادة وترجمة الوسائط الخمس بينهما، وأتى بسنده إلى البخاري برواية ابن سعادة (11) سماعا وقراءة بجميعه على شيوخه أبي العلاء إدريس العراقي إلى الإمام البخاري، ثم ذكر روايته للصحيح برواية ابن حجر (12) ورواه أيضا بسند عال جدا وأورد سنده الأول نظما، كما تحدث عن رجال السند مبينا سبب افتتاحه الرواية عن الحميدي، بكونه قرشيا ومكيا، ثم

تابع كلامه على رواة الحديث ورجال سنده، بالحديث على مناسبة افتتاحه بحديث النية، جريا على عادة السلف، لاستحبابهم استحضار الإخلاص والنية الصحيحة عند الشروع في العمل، وذكر أقوال العلماء في الترغيب عند التأهب بالإبتداء بهذا الحديث ذاكرا أنه أحد الأحاديث الأربعة التي قيل أن مدار الدين عليها، ثم أورد كلام ابن حجر على هذا الحديث وعلى صحته وعلى من خرجه من المحدثين.

ثم أخذ في شرح كلمات المتن ومعانيه بتفصيل، من حيث النحو والاعراب والبلاغة، والكلام عن الأعمال والنية وأقوالها، التي أوصلها إلى خمسة وعشرين، عددها جميعا حسبما وصل إليه اجتهاده.

وتحدث عن رأي البخاري في جواز رواية الحديث بالمعنى، والإختصار من الحديث، والإقتصار على دلالة الإشارة، غالبا منها، إلى أنه استعمل جميع ذلك في هذا الحديث.

وتابع شرحه للحديث عن الهجرة وكونها كانت على وجهين في الإسلام :

الهجرة من دار الخوف إلى دار الأمن، كما في هجرتي الحبشة وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

والثاني : الإنتقال من دار الفكر إلى دار الإيمان، بعد أن استقر صلى الله عليه وسلم، وتخلص للحديث عن النساء وكيدهن وعصيانهن، محذرا من فتنتهن، ثم تحدث عن أقسام المهاجرين في الحديث، من هاجر لله ورسوله ولم يشب هجرته بحظ، ومن هاجر لمجرد حظه من الدنيا والمرأة، ومن هاجر للأمرين معا كمن سافر للحج وزيارة المصطفى وللاتجار أيضا متكلما عن أحكام تلك الأقسام.

ثم ختم باعتراض بعض العلماء على الإمام البخاري ادخال حديث الأعمال في بدء الوحي، لأنه لا تعلق له أصلا كما ذهب الخطابي والإسماعيلي، حيث أخرجاه الأول في شرحه، والثاني في مستخرجه، قبل الترجمة لاعتقادهما أنه أورده للتبرك به ذاكرا أيضا قول ابن رشد

(10) المصدر السابق ص 31.
(11) المصدر السابق ص 42 ـ 44.
(12) المصدر السابق ص 44.

بأن ايراد الحديث من طرف البخاري، لم يقصد به سوى بيان حسن نيته في هذا التأليف.

وأكد الشيخ الكوهن رأي ابن حجر ومن سار سيرته، أن البخاري أقامه مقام خطبة الكتاب، لأن في سياقه أن عمر قاله على المنبر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم خطب به حين قدم المدينة مهاجرا، فمناسبة إيراده في بدء الوحي لأن الأحوال التي كانت قبل الهجرة كانت كالمقدمة لها، وهو رأي استحسنه ابن حجر (13).

ثم أنهى افتتاحه بالكلام عن الإخلاص والمخلصين داعيا ومصليا على النبي وجميع إخوانه النبيئين والمرسلين، وأصحابه والتابعين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وكان الفراغ من هذا الإفتتاح يوم الخميس مفتح ذي الحجة الحرام عام 1252 هـ.

2 ـ افتتاحية الشيخ أحمدون بلحاج (14)

وثاني هذه الإفتتاحيات التي عثرنا عليها، وهي مخطوطة أيضا، افتتاح الصحيح لأبي عبد الله محمد بن أبي الفيض حمدون بلحاج.

بدأ صاحب الإفتتاح الكلام في الموضوع، بدون مقدمة أو مدخل، حيث ذكر سبب افتتاح البخاري الصحيح بالبسملة، لما نقل من الاجماع على أن الله ابتدأ بها كل كتاب أنزله، ولأنها من خصائص الأمة المحمدية مستدلا بحديث كل أمر ذي بال لا يبدأ بسم الله الرحمان فهو أبتر، ولما كان تأليف هذا الكتاب أي الصحيح مهما، بدأ بالبسملة، ثم عدد خصائصها ومزاياها، باعتبارها أمانا ودواء وكلمة تقوى.

وتكلم عن الإسناد ومركزه في الدين وأقوال المحدثين والسلف فيه، وكونه من خصائص المسلمين، متحدثا عن رواية ابن سعادة، ذاكرا أنها هي المفضلة عند المغاربة على الروايات التي عند ابن حجر، معرضا برأي التاجموعتي فيها وعرف بصاحبها وبكيفية أخذه وملازمته لصهره أبي على الصدفي، وانتساخه لصحيح البخاري ومسلم، وسماعهما عليه أكثر من ستين مرة.

كما تحدث عن فضائل العلم وفضل العلماء، وأورد الآيات والأحاديث المتعلقة بالموضوع، ذاكرا الطرق الموصلة إلى العلوم الدينية، ثم روى حديث المقربين إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهم أكثر صلاة عليه وفي مقدمتهم العلماء.

وذكر سنده إلى صحيح البخاري عن طريق والده، فشيوخه إلى الإمام البخاري رضي الله عنه، مع ترجمة رجال سنده ترجمة مطولة استغرقت حوالي ثلث الإفتتاحية (15) وانتقل إلى ترجمة الإمام البخاري صاحب الصحيح، والتعريف به وبحياته ونشأته، وقصص حفظه ونبوغه، ورحلاته للحج والرواية، وذكر قصته مع أصحاب الحديث ببغداد، ثم ذكر أقوال العلماء وثناءهم على معرفته وحفظه وتكلم عن فتنة خلق القرآن، وما أصاب البخاري منها، والوحشة التي وقعت بينه وبين الذهلي، ثم تحدث عن بعض صفات البخاري، كالكرم والإحسان إلى الناس وزهده في الدنيا، وعن عبادته ومداومته على تلاوة القرآن إلى أن توفي رحمه الله.

وذكر ثناء العلماء والمحدثين عليه، وفي مقدمتهم الإمام مسلم، متخلصا إلى الكلام عن أول المؤلفين في الحديث قبل الإمام البخاري الذي يعتبر أول من ألف في الصحيح.

كما ذكر الباعث على تأليف كتاب الجامع، وكيف ألفه باختصار، منهيا افتتاحه بالكلام على فضل قراءته نقلا عن ابن أبي جمرة ذاكرا ما قيل في تفضيله على صحيح مسلم مستشهدا بقول صاحب الألفية في ذلك.

وهكذا نرى أن هذه الإفتتاحية لم تتناول حديث الأعمال، لا من حيث المتن ولا من حيث السند، وإنما اكتفت بالحديث على الإفتتاح بالسملة وما قيل فيها، وفضل العلم والعلماء، وذكر سند صاحب الإفتتاح إلى

---

13) المرجع السابق ص 65.

14) عن مصورة مكتبتي مأخوذة من مخطوط الخزانة الملكية.

15) من ص 101 إلى 114.

البخاري، والتعريف برجال سنده ثم ترجمة الإمام البخاري وسبب تأليفه جامعه الصحيح، وفضل قراءته وتفضيله على صحيح مسلم (16).

3 ـ افتتاحية الشيخ فتح الله بنانـي

تتميز هذه الإفتتاحية عن سابقتها، بكونها مطبوعة في كتاب مستقل (17) يحمل الإسم الذي وضعه لها صاحبها ومنشئها الشيخ فتح الله بن أبي بكر بناني وهو «رفد القارىء بمقدمة افتتاح صحيح الإمام البخاري» وقد عرفها بقوله في مفتتح كتابه : هذه رسالة مفيدة جليلة، اشتملت على بعض الكلام، على مبادىء علم الحديث وبعض فضائله، وفضائل المحدثين، وعلى ترجمة سيدنا الإمام البخاري وبعض أسانيدنا للصحيح رضي الله عنه، كنت جمعتها قبل عند افتتاحنا الصحيح المذكور بزاويتنا الفتحية المراكشية عمرها الله بالنور وأهله وامنها وأهلها وكل من آوى إليها وزارها بكمال الصدق ووقاه من كل سوء.. الخ (18).

بدأ الشيخ افتتاحيته بالكلام على علم الحديث وتعريفه، وموضوعه ونسبته وفضله وحكمه، منبها إلى أن أولى ما تصرف له النفوس، هو الإشتغال بالعلوم الدينية، المتلقاة من الحضرة النبوية والتي مدارها على الكتاب والسنة.

ثم تحدث على العلم الشرعي وأقسامه الثلاثة، وعن تعلم الحديث وفضل المحدثين، كما تحدث عن بداية التدوين وعن أول من أمر بكتابة الحديث، وعن أول من جمعه وأن أول من صنف في الصحيح هو الإمام البخاري، مخصصا له حيزا كبيرا من افتتاحيته لترجمة حياته، متكلما عن ولادته ونشأته ورحلاته العلمية، وذكائه ونبوغه وأخلاقه، والثناء عليه متحدثا عن فضل قراءة البخاري ناقلا كلام الإمام ابن أبي جمرة في الموضوع.

ثم أخذ في الكلام على كتابه الصحيح، كيف ألفه، وطريقة تأليفه، متحدثا عن أبوابه وكتبه، وعدد أحاديثه وتعاليقه ومتابعاته.

وذكر أسانيده إلى الجامع الصحيح من طريق المغاربة ومن طريق المشارقة، وسندا عاليا من طريق الجان، وآخر من طريق الشاميين، وعقب على سنده من طريق الجان وثبوت صحبة القاضي شمهروش للنبي عليه الصلاة والسلام، وكلام المحدثين في الموضوع ناقلا فتوى عجيبة للشيخ أحمد دحلان في تأييد السند المذكور (19) ثم ناقش تلمذة السيوطي لابن حجر وأخذه عنه ذاكرا رأي العلماء في ذلك (20) ما بين مثبت ومعترض موردا رأي العلماء المغاربة والمشارقة في الموضوع.

كما ذكر قصيدة الإمام أبي القاسم ابن عساكر الدمشقي الشافعي في علم الحديث، وأنهى افتتاحيته بإجازة عامة بصحيح البخاري، وسائر مروياته، لكل محب ومريد وسالك، فيه أهلية للرواية والمروى، داعيا ومصليا على النبي صلى الله عليه وسلم، مسجلا أنه أكمل تخريجها من المبيضة بتاريخ 18 ذي القعدة الحرام عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف (21).

من هذه الدراسة نتبين أن هذه الإفتتاحية، تناولت في أولها ما تناوله العلماء السابقون، في بداية افتتاحياتهم، من التحدث على فضل العلم، وفضيلة المحدثين، وترجمة حياة الإمام البخاري، والكلام على صحيحه، وكيفية تأليفه، وذكر سند صاحب الإفتتاحية إلى الجامع الصحيح.

غير أن صاحب هذه الإفتتاحية لم يكتف بسند واحد بل أورد فيها أسانيده الأربعة إلى الصحيح من تاريخ المغاربة والمشارقة والشاميين والجان.

وتميزت افتتاحيته أيضا بمناقشتين مهمتين :

الأولـى : تتعلق بمناقشة سنده إلى البخارى عن طريق الجان، وعن حقيقة القاضي شمهروش وصحبته

---

16) لم يذكر في الإفتتاحية المكتوبة بخط صاحبها تاريخ وضعها ولا كتابتها كما هو الشأن في الإفتتاحية السابقة.
17) طبعت بالمطبعة المغربية الأهلية سنة 1348 هـ.
18) رفد القارىء بمقدمة افتتاح صحيح البخاري ص 1 و2.

19) المرجع السابق ص 20 وما بعدها.
20) المرجع السابق ص 24، 30.
21) المرجع السابق ص 31.

للرسول عليه الصلاة والسلام وحقيقته، مثبتا ذلك ومؤيدا له بفتوى للشيخ دحلان.

والمناقشة الثانيـــة : تتعلق بتلمذة السيوطي وأخذه عن الحافظ ابن حجر، في حين أنه من الثابت أن الحافظ مات وسن السيوطي لا تتعدى ثلاث سنوات موردا رأي العلماء بتفصيل واسهاب.

كما تميزت هذه الإفتتاحية بإجازة صاحبها بالجامع الصحيح وبمروياته لكل المحبين والمريدين إجازة عامة.

4 افتتاحية الشيخ المدني بن الحسني

وقد سماها «ثالث افتتاح لأصح الصحاح» وكانت في أول رجب سنة 1343 هـ (22) وقد سبق هذه الإفتتاحية افتتاحيتان ، الأولى بالمسجد السائحي في فاتح رمضان سنة 1341 سماها الشيخ المدني «مقدمة الرعيل لجحفل محمد بن اسماعيل» وقد أملى في هذا الإفتتاح، ما يتعلق بالحديث وأطواره، وفائدته لعظمة قدره، وشرف مقداره، كما ذكر فيه سنده إلى الجامع الصحيح، وتفصيل حال رجاله وذكر تراجمهم مما يناسب المقام، والإفتتاح الثاني وكان في أول شعبان سنة 1342 سماه «الميدان الفسيح من بسملة الصحيح» أملى في بدايته حياة الإمام البخاري وترجمته من ولادته إلى وفاته، ومن أورد في ثناء الأئمة عليه وتعظيمه وإكباره.

وذكر في ختامه وصية البخاري الرباعية، مع شرح ما تضمنته من الفوائد الغزيرة، والفرائد الإبداعية، وذلك بغاية الاطناب وتمام الإطالة والإسهاب، لإتيانه على غالب ما للحديث وطالبه من الآداب وما يلزم للاثرى اقتفاء أثره والتمسك منه بالأهذاب (23) أما الإفتتاح الثالث الذي نحن بصدد دراسته فقد سماه «ثالث افتتاح لأصح الصحاح» وكان في أول رجب سنة 1343 الموافق 1973.

وقد ابتدأه بلفت النظر إلى ما سبقه من افتتاحيات الأولى في رمضان من سنة 1341 بالمسجد السائحي، والثانية في فاتح شعبان من السنة الموالية، والثالثة في رجب 1343 هـ وكانت هذه الإفتتاحيات، حلقات متصلة فيما بينها، مكملة لبعضها، حيث كانت الأولى مدخلا، تكلم فيها عن الحديث وأدواره ورجاله وسنده إلى الإمام البخاري، بينما تحدث في الثانية عن ترجمة الإمام البخاري بما يشفي ويرضي، كما تحدث عن وصيته الرباعية وشرح فوائدها الإبداعية، في حين خص الثالثة بالكلام على المقصود، حيث أشار إلى سبب ابتداء البخاري بالبسملة، وجعلها تاجا لصحيحه، جريا على عمل السلف وصنيعهم، مكتفيا بالتلويح عن التصريح، بمضمون الصحيح، تاركا التعريف بنفسه تواضعا منه مشيرا إلى الكتابة الموجودة على نسخ المغاربة بأنها ليست من كلام البخاري جملة ولا توجد في نسخ المشارقة.

ثم أتى بالشواهد على ابتداء أكثر المصنفات بالبسملة، وأورد أشعارا مختلفة فيها، وعلى ما ورد فيها من الآيات والأحاديث، وكلام العلماء، مستشهدا بكلام ابن حجر، بكون كتب الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بدأت كلها بالبسملة، مختصرا في الموضوع «رسالة الأقاويل المفصلة لبيان حديث الإبتداء بالبسملة» (24) وعدد المواضع التي بدىء فيها بالبسملة، كاللوح المحفوظ، والكتب السماوية، ثم تحدث عن البسملة وهل هي من الفاتحة أم لا، وأورد النصوص على ذلك، ونصوص كتب النبي عليه السلام، إلى قيصر وإلى كسرى، وغيرهما وهي مفتتحة كلها بالبسملة، ثم أورد حديث كل أمر ذي بال وتكلم عنه وعمن رواه وعن صيغه، وعن أقوال العلماء، وأطال الكلام عن هذا الحديث متخلصا إلى الحديث عن شروط العمل بالضعيف.

وأورد أربعة أسئلة حول البسملة ورد عليها، كل ذلك من رسالة الأقاويل المفصلة، ولما انتهى من اختصارها وإيراد ما جاء فيها، أتى بتفريظ له عليها (25) أغلبه أشعار.

---

(22) مصورة مكتبتنا من مخطوط ضمن مجموع بالخزانة الملكية عدد 1821 د
(23) معجم المحدثين ص 35، والحافظ الواعية محمد المدني بن الحسني ص 19.
(24) لمحمد بن جعفر الكتاني طبع بالمدينة المنورة سنة 1329.
(25) ثالث افتتاح لأصح الصحاح ص 188.

ثم رجع إلى موضوع البسملة، متحدثا عما ورد في فضلها العظيم، من أحاديث وأقوال، وذكر الموضع التي شرع فيها ذكر البسملة، كالوضوء والغسل والأكل والشرب والزكاة وغيرها كما جاء منظوما في الأبيات التالية :

ومثله تسمية وشرعـــــت ... في غسل وتيمم كما ثبـــت
أكل وشرب وذكاة وركـــوب ... لحيوان أو سفينة تجـــوب
في دخول منزل وضـــده ... كمسجد ولبس ثوب نزعــه
إطفاء مصباح وغلق بـــاب ... والوطء عند الأخذ بالأسباب
وفي صعود من خطيب منبرا ... تغميد ميت لحده لااكثرا(26)

كما ذكر ما ورد في الأثر في تفسير البسملة، مسترسلا في الكلام عن الرحمة وما جاء فيها من قول وتفسير، متخلصا إلى ما في الإفتتاح بالبسملة من البشارة إلى أن المطلوب من العبد إن أراد أن يحاول أمرا من الأمور، أتى بها، وتوج عمله بالإستفتاح بها، مستحضرا عجزه وضعفه، مستهدفا تسهيل كل عسير، فيتم توجيهه إلى الله تعالى، وانحياشه بالقلب إليه، ذلك أقرب إلى النجح (27) مختتما بقصيدة للشيخ الطيب بنكيران، لمح فيها لمعان اشتقاق إسم الجلالة، ودعاء بالقبول والثواب، ذاكرا تاريخ كتابة هذه الإفتتاحية وهو أول رجب سنة 1343 هـ.

ويلاحظ أن صاحب هذه الإفتتاحية، تأثر كثيرا بما ورد في افتتاحية الشيخ عبد القادر الكوهن، واستغرق الجزء الأكبر منها، تلخيص «رسالة الأقاويل المفصلة لبيان حديث الإبتداء بالبسملة» كما أنه عندى فيها بالحديث على البسملة، وبالباعث للبخاري على تتويج صحيحه بها، دون الحمد له والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، ذاكرا ما يتعلق بموضع البسملة، من جميع الوجوه، دون أن يتناول متن حديث الأعمال أو سنده، مما يجعل هذه الإفتتاحية قريبة في موضوعها من افتتاح الشيخ حمدون بن الحاج، علما بأن صاحبها جعلها تتمة للافتتاحيتين السابقتين مكملة لهما، كما ذكر ذلك صدر افتتاحيته (28).

26) المصدر السابق ص 194 و195.
27) المصدر السابق ص 205 و206.
28) أنظر الصفحة الأولى من ثالث افتتاح لاصح الصحاح.

مجلة الكتاب المغربي

●● تصدر في الشهر القادم (مجلة الكتاب المغربي) عن الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ويشرف عليها الدكتور محمد حجي، وسوف تخصص المجلة صفحة لكل كتاب مغربي صدر في السنة الحالية (1982)

دراسات في الأدب العربي (١٥) :

مبادئ الموحدين السياسية الدنيوية

للأستاذ عبد الكريم التواتي

... تماما، كما أن لدولة الموحدين مبادىء كيفت سياستهم الدينية وصبغت حياتهم الاجتماعية، في الجانب الأخلاقي بكثير من التقشف والخشونة والتشديد على مخالفيهم في العقيدة والدين، بل وحتى في النظر إلى الدين من غير زاويتهم، فإن لهم مبادىء أساسية في مجال الواقع المعيش وتسيير الدولة، وتوجيه الأحداث في مختلف مرافقها وشؤونها خاصة وعامة.

ومن تقصي آثار تاريخهم السياسي والحربي نستطيع أن نحدد إيديولوجيتهم في الميدان الدنيوي الذي لم تتبلور معالمه إلا في عهد مقعد هذه الدولة عبد المومن بن علي في المواقف الأربعة الآتية ،

1) رغبتهم المطلقة في السيطرة على الدنيا وارغام الناس على الخضوع لدولتهم والاحتماء بكنفهم لا بوصفهم السلطة الزمنية فحسب ولكن أيضا بوصفهم القيمين على تحقيق إرادة الله على الأرض وفي عباده، تلك الإرادة التي من أجلها بعث الرسل وأنزلت الكتب السماوية.

وهم في هذا الأمر لا يكتفون بمجرد دعوة الناس وانتظار ما تسفر عنه مؤثرات الدعوة وآياتها، وإنما يعتقدون أن الناس عليهم أن يهتبلوا فرصة الانضواء تحت ألويتهم، بوصف أن هذا الانضواء نعمة من الله يجب شكرها، وحمد القائمين على نشر ظلالها، والداعين لتعميم فضلها.

وهكذا كانت جميع الخطب التي تلقى أيام الجمع، وفي مختلف المناسبات، وكانت الرسائل الصادرة من ملوك هذه الدولة وعلى رأسهم مؤسسها الحق، عبد المومن تضرب على هذه النغمة وعلى هذا الوتر، وتسير على هذه الوتيرة وفي هذا الاتجاه ولا تتنكب هذه المحجة.

ومن ذلك ماجاء في رسالة عبد المومن التي حبرها الوزير ابن عطية والموجهة إلى أهل قسنطينة بالجزائر توعدا وتهديدا على محاولتهم مناهضة الموحدين والبقاء خارج طاعتهم، قالت الرسالة ،

(... واعلموا أن الواجب عليكم، وعلى جميع عمرة البسيطة، اتيان هذا الأمر العزيز في محل قيامه، والهجرة إليه وقت ظهور دلائله وارتفاع أعلامه، وهجران الأوطان والقطان لطلب الرضوان به، واغتنامه، فكيف به، وقد أظلتكم في عقر دياركم رأيته، وتحلت بين أظهركم آيته، وتأكدت في الوجوب عليكم واللزوم لكم ولايته وولايته).

وفي رسالة أخرى له، وجهها إلى تلمسان مخبرا إياهم باستسلام أهل (القسنطينة) وقبولهم الدخول في طاعة الموحدين، جاءت هذه العبارة ، (1).

(معتصمين بهذه العروة الوثقى، مستسلمين للأمر الذي لا يقابل بعناد).

الموقف الثاني من موقف الموحدين الدنيوية :

وهو تبع للموقف قبله ونتجة حتمية له، هو الإحاطة بكل الحكام الذين لم يتخرجوا من مدرسة الدولة الخاصة، تلك التي كانت أنشأتها لهذا الغرض أي تكوين العمال والإداريين بمراكش، وكانت دراسات في الأدب المغربي.

وكانت تضم فيما يتحدث التاريخ - ما ينوف على ثلاثة آلاف من الطلبة المصامدة، وفي نفس الوقت، عملوا على إبعاد الغير خريجين من مراكز القيادة والتوجيه الرسمية، ومنحهم امتيازات واقطاعات مغرية عظيمة لتشغيلهم عن البحث عن حقيقة وضعيتهم، تماما نفس السياسة التي كان ينهجها الأمويون إزاء الهاشميين في مكة والمدينة يغرقونهم في متع الحياة من مغنيات وجوار ومال وفر ليخلو لهم ميدان السياسة والقيادة والتوجيه.

وتبعا لهذه السياسة، كان عبد المومن يرحل من يبدي الولاء والطاعة للدولة الموحدية من حكام المقاطعات والذين لم ينصبوا من طرفهم وكانوا من بقايا العهد البائد الذي سبقهم، كان يرسلهم إلى عاصمة الدولة مراكش، ثم يغدق عليهم الأعطيات السنية جزاء ما أظهروه من رغبة صادقة في التعاون مع الدولة، ومن استعداد للسير في ركابها وكان هذا الموقف يهون على أولئك الحكام ضياع مراكزهم السياسية وما كانوا يتمتعون به من نفوذ وسلطان.

وهذا بالضبط ما رأينا عبد المومن يفعله تجاه حكام قسنطينة في الجزائر بزعامة يحيى بن عبد العزيز الصنهاجي حين استجابوا لنداء التسليم وطلبوا الأمان سنة 547 هـ) فقد رحلهم إلى مراكش وأمر لهم بالمنازل المتسعة، والمراكب الفارهة والكسى الفاخرة، والأموال الوافرة، وخص زعيمهم يحيى من ذلك بأجزله وأسناه وأحفله وقد نال يحيى هذا عند الموحدين رتبة عالية وجاها ضخما، وأظهر عبد المومن عناية به لا مزيد عليها (1).

ولما استولى أبو يعقوب، على أملاك ابن مردنيش هلال بن سعد حاكم شرقي الأندلس، أعطاه - بعد أن نحاه عن الحكم - إثنى عشر ألف دينار في يوم واحد كما أهدى له صندوق وجد في خزائنهم دون أن يفتحه، فلما فتحه هلال أمام أبي يعقوب، وجدت فيه حلى وذخائر ابن مردنيش الأب، بما يساوي أكثر من أربعين ألف دينار، وعرف عن أبي يعقوب هذا الكرم حتى كان الناس يتحدثون بما تخيله فيه جده ابن تومرت من كريم الخصال وحميد الفعال والكرم الحاتمي حيث، رووا لابن تومرت في حفيده هذا البيتين التاليين :

تكاملت فيك أخلاق خصصت بها
فكلنا بك مسرور ومغتبط
فالسن ضاحكة والكف مانحة
والصدر منشرح والوجه منبسط

ثم سنت الدولة الموحدية سنة التنحية عن الحكم والأغداق على المعزولين أو الذين يبدون الولاء والطاعة من الأكابر، حتى تجاه المنتقضين عليها من غير أفراد أسرتها، ففي ولاية أبي عبد الله محمد بن يعقوب ابن يوسف بن عبد المومن بن علي، ثار يحيى بن غانية بإفريقيا، وحاول الاستقلال عن السلطة المركزية، ولكن هذه السلطة كانت له ولأمثاله بالمرصاد، فقاومته مقاومة ضارية وفرضت عليه حصارا خانقا ألجأه أول الأمر إلى محاولة الفرار من وجهها رجاء الاحتماء بسواها، وحين آمن أن لافرار على زأر من الأسد، وأنه لاملجأ من الله إلا إليه، هداه الاسترشاد بالتفكير المتزن إلى التسليم لمطارديه والارتماء في أحضان الدولة الموحدية نفسها بعد أن استأ منها الأمان فما بخلت به عليه، وإنما منحته أياه وأردفته بسيب من العطاء وعامله قادتها بما عهد منهم في مثل هذه المناسبات من عفو شامل واغداق خيرات، وتلقوه - كما يقول صاحب المعجب - أحسن لقاء ووصلوه بصلات نفيسة بما لاقيمة له

2) المرجع قبله (ص) 318.

لكثرته ولا يصل بمثله إلا الخلفاء. كما أكرموا نزل أخيه سيرين إسحاق بن محمد، وأقطعوه الاقطاعات الواسعة. بعد أن ملأوا يديه أموالا. وذلك جزاء تخليه عن مناهضتهم والاحتماء بكنفهم.

أما موقف دولة الموحدين من المنتقضين عليها من أفراد أسرتها فإنه كان يختلف عما سبقت الإشارة إليه من عطف وعفو ولين اختلافا تاما، إذ كان الموقف تجاه هؤلاء يتسم بالشدة البالغة، والقسوة التامة، وكان أقل ماكان يعامل به الثائرون الإعدام والمحق الكلي ، وهذا ما إنتهى إليه مصير كل من ابن عمه أبي الربيع سليمان ابن عبد المومن والي تادلة وأبي حفص عمر الملقب بالرشيد حاكم مرسية بالأندلس، وابن يحيى عامله على عموم الأندلس، الذي حاول أن يستغل مرض ابن يوسف، إثر عبوره إلى الأندلس، حيث استرجع مدينة (شلب) مع حصن (طرطوش) من قبضة (بيدور بن الفونس هينركيز) ملك البرتغال، سنة ، 585 هـ فتقاعس ابن يحيى عن العبور معه إلى مراكش، املا في وفاته التي قد تمكنه من الاستحواذ على الملك مكانه. فما كان من ابن يوسف ـ بعد أن أبر من مرضه وجاء ابن يحيى يعتذر عما بدر منه، ويستمنحه الأمان ـ إلى أن قال له ، ـ وقد أمر بضرب عنقه ـ إنما اقتلك بقوله ص ، (إذا بويع خليفتان بأرض فاقتلوا الاخر منهما) واصر على أن تضرب عنقه بمحضر الناس.

قال المراكشي ، فنال أبو يوسف على القرابة فنال منهم بلسانه وأخذ منهم أخذا شديدا، وأمر بإخراجهم على سوأ حال، حفاة عراة الرؤوس فخرجوا وكل واحد منهم لا يشك أنه مقتول (3).

الموقف الثالث من مواقف الموحدين السياسية :

التظاهر بالقوة، وحب العظمة، والتطاول في البناء والعمران، بحثا عن ابهة الملك والسلطان، وتشغيل الرأي العام بالغزوات.

ورغم ان منطلق هذه الدولة كان سنيا مائة في المائة، الشيء الذي يتجافى وما آل إليه أمرهم من حب العمران والتطاول في البناء مع الغفلة عن قوله في سورة (الشعراء) الآية 129 ، (اتبنون بكل ريع آية وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون)، وقد يكون ذلك داخلا في نظرهم على الأقل في إطار ، قوله تعالى (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم**)، فإن التظاهر بالقوة لدى الموحدين قد اتخذ صورا معتددة، وتعابير متنوعة، وكان من أبرزها ،

أولا : تأسيس معامل السلاح وتشييدها في مختلف العواصم لصنع كل أنواع الأسلحة أو بالأخص ما يتصل منها (بآلات الحصار.. ونجد في رسالة أبي يوسف التي أنشأها أبو الحكم بن المرخي بشأن الحصار الثاني لقفصه سنة ، 582هـ دليلا لهذه السياسة، فقد وردت فيها هذه العبارات ، (.. فرأينا أن قاتلتكم بآلات تعلو عليهم، ويتعجل معها مرام أخذهم، أصلح بالموحدين وأصون لهم، مع ما في ذلك لهذا الأمر من فخامة التناول، وعزة القهر وظهور القوة، وارهاب العدو.. إلى أن تقول الرسالة وتمادي الشغل في الآلات المباركة إلى أن تمت على المراد، وتهيأت حسب المقصد بها.. الخ).

وفي سقوط قفصة هذه واسترجاعها من يد علي بن إسحاق الميورقي المؤيد من طرف عرب بني هلال ومن انضاف إليهم من الغز المصريين وعلى رأسهم (شرف الدين قراقوش) يقول الكاتب الأديب إبراهيم الزويلي ،

سائل بقفصة هل كان الشقي بها
بعلا وكانت له حمالة الحطـــب

(3) المرجع قبله صفحة 281.

تبت يدا كافر بالله الهبهــــــا
فكان كالكافر الأشقى أبي لهـــب
لمازنت ـ وهي تحت الأمر محصنــة
حصبتموها ـ اتباع الشرع ـ بالحطب

التكثير من الجيوش المدججة بالسلاح، حكى صاحب المعجب عن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي جعفر الوزير انه دخل على عبد المومن في بستان قد أينعت ثماره، وتفتحت أزهاره، وتجاوبت على أغصانها أطياره، فاستحسنه، فما كان من عبد المومن، بعد يومين أو ثلاثة، إلا أن أمر بعرض العسكر، آخذين أسلحتهم، وقد جلس هو في مكان مطل، وجعلت العسكر تمر عليه قبيلة قبيلة، وكتيبة إثر كتيبة، الا والتي بعدها أحسن منها، جودة سلاح، وفراهة خيل، وظهور قوة، ثم التفت إلي وقال ، يا أبا جعفر هذا هو المنظر الحسن، لاثمارك وأشجارك (4).

ويتصل بضخامة الحروب ما اشتهر من ضخامة طبولهم، التي كان يبلغ عدد ما يصحب منها الجيوش فحسب المائتين، ويصف المراكشي هذه الطبول بهذة العبارة ، (وطبولهم في نهاية الضخامة، يخيل لسامعها إذا ضربت أن الأرض من تحته تهتز، ويحس قلبه يكاد يتصدع من شدة دويها (5).

دراسات في الأدب المغربي :

ولإبراز حب الموحدين لابهة الملك والعمران، يكفي أن نشير إلى أثرين اثنين من آثارهم، وهما البيمارستان بمراكش، ومسجد حسان بالرباط، وهما معا من بناء أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن.

وفي الاثر الأول يقول المراكشي ، (... انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد، وأمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه، فاتقنوا فيه من النقوش البديعة، والزخارف المحكمة، ما زاد على الاقتراح، وأمرأن يغرس فيه ـ مع ذلك ـ من جميع الأشجار ، المشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياها كثيرة، تدور على جميع البيوت، زيادة على أربع برك في وسطه، إحداها رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة، من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف، ويأتي فوق النعت، وأجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام، وما ينفق عليه خاصة، خارجا عما جلب إليه من الأدوية، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال، وأعد فيه للمرضى ثياب نهار وليل للنوم من جهاز الصيف والشتاء إلخ (6).

أما الأثر الثاني ، وأعني به مسجد حسان، فإن آثاره الباقية حتى الآن ناطقة بضخامة المشروع، وشاهدة على جلال قدره.

على أن المراكشي يصف همة هذا الملك العمرانية بقوله ، (انه كان مهتما بالبناء، وفي طول أيامه لم يخل من قصر يستجده، أو مدينة يعمرها) (7).

الموقف الرابع من مواقف الموحدين الدنيوية والسياسية : ولاية العهد.

وهذا أمر يتصل مباشرة بالسياسة العليا لدولة الموحدين، ويمس في الصميم احد معتقداتهم، أعني باستمرار الامامة وخلود الأمر فيهم.

واعتناق الموحدين لهذا المبدأ ـ وهم المعروفون بتشبثهم القوي بالسنة والدين ـ فيه ما يؤكد سنية هذه الفكرة لديهم، واعتبارها أساسية لوجود كل دولة إسلامية، تحاول تثبيت قواعد الأمن، وإبعاد البلاد والعباد عن الفوضى والثورات.

ولهذا فإن الموحدين منذ ظهورهم وضعوا هذا المبدأ في طليعة مهامهم العليا، وهذا ما كان يعنيه بالضبط سؤال مؤسسي الدولة الروحيين ـ وبالأخص ابن تومرت ـ عن

4) المرجع قبله ، 201.
5) المرجع قبله ـ 232.
6) المعجب ص 287.
7) المعجب ص 292.

مصير عبد المومن إثر أخبار هزيمة أول سرية موحدية كانت توجهت لمنازلة المرابطين حول مراكش سنة 517 هـ. وما يفهمه قوله عندما أخبر بأن عبد المومن ما يزال حيا وعلى قيد الحياة، قال : إذن لم يضع شيء.

ولا شك أن جملته تلك إيعاز بأن استمرار الدولة رهن ببقاء من يتخيل فيه الذود عنها، وشدة الإيمان برسالتها، وأولى الناس بهذا الإيمان وذلك الذود، ولي العهد.

وقد دعا ابن تومرت إلى المبدأ صراحة، وفي تأكيد قوي، في وصاته التي ألقاها حين أحس بدنو أجله، وان أيامه على هذه الأرض قد أوشكت نهايتها. قال ابن تومرت يوصي أتباعه في أمر ولاية العهد لعبد المومن :

(وقد اخترنا لكم رجلا منكم، وجعلناه أميرا عليكم، وهذا بعد ان بلوناه في جميع أحواله، من ليله ونهاره، واختبرنا سريرته وعلانيته، فرأيناه في ذلك كله ثبتا في دينه، متبصرا في أمره، وإني لأرجو أن لا يخلف الظن فيه).

تلك بعض المواقف والمبادىء التي تقيد بها القادة الموحدون، وعلى هديها ساروا، ولتحقيقها هدفوا، وفي مجالها - ولا شك - جرب الشعراء والأدباء حظوظهم ومعاناتهم كما سنرى بعد إن شاء الله.

فاس : عبد الكريم التواتي

ثورة الملك والشعب
مغزى وطموح

للأستاذ محمد حمادي العزيز

تخليد يوم 20 غشت :

في كل سنة يعود يوم 20 غشت، وتعود معه ذكرى ثورة الملك والشعب المجددة، ويعود مواطنونا الأعزاء الكرام مرة أخرى إلى الاحتفال بها وتمجيدها.

إن يوم 20 غشت يوم عظيم في حياتنا الوطنية إنه اليوم الذي أقدم فيه مناضلونا بجرأة وبسالة على تفجير الثورة لوضع حد لطغيان الإستعمار الذي عطل سيادتنا، وعبث بمقدساتنا، وداس كرامتنا، وسامنا الهوان في عقر ديارنا.

نعم، إنه يوم بداية الثورة لتكسير القيود من أجل الإنعتاق والتحرر والكرامة.

ومواطنونا المحبون للحرية، المعتزون بالكرامة، العاشقون للعزة، الطامحون إلى الأمجاد والمكارم والرقي، المفطورون على كره الظلم والطغيان وإباء الظيم يحبون هذا اليوم، ويحيونه ويرحبون بمقدمه في كل عودة من عوداته ليحيوا فيه النضال والمقاومة ويكرموا الفداء والبطولة، ويشيدوا فيه بالحرية والكرامة والعزة، ويتغنوا بفضائلها ومزاياها. وليجددوا العزم على الوفاء لمقدساتنا الوطنية، والحفاظ عليها، والدفاع عنها بكل الجهود في جميع الأحيان.

ويقينا إن يوم ثورتنا من أجل انعتاقنا وتحررنا هو يوم تأكيد حبنا للحرية والكرامة، وتجديد العهد للوطنية المغربية وغاياتها ومطامحها، وهو يوم تمجيد البطولة والرجولة والتضحية من فوق جميع المنابر في مهرجانه الكبير في التراب الوطني.

مغزى الذكـــرى :

عندما يحل يوم 20 غشت من كل سنة يبادر مواطنونا أجمعون في كل ربع من ربوع الوطن وأينما كانوا في الخارج إلى إقامة الإحتفالات والمهرجانات تخليدا للذكرى الجليلة التي يمثلها في تاريخنا الحديث التي هي ذكرى المقاومة والتحرير لاسترداد الإستقلال الوطني.

ولا عجب في هذا فيوم 20 غشت يوم خالد من أيامنا التاريخية يذكرنا بالإنطلاقة الوطنية الجسورة التي وجهت مواطنينا وعباءتهم في زحف سيلها البطولي الجارف لمقاومة الإستعمار الأجنبي وتحرير أرض الوطن من نيره وظلمه لكي يحيوا في ظل الإستقلال أحرارا سادة كراما.

فهو، إذا وبكل فخر، يوم المقاومة والتحرير من أجل استرداد الإستقلال والدفاع عن مقدسات الوطن وكرامة المواطنين.

الإستقلال للوطن شرط أساسي لممارسته مسؤوليات السيادة وطنيا ودوليا.

والحرية للمواطن الإنسان شرط أساسي هي الأخرى لممارسة مسؤوليات المواطنة والسيادة داخل الوطن وخارجه، وللتمتع بالكرامة أينما حل وارتحل.

إن الإلتحام بين الوطن والمواطن يثمر «الوطنية» (أو الحب الوطني) الذي يجعل المواطن وطنيا مناضلا ومقاوما يحب مقدساته ويتمسك بها، ويناضل من أجل تألقها في العالمين، ويدافع عن بلاده ويفدي مواطنيه بكل ما عز وغلا.

لهذا كان الإحتفال بتخليد ذكرى يوم 20 غشت سنويا واجبا وطنيا.

والشأن في الذكرى أنها تعود بالعقول إلى أصلها ومنطلقها فارضة عليها الإخلاد إلى التفكير في أسبابها وأحداثها، وتتبع شريطها، والتدبر فيها، وفي أسلوب سيرها، والتأمل في غايتها ونتائجها وأبعادها.

إن الذكرى التي نخلدها باحتفالنا بيوم 20 غشت هي ذكرى ثورتنا لاسترداد الإستقلال والرقي بالمغرب إلى المكانة اللائقة به في العالم.

وثورتنا من أجل هذه الغاية حق وواجب..

والثورة لا تموت أبدا بل إنها خالدة في روحها وغايتها ومبادئها وخاصة إذا خلفت شهداء أبرارا يشهدون على مسيرتها..

لم نحصل على الإستقلال هبة أو منحة أو هدية.. كلا وإنما استرجعناه بفضل نضال منظمات مقاومتنا وطلائع جيش تحريرنا، وتضحيات رجالها الافذاذ، وبفضل استشهاد شهدائنا وحسن بلائهم.

هذه هي الحقيقة، وليست هناك أية حقيقة أخرى غيرها.

فلنكن حكماء ومنطقيين منصفين لأنفسنا ولشهدائنا ومناضلين ومقاومينا الابطال ولتاريخنا..

أما المفاوضات فلم تكن إلا وسيلة سياسية ودبلوماسية أخيرة لجأ إليها الإستعمار مضطرا لستر هزيمته وعجزه بقصد انقاذ ما يمكن إنقاذه !

كانت ورقته الأخيرة التي لعبها في آخر الأمر لكي لا يخسر كل شيء.

والبرهان على هذا معروف.

فلقد كان جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، يطالب مرارا وتكرارا، بتبديل اتفاقية الحماية باتفاقية أخرى تعترف للمغرب باستقلاله.. وكان يقابل في كل مرة وكرة بالمراوغات وبشتى أنواع التضليل والمماطلات التي كان أساطين الإستعمار يقصدون من ورائها كسب الوقت الضروري لضرب المغرب ضربة قاضية.

كل هذا يفرض علينا ونحن نحتفل بيوم 20 غشت أن نفكر في عمق مغزى ذكراه العظيمة وأبعادها اعتزازا ببطولة مناضلينا ومقاومينا وأعضاء جيش تحريرنا الذين تقدموا إلى ساحات الواجب ملبين داعي المغرب للدفاع عن شرفنا الوطني بأمر من وطنيتهم الصادقة، وحفز واع من ضمائرهم الأبية.

وإكبارا لتضحياتهم، وإجلالا لوعيهم ونبل إيثارهم يجب علينا أن نذكرهم في كل حين، وخاصة في هذا اليوم العظيم، بالخير والتنويه والإعجاب والتقدير.

عندما تقدموا إلى ساحات الواجب كانوا جنودا مجهولين لأن ظروف النضال والمقاومة فرضت ذلك، وظلوا كذلك وهم الأبطال المشهورون الذين صرنا جميعا بفضل تضحياتهم معروفين بعد أن أجبرنا الإستعمار أن نمسي في ظلامه الدامس نكرات لا يعرف لنا فضل، ولا يحسب لنا أي حساب، ولا يقام لنا أي وزن.

الذكرى عظيمة كما نرى، بل إن عظمتها لتتجذر في تاريخ مغربنا الحديث وتكبر حتى تكون تتويجا تاريخيا لنضال مواطنينا منذ بداية القرن العشرين من أجل الإستقلال الوطني.

من أجل عظمتها هذه تستحق منا الإهتمام الزائد، والعناية الدائمة، وتتطلب منا التفكير والتدبير والتأمل.

حالتنا قبل 20 غشت 1953

فرضت علينا اتفاقية الحماية يوم 30 مارس 1912 لأسباب كثيرة أهمها هو أننا لم نكن قادرين على الدفاع عن بلادنا للحفاظ على استقلالنا.

هذا السبب المهم يطلب منا في كل حين، ونحن في عهد الإستقلال، أن نهتم كثيرا بشؤون تقوية بلادنا وزيادة قدراتها الإنتاجية في جميع الميادين لنكون دائما أقوياء وقادرين على الدفاع عنها للحفاظ على الإستقلال.

باسم الحماية جربنا الإستعمار والإحتلال الأجنبي لبلادنا، وكانت التجربة محنة قاسية، وما لحقنا في هذه الفترة الحالكة من أضرار وخسائر كبيرة وكثيرة أضخمها هو الإساءة إلى حريتنا وكرامتنا الإنسانية، وتوقيف ممارستنا للسيادة والإستقلال، وتعطيل تمتعنا بمواطنتنا كاملة مدة 44 سنة.

رفض مواطنونا الحماية فور علمهم بإبرام اتفاقيتها... وحدثت الثورة الأولى ضدها في فاس عاصمة الدولة آنذاك.. ثم توالت الثورات بعد ذلك في الجبال، والسهول، والصحراء، في الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب سالت أثنائها دماء مناضلينا ومقاومينا في كل ربوع مغربنا دفاعا عن حريتنا واستقلالنا وسيادتنا وكرامتنا..

جنود المغرب البواسل في هذه الفترة كانوا مواطنينا الوطنيين من الثوار والمناضلين، هم وحدهم كانوا وجدانه الوطني الحي الواعي.. هم الذين كانوا يجاهدون ويقاومون ويناضلون باستمرار، ويعانون في صبر وصمت راضين بقدرهم في الدفاع عن مقدساتنا الوطنية.

طيلة مدة الحماية لم يعرف الإستعمار والإحتلال الأجنبي لبلادنا راحة بال ولا إطمئنانا رغم الهدوء الوقتي والظاهري الذي كان يسود في بعض الأوقات وفي بعض الجهات.

وما أن سكت صوت البارود في الجبال حتى قامت الحركة الوطنية تناضل سياسيا وتزعج الإستعمار إزعاجا بمطالباتها ومظاهراتها وصحافتها وخطبها.. واشتباكاتها في الشوارع ومواجهتها في المحافل الدولية.

وشارك المغرب إلى جانب فرنسا في عدة حروب، وكان يطمح بذلك إلى اعترافها باستقلاله جزاء له وتقديرا على مشاركاته كما فعلت دول أخرى غيرها..

لكن ما حدث كان هو العكس، فما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى عاد الإستعمار أشرس من ذي قبل في ممارسة أعماله العدوانية ضد مواطنينا.

وفي الوقت الذي كان الناس في العالم ينتظرون حياة جديدة في عهد أفضل عادت السلطات الإستعمارية تطبق سياسة الإبادة والتفقير والتجهيل والتجويع..

كانت الحياة في المغرب جميلة للمستعمرين الأجانب ولمن تعاون معهم، وللغافلين الساذجين من مواطنينا، أما بالنسبة للوطنيين فقد كانت قاسية وصعبة.. نالهم فيها عناء وعذاب.. لكنهم صبروا وصمدوا.

القصر الملكي في طليعة المواجهة

رأى الإستعمار في جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، الذي كان يطالب باستمرار بالغاء اتفاقية الحماية وتبديلها باتفاقية أخرى تعترف للمغرب باستقلاله خصما كبيرا..

وشرع غلاة الإستعمار يدبرون له المؤامرات، المؤامرة تلو الأخرى للتخلص منه والإطاحة به.

وعندما عزم جلالته على القيام برحلته الملكية إلى مدينة طنجة وحدد موعدا لها يوم 9 أبريل 1947 نظم غلاة الإستعمار مذبحة حي بن مسيك بمدينة الدار البيضاء يوم 7 أبريل التي ذهب ضحيتها ألفا مواطن مغربي لإشغاله بالمشاكل التي تترتب عنها والهائه بها فيلغي رحلته المقررة.

لكن جلالته، بالرغم من هذه المأساة، سافر إلى طنجة وألقى بها خطابه التاريخي الذي زعزع أركان الإستعمار في المغرب معلنا إرادة المغرب في الإستقلال ومحددا سياسته الخارجية.

منذ هذا التاريخ بدأت الإقامة العامة تعد مؤامرتها الكبرى لخلعه بالتعاون مع غلاة الإستعمار وأعوانها من المغاربة.

وتصاعدت الأحداث بين القصر الملكي العامر وبين
لإقامة العامة تصاعدا لم يعد من الممكن إيقافه والعودة به
ى الوراء والتفاهم..

وانتهزت السلطات الإستعمارية تضامن الشعب
مغربي مع تونس الشقيقة في الإحتجاج على مقتل الزعيم
نقابي التونسي فرحات حشاد على يد المنظمة الإرهابية
فرنسية «اليد الحمراء» في دسمبر 1952 فاعتقلت الزعماء
مناضلين الوطنيين.. ووجدت في هذا الإعتقال فرصة ثمينة
مزل جلالة المغفور له عن القوة الحقيقية التي تحبه
لمستعدة لفدائه والدفاع عنه.

وسرعان ما تكونت بإيعاز من الإقامة العامة هيأة
باشوات والقواد الذين وقعوا عريضة تحمل 270 إمضاء
طلبون فيها خلع جلالة المغفور له محمد الخامس.

طبعا كان السيناريو موضوعا ومدبرا في نهار لا في
ل كما يعرف الجميع.

وفي يوم 15 غشت 1953 بايعت الهيأة المذكرة
مدينة مراكش محمد بن عرفة سلطانا على المغرب.

حدثت مظاهرات عديدة في مراكش والدار البيضاء
لرباط وسلا ومكناس وفاس ووجدة.

كان المغرب على وشك الوقوع في هاوية حرب
لية مصطنعة يتخذها غلاة الإستعمار ذريعة ومبررا
حداث قمع عنيف..

وكان جلالة المغفور له محمد الخامس في غمرة هذه
زمة يوجه النداءات إلى شعبه الوفي بالتزام الهدوء..

ثم جاء أخيرا بعد أسبوع مضطرب يوم 20 غشت
وم الذي قرر الإستعمار الفرنسي أن يكون يوم الخلع..
م الإعتداء على حرمة العرش العلوي وعلى شعور جميع
مغاربة أثناء حلول عيد الأضحى.

الحدث والمنطلـــق

بعد زوال يوم 20 غشت 1953 طوقت الإقامة العامة
ـر الملكي بالرباط بقواتها العسكرية تنفيذا لأمر
ـرته الحكومة الفرنسية يقضي بخلع جلالة المغفور له
محمد الخامس، طيب الله ثراه، ونفيه إلى جزيرة كورسيكا
بالبحر الأبيض المتوسط تمهيدا لنقله إلى منفى آخر.

حدث هذا أثناء عيد الأضحى المبارك فأثار استياء
واشمئزازا عند جميع مواطنينا.

كان خلع جلالة محمد الخامس يعني في نظر
الإستعمار خلع السيادة المغربية خلعا نهائيا.

كان جلالته ملكا وطنيا محبوبا واكب الحركة
الوطنية منذ نشوئها في مطلع الثلاثينات، وشجعها، ورعاها،
وعطف عليها، وتعاون مع زعمائها ومسؤوليها تعاونا لم يرق
الإستعمار، وكان يمثل السيادة المغربية تمثيلا حقيقيا فصار
رمزا لها.

طبعا، إن وجود ملك وطني على عرش المغرب لم
يكن ليسر الإستعمار فدبر أمر خلعه.

أراد الإستعمار أمرا سيئا للمغرب والمغاربة.

وأراد مناضلونا أمرا آخر غيره، أرادوا أن يكون هذا
اليوم منطلقا لثورتنا التحريرية التي طالما انتظرناها
وتمنيناها من أجل استرداد استقلالنا.

أراد الإستعمار أن يكون يوم حزن وأسى وبأس.

وأراد مناضلونا أن يكون يوم أمل تشرق فيه شمس
ثورتنا التحريرية تبشر مواطنينا في جميع ربوع المغرب
بالخلاص من قيود الإستعمار، والعزم على استرداد
الإستقلال والكرامة.

فكان ما أراده مناضلونا.

وباء ما أراده الإستعمار بالخسران والفشل ثم
بالهزيمة.

وفي غمرة احتفال غلاة الإستعمار بنشوة انتصار
مزعوم بدأت ثورتنا التحريرية في قاعدة نضالنا الوطني.

كان مقاومونا هم الذين ينتقلون من مكان إلى آخر
في التراب الوطني بحثا عن مأوي آمين فرارا من السلطات
الاستعمارية فور افتضاح أمرهم.. أما بقية المواطنين فقد
ظلوا مستقرين حيث هم، ولم تحدث هجرات مثل ما
حدثت في بلاد أخرى، فلم تحدث أثناء المقاومة مشكلة
لاجئين، وهذا يؤكد حب مواطنينا لترابنا الوطني وتعلقهم

به. وهي ميزة أخلاقية مثلى يجب أن نعتز بها ونحافظ عليها دائما.

وأهم ما حدث هو أن مناضلينا في الخارج كانوا يأتون إلى المغرب ليسهموا بجهودهم في مقاومتنا، وهذا سعي مشكور منهم يحمد لهم ويستحقون عليه الثناء والتنويه.

وفي طوفان الأهوال والحرب النفسية المسلطة على بلادنا، وأعمال القمع العنيفة، وتحركات القوات العسكرية والشرطة كانت معنويات مقاومينا عالية وكان صبر مواطنينا وصمودهم مثاليين.

حقا، ما زال تاريخ مقاومتنا لم يكتب.. ولكنه وان تأخرت كتابته يزخر بأحداث وعمليات في مستوى نظيراتها التي حدثت في المقاومات المعاصرة التي شهدتها الحرب العالمية الثانية. ومن حقنا وواجبنا أن نفتخر بها، فلقد عشناها وواكبناها. كان مقاومونا في المستوى النضالي المطلوب، كانوا عند حسن ظننا وعند حسن ظن التاريخ بهم، أبلوا البلاء الحسن، صبروا واستماتوا، واستشهد شهداؤنا أبطالا.

تكريم شهدائنا :

في غمرة الاحتفالات التي تقام لتخليد ذكرى 20 غشت تنظم الندوات واللقاءات والسهرات والاجتماعات وتلقى المحاضرات والقصائد والأناشيد والأغاني التي تشيد بأحداث ملحمة مقاومتنا وتمجدها وتنوه بها، وتشارك أجهزة الإعلام بجهد كبير في نقلها إلى المواطنين لكي يسهموا هم أيضا حيثما كانوا وجدانيا وعاطفيا في الاعتزاز بأمجادنا الوطنية في هذا اليوم الأغر الذي نحتفل فيه بالبطولة والنضال والمقاومة والحرية والكرامة، ونكرم فيه شهداءنا الأبرار ومقاومينا ومناضلينا الأبطال.

إن كل شهيد من شهدائنا بطل وطني يجسد القيم الوطنية العليا لشعبنا وحضارتنا ووطنيتنا ونضالنا ومقاومتنا

وكان سقوط أول شهدائنا في الرباط يوم 1953/8/11 وهو يقوم بواجبه الوطني بمثابة كلمة الأمر لمناضلينا تدعوهم للاقدام على ولوج ساحات الواجب دفاعا عن مقدساتنا الوطنية لاسترداد استقلالنا.

أحداث ملحمة عظيمة :

كان طبيعيا أن يحدث الخلع العدواني الذي نفذته الإقامة العامة صدمة نفسية عنيفة في نفوس مواطنينا ... لكنها لم تدم طويلا فسرعان ما زالت فور العمليات الفدائية الأولى التي قام مقاومونا بإنجازها في مختلف مدن المغرب.

لاح في الأفق أمل باسم، وظهرت معالم عمل إيجابي تتضح للعقول الواعية.. كان هذا العمل هو المقاومة.

أحداث مقاومتنا للاستعمار من أجل استرداد استقلالنا تكون في مجموعها ملحمة عظيمة غنية بالأعمال البطولية التي أنجزها مقاومونا البواسل بشجاعتهم الشهيرة.

ولا عجب فالاستعمار يعرفنا جيدا فقد حاربناه منذ بداية الحماية حروبا نلنا فيها أمجادا وفخارا ولحقته في معاركها خسائر واهانات، وحاربنا إلى جانبه في الحربين العالميتين الأولى والثانية وفي ميادين أخرى.. فهو يعرف شجاعتنا.

حارب مقاومونا القوات الاستعمارية المتفوقة عتادا وعددا وهم قلة في العدد وبأسلحة قليلة وفي أوضاع تنظيمية واجتماعية غير متكافئة.

هذا ما حدث بالفعل.. ورغم ذلك استطاعوا أن ينتصروا عليه، ويجبروا الحكومة الفرنسية على تغيير رأيها الأساسي والجلوس إلى مائدة المفاوضات التي طالما تهربت منها في السابق، ورضيت بها الآن فور شعورها بقوة نبض مقاومتنا وعند تيقنها من أنها مصرة على الدخول معها في مبارزة مصيرية حاسمة انتظرتها طويلا من أجل إنقاذ الوطن واسترداد استقلاله وكرامة مواطنيه.

وأعادت جلالته المغفور له محمد الخامس من المنفى إلى فرنسا ثم إلى المغرب معززا مكرما..

وأثبتت الأيام حكمته ورجاحة عقله.. فلو عملت الحكومة الفرنسية بآرائه النيرة لما أزهقت الأرواح وأريقت الدماء ولما حدثت الأزمات بين المغرب وفرنسا..

لكنها القوة تعمي الأقوياء دائما فتسد بصائرهم فلا ينصاعون للحق.

وعندما بدأت المقاومة لم يفكر الاستعمار في التفاوض معنا والاعتراف بحقنا في الاستقلال وإنما بادر إلى قمعنا..

ولنا في شهدائنا خير برهان على القمع الاستعماري وطغيانه وظلمه.

وتتضمن برامج الاحتفالات بيوم 20 غشت زيارة قبور شهدائنا للترحم عليهم والدعاء لهم، والتدبر في قدرهم والاتعاظ بمصيرهم. لقد بذلوا أغلى ما يملكون فداء للوطن والمواطنين.

إن وقوفنا على قبورهم يذكرنا بالمواقف البطولية التي وقفوها، وبفضل النضال والمقاومة في الحصول على الحقوق والتمتع بها فيتجدد فينا العزم، وينبعث الحماس ويشرق في قلوبنا نور الإخلاص لمقدساتنا.

الاستشهاد في سبيل الله دفاعا عن المقدسات قدر إلاهي ومصير رباني قبل أن يكون مجرد موت.. قال في حقهم الله عز وجل في القرآن الكريم **«والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم»، «وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيئين والشهداء»** (الزمر 69).

وبالرغم من صعوبة المواقف في المواجهات المسلحة للسلطات الاستعمارية أثناء مقاومتنا في ثورة الملك والشعب فإن عدد شهدائنا الذين سقطوا في ساحة الواجب لم يتجاوز الألفين..

إن مناضلين عازمين يطلبون حقهم في الكرامة والحرية وحق بلادهم في الاستقلال بقوة السلاح لا يموتون، إنما الذين يموتون بكثرة هم أولئك الذين لا يحملون سلاحا لطلب هذه الحقوق.

قاعدة نضالية واعية :

إندلعت مقاومتنا كرد فعل مباشر فوري بعد إقدام السلطات الاستعمارية على خلع جلالة المغفور له محمد الخامس ونفيه خارج التراب الوطني..

وعندما اندلعت لم تكن في حيازة مناضلينا الإمكانات والوسائل التي تمكنهم من القيام بإنجاز أعمال المقاومة. فحمل السلاح كان محظورا، والحصول عليه بدون ترخيص كان يخضع لعقوبات قانونية صارمة..

وكان القادة الوطنيون في السجون والمنافي..

وكانت السلطات الاستعمارية تمسك كل شيء في المغرب بيد من حديد، وعيونهاوآذانها مبثوثة في كل مكان..

في هذا الجو تحرك مقاومونا وبدأوا أعمالهم.

كان عليهم أن يكونوا قيادتهم وينظموا خلاياهم، ويوحدوا صفوفهم، ويعدوا خططهم.

وكان عليهم أن يحصلوا على أسلحة بأية وسيلة...

وهكذا في غياب القيادة الوطنية لعبت القاعدة النضالية نشيطا في مقاومتنا، الأمر الذي يؤكد لنا قيمة البناء الديموقراطي لتنظيماتنا الوطنية، الذي لا ينهار بمجرد غياب أطره.

القاعدة النضالية هي التي فعلت كل شيء في مقاومتنا أثناء غياب القيادة، نظمت، وسلحت، ومولت، الاتصال، وآوت وواست، وخططت، وضربت، كانت اليد الفاعلة، والرجل المتحركة، والعين الراصدة، والاذن المستمعة، والعقل المدبر.

ولولا هذه القاعدة النضالية لما قامت مقاومتنا.

انها قاعدة تفرض علينا احترامها وتقديرها، وتوجب علينا الاهتمام بها ورعايتها لأنها الأساس المتين الذين تقوم عليه تنظيماتنا الوطنية.

لقد صمدت طويلا بدون وسائل حتى توفرت الإمكانات والإمد ادات.

وطبعا، إلى جانب وقوفنا بخشوع على قبور شهدائنا يجب أن نحيي بتقدير مناضلينا متأملين في أعمالهم وخدماتهم الجليلة التي قدموها لوطننا في ساعات العسر والضيق.

سهل أن يكون الإنسان مواطنا مادامت المواطنة سهلة، لكن صعب أن يكون مناضلا لأن النضال صعب وعظيم.

ان مقاومتنا تعلمنا أن نكون جميعا مواطنين وطنيين، وان نكون مستعدين للدفاع عن وطننا بكفاءة عالية في أي

موقع كنا من مواقع النضال والمسؤولية الاجتماعية، لأن الوطن للجميع، ومن واجب المواطنين كلهم أن يدافعوا عنه، ولا يجب أن يتقاعس أي منا، ويقف خارج ساحة الواجب يتفرج وخاصة عند ما يكون مصيرنا في خطر.

مقاومتنا والإشعاع التحريري في إفريقيا :

لم يقف تأثير مقاومتنا في ترابنا الوطني فقط، وإنما تجاوزه ليتجاوب ويتعاون مع المقاومة في بلاد المغرب العربي، وفي الأقطار الإفريقية.. لقد مدت يدا صادقة لها جميعها لكي تهب هي الأخرى لتتحرر وتسترجع استقلالها وكرامتها.

واجب الانتماء إلى المغرب العربي وإلى القارة الإفريقية هو الذي أملى علينا هذا..

وفضلنا باق حتى إذا لم تحفظه البلدان التي أعناها.

هكذا كانت مقاومتنا عظيمة في طموحاتها الإنسانية، وفي مناصرتها لقضايا الحرية، وللقضايا العادلة في قارتنا وفي القارات الأخرى.

هذا يؤكد لنا القيم المعنوية التي كان يتحلى بها مناضلونا ومقاومونا.

لقد قدمنا العون المطلوب في الوقت المطلوب لكل من طلب عوننا حتى في الظروف الصعبة التي مررنا بها.

وفي مقاومتنا مزايا عديدة تنفعنا في تعاملاتنا النضالية والاجتماعية والسياسية على مختلف المستويات.

وفيها دروس جليلة الشأن لاتستبين معانيها إلا بالتفكير والتدبر.

فإذا أقمنا الاحتفالات والمهرجانات لتخليد يوم 20 غشت فإنما نقيمها لنتفكر ونتدبر ونتعلم، فإن ما نتعلمه فيها من تعاليم نضالية ثابتة ترسخ في الألباب تنفعنا في ممارسة مسؤوليات استقلالنا وكرامتنا.

ومن البديهي أن يتحلى المواطن الوطني المناضل المقاوم بالذكاء والفطنة ومرونة التفكير والاستقامة النضالية.

هناك من يفهم السياسة على ضوء اللاأخلاق والمكيافيلية الخرقاء ليبرر ما تسول له نفسه من تصرفات منكرة، ولكننا، رغم كل مكر، ما نفتأ نفهم السياسة أخلاقا عالية والتزاما شريفا بالعهود، ونضالا نبيلا من أجل بلوغ مطامح مثلى.

وثمار يانعة نشتهيها :

إن دماء شهدائنا الأبرار ومقاومينا ومناضلينا الأبطال التي سالت بغزارة سخية أروت تراب وطننا واخصبته آثمرت ثمارا يانعة طالما اشتهيناها ورغبنا في التمتع بقطفها.

ففي كل مكان في بلادنا عمران، ونماء، وتوق عارم لنهضة شاملة تحقق لنا جميع ما شئنا وأردنا حاضرا ومستقبلا.

أنجزنا بعد استرداد استقلالنا في ربع قرن من الزمان ما لم تنجزه لنا «الحماية» في 44 سنة (أو حوالي نصف قرن).. أنجزنا أكثر مما أنجزت أضعافا مضاعفة.

ولو بقينا تحت «الحماية» لما تمتعنا بما نتمتع به اليوم.

هناك دائما صعوبات في البناء، وإعادة ترميم حضارة بسائر مرافقها ترميما شاملا ليس أمرا سهلا.

ولا يجب أن تؤثر الصعوبات كيفما كانت، على بصائرنا وعيوننا فتحجب عنها الحقائق وتمنعها من رؤية منجزاتنا بمنظار التفاؤل والإنصاف والتقدير السليم لأوضاعنا.

جدير بنا كمواطنين وطنيين نملك وعيا نضاليا راقيا وتجربة أصيلة في المقاومة أن نسعى بكل جد، ونعمل بكل عزم بتواصل لنصلح أوضاعنا التي لاتعجبنا ونشتكي منها، ونرقى بالمستوى الحضاري لوطننا إلى المكان اللائق به بين الأوطان الراقية.

لهذا يجب أن نكرس جهودنا لبناء وطننا.. وليست الصعوبات عيبا، إنما العيب أن نهرب من مواجهتها !

لقد ضحى شهداؤنا الأبرار ومقاومونا ومناضلونا الأبطال من أجلنا، ويجب أن نضحي من أجل أجيالنا الصاعدة لنترك لهم تراثا غنيا وأوضاعا أفضل من أوضاعنا.

درس دائم لبناء واقع أفضل :

مقاومتنا في الخمسينات من القرن العشرين الميلادي درس دائم يذكرنا بكل ما حدث لنا منذ فرض اتفاقية

حماية على مغربنا في 30 مارس 1912 حتى استردادنا تقلالنا يوم 2 مارس 1956.

فرضت الحماية علينا بقوة السلاح، قسرا وإجبارا، «مكره أخوك لا بطل» كما يقول المثل العربي، إذ تقبلها ى مضض.

إن ما حدث لنا في فترتها لم يكن أمورا عادية مكن نسيانها بسهولة..

لقد ثار عليها مواطنونا عندما علموا بها.. واستمروا ثورون ويثورون حتى توجت جميع ثوراتهم بالنصر المبين سترداد استقلالنا في ثورة الملك والشعب التي اندلعت وم 20 غشت 1953.

كان وطننا أثناء «الحماية» سجنا كبيرا رهيبا لنا نتحرك فيه إلا بالقدر الذي تسمح لنا به السلطات استعمارية.. تحت رقابتها وبإذنها، وبشرط عدم تعكير حتها وصفو أمنها..

كان الاستعماريون الحكام بأمرهم، وكنا نحن لأسرى والسجناء والسخرة !

من لم يرضخ منا لحكمهم يناله العذاب والحرمان لاعتقال والنفي والهوان.

كنا نعيش في وطننا وكأنه ليس وطننا، وكنا فيه أننا غرباء..

وضعية كهذه لاتسرنا ولا ترضينا، وكان من واجبنا أن اوم ونثور لنتحرر ونسترد استقلالنا.

وهذا ماحدث.. واستردنا استقلالنا.

ان بناء كل واقع أفضل نحقق فيه كل آمالنا وأهدافنا ومطامحنا في الاستقرار والازدهار والرفاه والرقي الحضاري ينطلق من استقلالنا ويتدعم عليه.

والحفاظ على استقلالنا مسؤولية نتحملها جميعا، ويتحملها كل مواطن ومواطنة منا، انها أمانة شهدائنا وشهيداتنا في أعناقنا.

ويقضي علينا الواجب أن نصون الأمانة حق الصيانة.

كل شيء ممكن بوحدة الصف، وبالعزم الصادق، وبالإخلاص في أداء الواجب.

إن الرقي بوطننا إلى الواقع الأفضل، وإلى المستوى الحاضري الذي نريده ونرضى عليه يتطلب منا أن نعمل كثيرا بتواصل وجد وبتفكير دائم في حاضرنا ومستقبل أجيالنا الصاعدة.

من أجل تحقيق هذه الغاية اندلعت مقاومتنا يوم 20 غشت 1953.. ومن أجلها نخلد سنويا عودته..

هذا ما يوحيه لنا الوقوف بخشوع على قبور شهدائنا نترحم عليهم ونسأل الله الغفور لهم الغفران والرضوان..

إن قبور الشهداء تتكلم دائما بكلام فصيح يفهمه الواعون فهما حقا..

فعندما يوجد الشهداء توجد قضية، وتوجد غاية ويوجد نضال من أجلهما.

محمد حمادي العزيز

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف

للأستاذ زين العابدين الكتاني

اخترت في هذا العدد أن أقدم كتابا مغربيا مهما في بابه، ويعتبر من أهم المصادر بالنسبة للوحدة المغربية في هذا المجال، باعتبار أن مؤلفه الباديسى كان في مستوى الظرف الذى عاشه سواء بالنسبة إليه أحد الأعلام، أو بالنسبة للمهمة التى تحملها وهو المواطن الواعى بدوره، وبمركزه يومئذ، وباستقلالية المدرسة المغربية التي تطاول التاريخ المتسلسل في هذا المجال.

وإذا كان مؤرخ المملكة الأستاذ السيد عبد الوهاب ابن منصور قد عودنا خدمة هذه المدرسة منذ بدايته وهو طالب لم يتجاوز العشرين من عمره عندما قدم لنا شخصية (بن الطيب العلمى) (1) فإن اشرافه على إنجاز هذا العمل العلمى الهام لم يأت بجديد بالنسبة للمتتبع مادام قد التزم اختياره هذا...

وفي هذا الحديث أتناول بالعرض والتقديم الكتاب الجديد الذى صدر عن (المطبعة الملكية) بالرباط. والذى يعتبر حلقة مهمة ضمن سلسلة (فهارس المغرب) التى حقق المغرب في مجالها لبنة إنسانية تكمل بعضها بل سبق بها كثيرا من الدول التى عملت في هذا المجال رغم قلتها يومئذ..

وهذا الكتاب صدر بعنوان ، **(المقصد الشريف، والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف)** من تأليف عبد الحق بن اسماعيل الباديسي وتحقيق العلامة السيد سعيد أحمد اعراب.

والكتاب بصفة عامة يتناول بالبحث والدرس ،

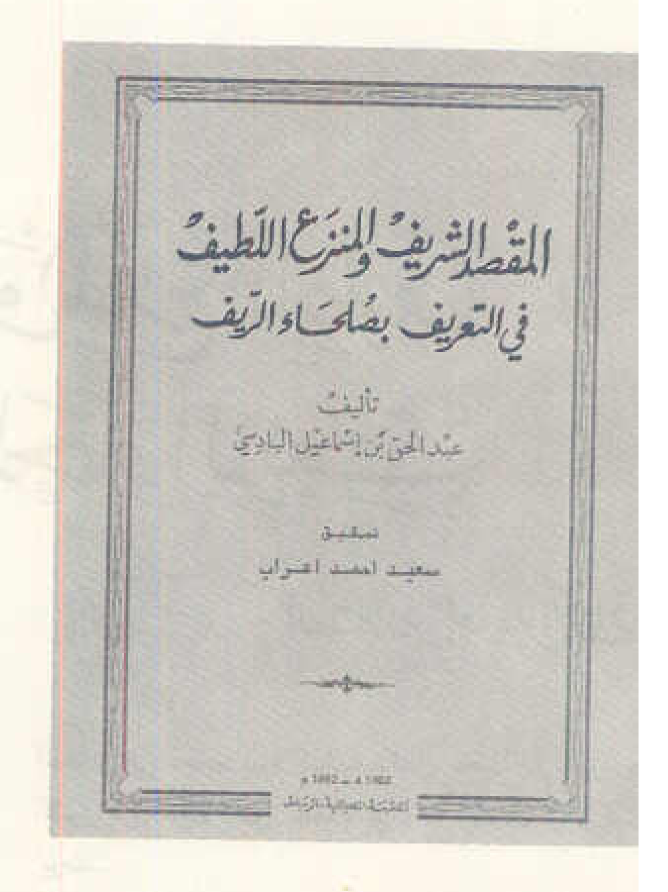
أولا : «وثيقة تاريخية (تكميلية لمن سبقه في هذا المجال) لها أهميتها.. وهو كذلك معجم جغرافي.. جمع فيه المؤلف بين منهج أبى نعيم في (الحلية) ومنهج ابن الزيات في (التشوف).

ثانيـا : «.. يعرض لأحداث بن وطاس، والعرب المتغلبين على بلاد الريف أواخر العصر الموحدى، والقرصنة التي كانت تمارسها الصليبية في البحر الأبيض المتوسط لهذا العهد وغير ذلك، مما لا نجده في كتاب سواه» (2).

---

1) مجموعة (البدائع) صدرت بسلا سنة 1357 هـ ـ 1938م.

2) المقدمة ـ صفحة 8.



ثالثا : «.. عرف في الكتاب بالمشايخ من صلحاء
ريف أورد فيه ستة وأربعين ترجمة.. (3)»

رابعا : في حين أضاف المحقق للكتاب عشر
ارس تلقى أضواء كاشفة عن أهم محتويات الكتاب.

وإذا كان المحقق قد اجتهد كعادته فيما قدمه لحد
لآن ضمن المدرسة المغربية في إلقاء أضواء كاشفة مدققة
ن خلال مقدمته لهذا الكتاب، فإنني أرى من الضروري أن
ثبت ملخصا لها تعميما للفائدة، وتقريبا من إعطاء فكرة
مولية لمتتبعي الموضوع حيث يقول :

«لعل أول من أرخ للتصوف ورجاله بالمغرب، هو
يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، في
كتابه المرسوم بـ (التشوف إلى رجال التصوف)، وقد اهتم
كثر بصلحاء الجنوب، ووقف عند حدود سنة (517هـ -
1123م) ثم جاء بعده عبد الحق البادسي، فأرخ لرجالات
شمال المغرب، وأسماه : (المقصد الشريف، والمنزع اللطيف

---

3) المقدمة صفحة 7.

في التعريف بصلحاء الريف)، ويحدد الفترة التى أرخها بما بين زمن أبى مدين، والعصر الذى عاشه المؤلف - أي من حدود منتصف القرن السادس الهجرى - الثانى عشر الميلادى، إلى أوائل الثامن الهجرى - الرابع عشر الميلادى - وجعله كصلة لتشوف ابن الزيات ، فرأيت تتميم صلته، وتنظيم فيصلته كما يشير المؤلف في المقدمة (4).

أما مؤلف كتاب : (المقصد الشريف...) فهو عبد الحق بن اسماعيل بن أحمد بن محمد بن الخضر البادسى الغرناطى، ينتهى نسبه إلى قيس بن عبادة الخزرجي، استوطن أحد أجداده غرناطة، وانتقل جده الأعلى إلى بادس، وبها ولد عبد الحق في حدود منتصف المئة السابعة للهجرة (650 هـ - 1252 م) حيث تتلمذ عن والده، وجماعة من شيوخ بلده، وتردد على فاس، وسمع من مشايخها، وممن أخذ عنهم بها، وقد كان المترجم عالما، ومحدثا مسندا، ومؤرخا نسابة ، يميل في كتاباته إلى السجع، ويتكلف الشعر، ورد على فاس، فسمع منه كتابه (المقصد الشريف) جماعة من شيوخها.

أما آثاره فلا نعرف منها إلا كتابين اثنين هما :

(طبقات الأولياء) و(المقصد الشريف) الذى ضمنه مقدمة وثلاثة أقسام، حيث ذكر في المقدمة الأسباب التى دعته إلى تأليف هذا الكتاب ، وهي (.. أن الأديب المتفنن يوسف ابن الزيات، أتى في كتابه (التشوف إلى رجال التصوف) بآيات، لكنه غفل أثره من الحسن والإحسان، عن الريف الكائن بين سبتة وتلمسان.. فرأيت تتميم صلته).

في حين تحدث في القسم الأول عن المقامات والكرامات، وضمنه أربعة فصول : (الولاية والولي) و(الفقر والفقير) و(بيان مفهوم التصوف) و(إثبات كرامات الأولياء).

بينما نجده خص القسم الثانى للحديث عن حياة الخضر عليه السلام.

أما القسم الثالث وهو المقصد بالذات - فعرف فيه بالمشايخ من صلحاء الريف، وقد استغرق وقت تأليفه نحو سنة، ابتداء في صدرها، وأنجزه في آخرها على حد تعبيره.

---

4) المقدمة صفحة 5.

على أننا نلمس في منهج المؤلف في الكتاب أنه كتبه بأسلوب مسجوع، ثم تخلص للحديث عن ذكر موطن المترجم، والقبيلة التي ينتمي إليها بأسلوب مرسل، ويذكر المدارس التي قرأ فيها، أو الزوايا التي تتلمذ بها، والشيوخ الذين أخذ عنهم، وما له من تلاميذ ومريدين، والكرامات التي شوهدت له، أو رويت عنه، وربما أشار إلى تاريخ مولده ووفاته.

وقد التزم عقب كل ترجمة، اثبات ضمنها ما للمترجم من مناقب وحلى، صنيع يوسف ابن الزيات، فهو قد جمع بين المنهجين ، منهج أبي نعيم في الحلية، ومنهج ابن الزيات في التشوف كما أسلفت.

ومن جانب آخر تبدو أهمية (المقصد الشريف) في كونه حلقة مفقودة في تاريخ التصوف بالمغرب، وهو تصوف نقي، لولا ما فيه من مبالغات في بعض الكرامات، فهو إلى تاريخ النساك والزهاد أقرب منه إلى التصوف.

وقد قال فيه صاحب كتاب : (بيوتات فاس) أنه تأليف عجيب، حسن في بابه، صغير الحجم، كبير القدر، غريب الوضع، شهير الذكر.

والكتاب كما أسلفت إلى جانب ذلك - وثيقة تاريخية لها أهميتها، فقد عرض لأحداث بني وطاس، والعرب المتغلبين على بلاد الريف أواخر العصر الموحدي، والقرصنة التي كانت تمارسها الصليبية في البحر الأبيض المتوسط لهذا العهد، وغير ذلك، مما لا نجده في كتاب سواه.

وهو كذلك معجم جغرافي، حدد قبائل الريف بأسمائها، ومواطنها تحديدا دقيقا، مما يجعل القارىء يعيد النظر في كثير من الحقائق التي أوردها ابن خلدون في (التاريخ) أو (المقدمة) مما أوضحه المحقق في هوامش الكتاب.

وإذا كان (كتاب المقصد الشريف) كتاب علمي له أهميته الوحداوية الخاصة فيمكن أن نستخلص منهج المؤلف من الملاحظتين التاليتين :

أما عن منهج التحقيق، فقد أوضح الأستاذ سعيد أعراب أنه ، وقف بالخزانة العامة بالرباط على نسخة تعتبر الفرع الأول للنسخة الأم فقابلها معها وعارضها بباقي النسخ، والظاهرة التي تميز هذه النسخ جميعها كثرة التصحيف والتحريف، وقد حاولت - ما استطعت - (5) تقويم النص، وأرجعت بعض النصوص إلى أصلها، ولم أرد أن أثقل الكتاب بالشروح والحواشي، إلا أن طبيعة النصوص التي تضخم بها القسمان الأولان من الكتاب، اقتضت بعض التعاليق، لذا نجد القسم الثالث الذي اختفت منه هذه النصوص أو كادت قد خفت فيه التعاليق إلا ما لا بد منه، وربما - يقول المحقق - ترجمت لبعض الاعلام تراجم مقتضبة مكتفيا بالإحالة على مصاردها، مختتما المقدمة بأنه ذل الكتاب بتراجم مفصلة، تلقى أضواء كاشفة عن موضوعاته وأهم محتوياته، وهي :

(فهرس الموضوعات) و(فهرس الآيات) و(فهرس الأحاديث) و(فهرس المصطلحات الصوفية) و(فهرس الاعلام) و(فهرس القبائل والشعوب والطوائف) و(فهرس البلدان والأماكن) و(فهرس الأبيات الشعرية) و(فهرس الكتب الواردة في المتن) و(فهرس مصادر التحقيق).

1) أن البادیسی كان على اطلاع واسع سواء بالنسبة لمن سبقه من مؤلفی باقی أجزاء الوطن فی هذا المجال.

2) وأنه كان أيضا على علم تام بما جد في غير المغرب من حيث التأليف المعجمى مما يشير إليه أسلوبه المختصر المركز تركيزا دقيقا - كشف عنه بدقة السيد المحقق - وجملته التعبيرية الجديدة، ولغته المبسطة، مما يجعل الحقبة التى تناولها بالبحث ذات أهمية، في حين نشير أيضا إلى أن الرجل كان في مستوى المهمة المنوطة به، وصورة للمناخ الفكرى الذى تم فيه إنجاز هنا الكتاب الهام.

وبعد، فإننى أود قبل إنهاء هذا العرض أن أؤكد أن سلسلة مطبوعات (المطبعة الملكية) بالرباط ليست مجرد

5) قول المحقق في المقدمة.

كتب كما قد يتخيل للبعض، ولكنها سلسلة تشير في وضوح إلى مخطط التزم خدمة المدرسة المغربية في إطار اختيار مدروس في صمت، في حين تشير من جانب أعم إلى مستقبل البحث العلمي الذى يتضافر من عدة جوانب بالمغرب الجديد، وآفاق رجال البحث فيه، مما يؤكد في جلاء أن المستقبل عريض وفسيح أمام الجامعات المغربية وأهدافها البعيدة والمتوسطة والقريبة.

وكم أتمنى ـ بل وادعو ـ إلى أن يأخذ هذه السلسلة الذهبية التي تكشف عن أبعاد الوحدة في بلادنا من منظور الفكر العلمى والاتجاه الإنساني الذى سلكته، والجد والاتجاه الذي كان يطبع دائما الباحث المغربى من خلال مثلا (المقصد الشريف...) وأيضا من خلال من سبقه أو تبعه ممن كلفوا أنفسهم البحث في قطاع نجد اليوم الدول المتقدمة علميا تخصص له المؤسسات والقطاعات والميزانيات التى لا بد اليوم ـ ونحن في عصر التخطيط ـ من التفكير فيها بالفكر العلمى. وما أظن ذلك بعزيز على أحفاد هؤلاء والله الموفق.

سلا ـ ز ـ الكتانى

مطبوعات جديدة عن دار الغرب الإسلامي

صدرت مؤخرا مجموعة من كتب التراث العربي الإسلامي عن (دار الغرب الإسلامي) التي يديرها الأستاذ الحبيب اللمسي.

وفيما يلي قائمة بهذه الكتب :

- (الفنية) للقاضي عياض في مجلد واحد بتحقيق ماهر جرار.
- (المحن) لابن أبي العرب التميمي بتحقيق الدكتور يحيى الجبوري عميد كلية الاداب بقطر.
- (اصلاح غلط أبي عبيد) تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري.
- (رسائل في الفقه واللغة) في مجلد واحد، للدكتور عبد الله الجبوري.
- (فهرست ابن عطية) طبعة ثانية مزيدة ومنقحة تحقيق د. محمد الأجفان ومحمد الزاهي.
- (كتاب سير الأئمة) لأبي زكرياء تحقيق اساعيل العربي، كما أصدرت الدار كتاب (تراجم المؤلفين التونسيين) الجزء الثاني في مجلد من تأليف محمد محفوظ، وكتاب (الحروب الصليبية في المشرق والمغرب) تأليف محمد العروسي المطوي.

من رجالات سبتة المغمورين:

أبو بكر عبد الرحمن بن سليمان البلوي

3

للأستاذ سعيد أعراب

في إطار حديثنا عن رجالات سبتة المغمورين، نذكر أبا بكر عبد الرحمان بن سليمان البلوي، ونجهل كل شيء عن حياته الأولى، وكل ما نعرف أنه من أهل سبتة - كما يذكر أبو محمد بن حزم (1)، وأنه رحل إلى الأندلس في طلب العلم، وكان من رفاق ابن حزم الإمام الشهير، يختلفان إلى حلقات الدرس، ويتذاكران شئون الأدب، وربما أنشد كل منهما الآخر ما عنده من شعر، وكان لهما رفيق ثالث يكبرهما قليلا، قدم من فاس تحدوه رغبة ملحة في سبيل العلم، وهو أبو علي الحسين بن علي الفاسي (2)، ورغم ما اشتهر به من نسك ووقار، وفضل وصلاح، فقد كانت له أريحية أدبية، تطربه الكلمة الشاعرة، ويهزه الغزل الرقيق، حدث ذات مرة أن أنشد مترجمنا أبو بكر البلوي، أبياتا له في صفة متجن معهود، يقول فيها :

سريع إلى ظهر الطريق وأنه
إلى نقض أسباب المودة يسرع

يطول علينا أن نرقع وده
إذا كان في ترقيعه يتقطع (3)

- وكأنه يعنى أن التجني قد يدعو إلى الهجر والعتاب، ويحسن إذا كان في لطف وإشفاق :

«وفي العتاب حياة بين أقوام (4)»

يقول ابن حزم : (ولعمري إن فيه - إذا كان قليلا - للذة، وأما إذا تفاقم، فهو فأل غير محمود، وأمارة وبيئة المصدر، وعلامة سوء، وهي - بجملة الأمر - مطية الهجران، ورائد الصريمة، ونتيجة التجني، وعنوان الثقل، ورسول الانفصال، وداعية القلى، ومقدمة الصد... (5)).

ولقد أحسن أبو محمد إذ يقول :

لعل بعد عتبك أن تجودا
بما منه عتبت وأن تزيدا

فكم يوم رأينا فيه صحوا
وأسمعنا في آخره الرعودا

وعاد الصحو بعد - كما علمنا
وأنت كذاك نرجو أن تعودا (6)

وللأسف أن معظم تراث مترجمنا أبى بكر قد ضاع، وعدت عليه عوادي الزمان، ومن حسن الحظ، أن تخطىء

---

1) انظر طوق الحمامة ص 72.
2) نفس المصدر.
3) المصدر نفسه.

4) شطر بيت من قصيدة لعصام بن عبيد الزماني، انظر ديوان الحماسة لأبي تمام ج 2 ص 4.
5) انظر طوق الحمامة ص 72.
6) نفس المصدر

عين الدهر ـ وهو البصير الحاد ـ قطعة أخرى من شعره، أوردها الحميدي في جذوته (7)، وقد خاطب بها أحد أصدقائه من أهل الكلام ـ يمازحه، ويستهديه كسوة. يقول فيها :

أيا هضبة الآداب دعوة والـــه
يناديـك منبـت القـوى ويشـوب
ويا أيها المشغـول عن فرط لوعتي
بشيطان أهل الطارق يلهو ويلعب
ومستهترا دوني بصالـح قبــــة
وذلك باب للضــــلال مخــــــرب

إلى أن يقول :
وقد أخلقت أثواب عبدك وانطوى
على جمرة في صدره تتلهـــب
(وأنت العليم الطب أي وصيـــة
بها كان أوصى في الثياب المهلب)

والقصيدة طويلة، حشدها اقتباسات، وتلميحات، علمية، وأدبية، وتاريخية، والبيت الأخير لأبي تمام (8)، ضمنه وصية المهلب لبنيه ـ قائلا :

(يا بني، أحسن ثيابكم مان كان على غيركم (9))

ـ مشيرا إلى فضيلة الكرم، والإحسان إلى الناس.

وقد أورد الحميدي ترجمة مختصره (10) لأبي بكر البلوي، وهي ـ في جملتها ـ لاتتجاوز ما ذكره عرضا ـ أبو محمد بن حزم في طوق الحمامة (11) ـ إذا استثنينا الأبيات السالفة، ويلاحظ :

1 ـ أنه لم يذكر نسبته إلى سبتة، أو أنه من الغرباء ـ على عادته في تراجم الوافدين على الأندلس ـ في الغالب الأعم.

2 ـ ذكر أنه أديب شاعر في حدود الأربعمائة. والمحتمل أنه في هذا التاريخ ورد على الأندلس وطوف بها، ودخل قرطبة وهي، تعج بالعلماء والأدباء، فأخذ عن مشايخها، وقد غادرها أيام الفتنة في حدود (403 هـ) ـ كما غادرها كثير من أهل العلم والأدب، أمثال صاعد البغدادي، وأبي القاسم عبد الرحمان بن أبي يزيد الأزدي، وقد عاد إلى مصر، وتوفي بهاستة (410 هـ)، (12) وأبي علي الفاسي، رحل إلى المشرق، وتوفي في طريقه إلى الحج قبيل سنة (417 هـ)، وحتى ابن حزم نفسه قد اكتوى بنارها، واصابته شرارات كادت تودي بحياته، فلم يستطع المقام بقرطبة (13)، فرحل إلى المرية، ومنها إلى بلنسية، ثم إلى جهات أخرى بشرقي الأندلس ـ وكانت أولى مصائبه.

والمرجح أن يكون أبو بكر ـ مترجمنا ـ قد عاد إلى وطنه، واختفى عن زملائه الأندلسيين، وإلا لعرفه الحميدي، ولأخذ عنه كما أخذ عن معاصريه، ولما أبعد النجعة، فحمله من أهل المائة الرابعة، (14) وهو ـ بلا شك ـ من رجال المائة الخامسة، على أننا تعودنا مثل هذه المجازفات من الحميدي، فقد جعل ابن عبدون اليابري من أهل المائة الرابعة، وهو ـ قطعا من رجال المائة الخامسة، وقد توفي سنة (529 هـ) (15).

ويبدو من صنيع ابن حزم في طوق الحمامة، ان أبا بكر البلوي كان في حدود سنة (418 هـ) ـ لا يزال على قيد الحياة، ذلك انه عندما يذكر أبا علي الفاسي، لايذكره إلا مقرونا بدعاء الترحم (رحمه الله)، والشأن ان لايقال ذلك، إلا في حق من فارقوا هذه الحياة، بل انه صرح بذلك وقال : انه توفي في طريقه إلى الحج، (16) بينما

7) انظر ص 254.
8) من قصيدة له يخاطب علي بن مرو يستهديه فروا ـ انظر الديوان ص 44.
9) انظر وفيات الأعيان ج 2 / 192.
10) انظر ص 254
11) انظر ص 72.

12) انظر الصلة 1 / 337.
13) انظر طوق الحمامة ص 111 ـ 112.
14) انظر الجذوة ص 342.
15) انظر الصلة 1 / 369، ودائرة المعارف الإسلامية 1 / 229.
16) انظر طوق الحمامة ص 72.

يذكر أبا بكر مجردا من ذلك، ولا يشير إلى تاريخ وفاته لا من قريب، ولا من بعيد، ومعلوم أن تأليف ابن حزم لطوق الحمامة، كان ما بين سنة (417 هـ) ـ وسنة (418).

ومن خلال كل هذا، نستطيع أن نقول ، ان مترجمنا أبا بكر البلوي، ولد في حدود الربع الأخير من المائة الرابعة للهجرة بمدينة سبتة، وبها نشأ وتعلم، ثم رحل إلى الأندلس، وانتهى به المطاف إلى قرطبة، فأخذ عن شيوخها الأعلام، والتقى برجال الفكر بها، وساجل العلماء والأدباء، وكان عالما أديبا، وشاعرا مفلقا، اشتهر بأدبه في حدود الأربعمائة، وكان في سنة (318 هـ) لا يزال على قيد الحياة، ولا نعرف بالضبط ـ متى توفي ؟ وهو ـ بلا شك ـ من أهل القرن الخامس الهجري.

أما تراثه الأدبي، فقد ضاع معظمه، ولم يصلني منه إلا بضعة أبيات، وهي التي أوردناها في هذه العجالة، وعسى الأيام تكشف عن ذلك، والله الموفق، والهادي إلى أقوم طريق.

تطوان ، **سعيد أعراب**

التيسير في أحاديث التفسير
تفسير الشيخ محمد المكي الناصري

●● انتهى الأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري رئيس المجلس العلمي بالعدوتين من وضع اللمسات الأخيرة على تفسيره لكتاب الله العزيز الذي قدمه في حلقات على مدى سنوات طويلة، وقد اختار له عنوان : (التيسير في أحاديث التفسير) ●●

نظرات في تاريخ المذهب المالكي

مغاربة المذهب المالكي في المغرب

3

للدكتور عمر الجيدي

بدأت المذاهب الإسلامية تعرف طريقها إلى المغرب أواسط القرن الثاني الهجري، وازداد انتشارها في النصف الأخير منه، ويستفاد من بعض الروايات التاريخية، أن المذهب الحنفي كان أسبق المذاهب السنية دخولا إلى إفريقية (1) خلافا لمازعمته دائرة المعارف الإسلامية، من أن المذهبين الحنفي والمالكي دخلا إفريقية في وقت واحد (2)، فهنا قول جانبه الصواب...

وفي هذه الفترة بالذات، أخذ المغاربة يتجهون نحو المشرق طلبا للعلم وأخذ الرواية، وكانت هجرتهم في بدايتها مقصورة على الحجاز (3) فاجتمعوا بالإمام مالك، وأخذوا عنه علمه وفقهه، وعندما رجعوا إلى بلادهم نشروا علمه بين الناس، فتصدوا للتدريس والإفتاء، والتزموا مذهبه في الفروع والأصول والعقيدة، وترسموا منهجه في التأليف، وطريقته في الإستنباط، فازدهرت مدرسة القيروان وقرطبة، وصار لهما من الشهرة والذيوع، ما فاق سائر المدارس الفقهية في العالم الإسلامي أوكاد، ولم ينتقل الإمام مالك إلى جوار ربه، حتى كانت مدرسته في إفريقية والأندلس من أقوى المدارس في المملكة الإسلامية، وأشدها استمساكا بآرائه وتعصبا لها...

● كان من الطبيعي أن تتزايد الرحلة إلى مالك، ويكثر عليه الإقبال، لأن من كان يجتمع بمالك، ويأخذ عنه، يرتفع في نظر الناس ويشرف فيهم، فتدفع هذه الرفعة من لم يرحل إلى الإغتراب، ليحظى بشرف الأخذ عن عالم المدينة (4)، وأحيانا كانت هذه الرحلة تتم بناء على رغبة تلاميذ الإمام، الذين كانوا يحثون طلبتهم على الرحلة (5).

ويروى أن مالكا كان شديد الميل إلى الطلبة المغاربة، لما لمسه فيهم من استعداد جاد، وحرص على الأتباع وحسن الإقتداء، فأقبل عليهم بكليته، واهتم بتلقينهم فقهه، حتى ليحكى أنه اختص أحدهم بدرس خاص، قرأ عليه فيه ما فاته (6) وكان يتتبع أخبارهم وسلوكهم في الحياة، ويكاتب بعضهم (7).

---

1) الاستقصا 137/1.

2) دائرة المعارف الإسلامية 327/2.

3) المقدمة 245 ط : الخيرية.

4) مقدمة رياض النفوس 12.

5) يذكر عياض أن زياد شبطون حث يحى بن يحى الليثي على الرحلة لسماع الموطا مباشرة من مؤلفه. المدارك 116/3.

6) مقدمة رياض النفوس 12.

) المرجع نفسه.

ولما مات مالك اتجهوا إلى تلاميذه أمثال : ابن القاسم، وأشهب، وابن وهب، وابن عبد الحكم وغيرهم.. فأخذوا عنهم ما فاتهم سماعه من مالك. وهذا الإتصال نشأ عنه انتقال المذهب المالكي إلى المغرب، فزاحم المذاهب الأخرى التي كانت سائدة في أقطاره، وخمل شأن أصحابها. فقضى على مذهب الأوزاعي في الأندلس وضايق مذهب الأحناف في افريقية، واهتم فقهاء المالكية بكثير من الجوانب الثقافية من فقه وعقيدة وكلام، وشاركوا في الحياة السياسية، فتولوا منصب القضاء والإفتاء، وأحكام السوق. واهتموا بالدفاع عن مصالح الشعب، وعملوا على نصح الأمراء، إلا أنهم لم يدوروا في فلكهم، أو يقعوا تحت تأثيرهم. كما كان الشأن بالنسبة لغيرهم من الأصناف. وفقهاء الشيعة من بعدهم، الذين كانوا يبررون سلطة الحكام بالتأويل البعيد، والتساهل في الأحكام. بل كانوا يميلون نحو الرعية، ويوثرون جانب الحيطة والحذر من تصرفات الأمراء والولاة، ويقفون ضد الجور متى صدر منهم. نلحظ ذلك من موقف الإمام سحنون لما واجه الأمير محمد الأغلب قائلا : «حبست أرزاق أعواني وهم أجراؤك، وقد وفوك عملك، ولا يحل لك ذلك» (8). كما نلمس ذلك من موقف الفقيه مماس بن مروان القاضي الذي انتقد صراحة عامل القيروان (ابن مسرور الخال) بسبب قتله رجلا بغير حق، حتى إذا أنف من وعظه ذهب القاضي إلى الوالي يطالب بعزله (9).

ليس هذا فحسب، بل إنهم كانوا يستخفون بهم، ويسخرون منهم، فإبراهيم ابن الأغلب يقول في شأن القاضي عيسى بن مسكين : يا قوم ! أرأيتم مثل هذا القاضي ؟! غبت فما شيع، وجئت فما تلقى ولا هنأ، وبعثت وراء غيره فغلظ به الرسول فاعتذرت إليه، فانصرف بعد أن رآني من غير تسليم (10)، وحينما قيل لجبلة الصدفي : إن الأمير يقول لك : كرر الإقامة وسلم اثنتين، ولا تقنت، قال ساخرا : «الأمير لا يعلمنا أمر ديننا» (11)، ولما جاءه أمر من قبل القاضي بقراءة البسلمة في الصلاة، وحيا على خير العمل في الأذان، قال له : «قبحك الله وقبح من أرسلك» (12)، وروى عياض أن أبا الأحوص أحمد بن عبد الله كتب كتابا إلى الأمير ابن الأغلب يعظه فيه بلفظ غليظ (13)...

وعندما اشتط الولاة في فرض الجبايات، وأسرفوا في أخذ المغارم (14) ثار فقهاء المالكية في وجوههم - مدافعين عن الرعية - ومبينين لهم أن هذا ليس من الدين، ولا من أخلاق المسلمين، فأحمد بن موسى التمار دخل في جماعة من رجال القيروان على عبيد الله الشيعي، فاندفع يصف سوء حال الرعية، وما نزل بهم من ظلم العمال، فكان هذا القول سبب تعذيبه إذ ضرب مائتا سوط (15)، وهذه المواقف من المالكية، حببتهم إلى الناس، وقربتهم إلى قلوبهم، فعطفوا عليهم، وأخذوا بسيرتهم، والتزموا مذهبهم، وخذلوا غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى، وابتعدوا عنهم، إذ لم يكونوا أهلا لحيازة ثقتهم، لما لاحظوه فيهم من تواطؤهم مع الحكام، وتساهلهم في تطبيق أحكام الشريعة، وارتشائهم على الأحكام، واستهتارهم في ضروب من المنكر (16)، فلاح لهم أن ما عليه المالكية هو الصواب الذي يتعين المصير إليه، وأن السلامة هي في أتباع مذهب مالك... ومما حبب المالكية للناس أيضا أن هؤلاء كانوا يعملون جهدهم للإبتعاد عن الولاة ما أمكنهم، وعدم التعامل معهم، فقد كانوا يمتنعون عن تولية القضاء، ويستخدمون في ذلك ضروبا من الحيل للتخلص من هذا المنصب.

8) المرجع نفسه.

9) المرجع نفسه.

10) المدارك : 4/340.

11) المصدر 4/376.

12) المصدر 4/376.

13) المصدر 4/390.

14) تذهب دائرة المعارف الإسلامية إلى أن بني الأغلب لم يثقلوا كواهل رعاياهم بالضرائب (2/328) وهذا خطأ فادح، فالروايات التاريخية متضافرة على عكس ذلك.

15) طبقات علماء افريقية ص : 232 والمدارك : 5/328.

16) البيان المغرب : 1/155.

صحيح أن بعض المالكية تولوا منصب القضاء، لكنهم لم يكونوا يقبلون إلا إذا نزل الأمراء والولاة على حكمهم، وهذا ما اشترطه سحنون صراحة. إذ لم يقبل القضاء إلا بعد أن أخذ العهد على الأمير محمد بن الأغلب أن يطلق يده على أهل بيته وقرابته، خدمه وحاشيته، وينفذ عليهم أحبوا أم كرهوا (17) وكذا القاضي عيسى بن مسكين الذي أرغمه الأمير ابراهيم بن الأغلب على القضاء فلم يقبل إلا بعد أن اشترط عليه أن يجعله، وبني عمه، وجنده، وفقراء الناس وأغنياءهم في درجة واحدة (18)...

إلا أن هذه المواقف في المالكية، لم ترض هؤلاء الولاة، فالتفتوا إلى غيرهم، واعتمدوا عليهم في الأحكام والأقضية والفتاوي، لأنهم كانوا يجارونهم في أفكارهم وتصرفاتهم (19)، فكان المالكية يتصدون لهم بالنقد والتجريح إذا لم يعدلوا في أحكامهم، فثارت بين الطائفتين خصومات ومعارك، انحاز الأمراء على أثرها إلى فقهائهم ضدا على المالكية، بينما التفت الشعب نحو هؤلاء، ومما زاد الناس اقتناعا بأن المالكية على حق، أن هؤلاء نصبوا أنفسهم للدفاع عن الحق، وعن المظلومين، وعن العقيدة التي عرف عن المغاربة ـ قديما وحديثا ـ أنهم لا يقبلون المساومة عليها، وهذا الموقف جر على المالكية الكثير من المحن، وتعرضوا لأقصى العقوبات، ولم يأتهم هذا البلاء من الولاة والحكام وحدهم، ولكنه لحقهم كذلك من جهة الفقهاء الذين كانوا يخالفونهم في المذهب، فطالما نكل بهم الأحناف، ودعاة الشيعة واشتد ضغطهم عليهم، فأذلوهم وامتهنوهم، ويصور لنا الخشني موقف بعض الأحناف فيقول «إنه استطال على طبقة المدنيين، وامتهنهم وضرب جماعة منهم (20)، فالصراع كان على أشده بين المالكية والولاة من جهة، وبين المالكية وغيرهم من أتباع المذاهب الأخرى من جهة ثانية، وهذا يرد ما ذهب إليه المقدسي من أن الوفاق كان دائما حاصلا بين الحنفيين والمالكيين، يقول المقدسي : «وما رأيت فريقين أحسن اتفاقا وأقل تعصبا من أهل القيروان، وسمعتهم يحكون عن قدمائهم حكايات عجيبة، حتى قالوا : إنه كان القاضي سنة حنفيا، وسنة مالكيا (21)، فصراع المالكية مع الولاة وأتباعهم كان سائدا، سواء في عصر الأغالبة، أم في عصر الشيعة الفاطميين ودعاتهم، ونعثر على نماذج من هذا الصراع في تراجم فقهاء ذلك العصر الذي عاش فيه هؤلاء. فالأغالبة بالغوا في الضغط عليهم، وحاربوهم، ونكلوا بهم، وأذاقوهم العذاب، إما مباشرة، وإما بواسطة قضاتهم الأحناف، فطالما استعانوا بهم، واتخذوهم مطية يصلون منها إلى أهدافهم، فالقاضي عياض يحدثنا أن أبا العباس عبد الله بن طالب التميمي (217 ـ 275) امتحن أكثر من مرة، وكان السبب في تعذيبه، أنه نظر إلى ما شرعه ابراهيم ابن الأغلب من الفسوق والجور والإستطالة على المسلمين، بعين السخط وعدم الرضى، فما كان منه إلا أن عزله وحبسه وأوكله إلى قاضيه ابن عبدون الحنفي، الذي سلط عليه السودان فركضوا بطنه، وسال الدم منه غزيرا حتى مات (22)، وامتحن على يد هذا القاضي نفسه، أبو جعفر أحمد بن معتب بن أبي الأزهر، ضربه ونكل به، وأدخل رجليه في فلقة حتى أدماهما (23)، كما عذب على يديه يحيى بن عمر الكندي (213 ـ 289) الذي يصفه الخشني بأنه كان شجى في نفوس العراقيين وقذى في أعينهم (24)...

ويصف عياض هذا القاضي بأنه كان متعصبا على المدنيين، والذي امتحن على يديه جماعة من فقهاء المالكية، وأهل السنة، ضربهم ونكل بهم وأطافهم وأغرى الأمير ببعضهم (25)، وامتحن البهلول بن راشد على يد «العكي» أمير القيروان الذي أمر بتجريده وضربه بالسياط وحبسه (26)... ولما امتنع الإمام سحنون عن

17) البيان المغرب 189/1.
18) المرقبة العليا ص 31.
19) البيان المغرب 155/1.
20) طبقات علماء افريقية 187.
21) البيان المغرب 155/1.
22) طبقات علماء افريقية 228 والمدارك 327/4.
23) طبقات الخشني 139 والمدارك 356/4.
24) طبقات الخشني : 135.
25) طبقات الخشني 229 والمدارك 356/4.
26) المدارك 98/3.

الصلاة خلف القاضي ابن أبي الجواد (27) وبلغ ذلك الأمير زيادة الله أمر عامل القيروان أن يضرب سحنونا خمسمائة سوط ويحلق رأسه ولحيته. ولولا أن الوزير تلطف وحال دون ذلك لتم تنفيذ هذا الأمر (28). وأبو الوليد عباس بن الوليد الفارسي، دخل عليه جيش زيادة الله بن الأغلب إلى داره فقتلوه، وقطعوا رأسه، وطرحوا جثته بخربة بتونس (29). وامتحن أحمد بن نصير بن زياد الهواري على يد إسحاق بن أبي المنهال من قضاة الأحناف. لأن أحمد بن نصر كان ينبهه على خطئه إذ كان رجل سوء (30) كما ضرب محمد بن أحمد بن حمدون المؤذن المعروف بابن النعجة. وابراهيم القري (31). وضرب أبو إسحاق ابراهيم بن البرذون بالسياط. وعندما جرد من ثيابه ليقتل، طلب منه حسن بن أبي خنزير عامل القيروان أن يرجع عن مذهبه، فما كان منه إلا أن أجابه إجابة المومن المحتسب : أعن الإسلام تنهاني (32) فنفذ فيه القتل (33)، وكذلك فعل بأبي هذيل (34).

وامتحن أبو جعفر القصري على يد القاضي الصديني. حبسه بدعوى أنه كان ينتقص أبا حنيفة (35). وامتحن قاضي القضاة ابن أبي الجواد المعتزلي أبا جعفر موسى بن معاوية الصمادحي لما سأله عن القرآن. فأجاب بأنه سمع جماعة من أهل العلم يقولون : من قال القرآن مخلوق فهو كافر (36).

وضرب فرات بن محمد صاحب ابن سحنون بالسياط. على يد سليمان بن عمران قاضي الأغالبة (37). كما عذب محمد سحنون وأهين (38) وغير هؤلاء كثير ممن امتحنوا في سبيل عقيدتهم، أو بسبب مقاومة الظلم والطغيان، والصدع بقول الحق أنى تكون نتائجه.

وإذا كان أمراء بني الأغلب قد كفوا أحيانا عن اضطهادهم للمالكية، فإنما كانوا يلجأون إلى ذلك لا رغبة فيهم، أو رحمة بهم، ولكن بسبب صمودهم، وخشية من العامة الذين كانوا يقتدون بآرائهم، فما فعله زيادة الله بن الأغلب مثلا بالقاضي الصديني المعتزلي الذي عزله وولى مكانه حماس بن مروان الهمداني، كان القصد منه : استمالة العامة، واستجلاب عطف فقهاء المالكية، ولذلك نراه يتزلف إلى الشعب مستعطفا رضاهم قائلا : «إني عزلت عنكم القاضي الجافي الحلق المبتدع، ووليت حماس بن مروان لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنة (39).

وبذهاب الأغالبة، جاء الفاطميون الشيعة، فوقف المالكية منهم نفس الموقف إذ قاطعوا حكمهم، ولم يبادروا إلى الدخول في طاعتهم، لأنهم كانوا ينظرون إليهم وكأنهم طغاة مارقون عن الدين، فحاول عبيد الله الشيعي أن يرغمهم بقوة السيف، فأراق دماءهم، وبالغ في القسوة عليهم، فما زادهم ذلك إلا إصرارا على موقفهم، بل إنهم نددوا بالشيعة أكثر، حتى إن أحدهم وهو الفقيه جبلة بن حمود الصدفي أفتى بأن جهاد الشيعة أفضل من جهاد الشرك (40) وهكذا تصدوا لمقاومتهم، وتصدروا قيادة الدفاع، وحرضوا الناس على مقاومة التشيع، ودعوهم إلى التمسك بمذهب أهل السنة، وبلغ من سخط الفقهاء عليهم، أن أحدهم وهو الفقيه أبو جعفر، كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد (41).

---

27) يصفه سحنون بفرعون الأمة وجبارها وظالمها (ابن عذاري 1/109) وقد كان يذهب إلى رأي الكوفيين ويقول بخلق القرآن..

28) انظر تفصيل ذلك في رياض النفوس ابتداء من ص 285 والمدارك 4/69.

29) رياض النفوس 169.

30) طبقات الخشني 231.

31) المدارك 5/96.

32) طبقات الخشني 216.

33) المدارك 5/118.

34) طبقات الخشني 216.

35) المدارك 4/94.

36) المدارك 4/213.

37) المدارك 4/213.

38) طبقات الخشني 227.

39) المدارك 5/70.

40) المدارك 4/376.

41) المدارك : 4/624 بيروت.

ولم يكونوا يبغضون الأمراء والولاة فقط، بل كانوا يكرهون حتى من يتعامل معهم، ويعرف بصحبتهم، فسحنون نبذ الفقيه جبلة بن حمود الصدفي رغم زهده وعبادته وفضله وتبرأ من تركته، عندما علم أن أباه كان يصحب السلاطين (42) وكانت معارضة المالكية للشيعة تكتسي أحيانا طابع التستر والتقية عندما لا يكون الأمر ملائما لإظهار هذا الخط تفاديا لما يتوقع أن يحل بهم من هلاك، وكان عداؤهم يزداد كلما رأوا أمرا يخالف الدين، ويمس جانب العقيدة، فقد كان الفاطميون يفرضون آراء التشيع على الناس بالقوة والقهر، وصدرت منهم مخالفات تصادم الدين مصادمة صريحة، إذ أسقطوا الرجم عن المحصنين في الزنا، وأسقطوا المسح على الخفين، وحللوا المطلقة ثلاثا.. وأمروا بقطع صلاة التراويح وأحدثوا في الصلاة أمورا لم يألفها المسلمون السنيون مثل : القنوت في صلاة الجمعة قبل الركوع (43)، وسبوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه حاشا علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي.. وزعموا أن الصحابة ارتدوا بعده، وأحاطه البنات بالميراث (44) وأباح دعاتهم للناس تحليل المحرمات حتى راجت دعوتهم، وجاهر معتنقوها بذلك، فأكلوا الخنزير، وشربوا الخمر في رمضان جهارا حتى علم بذلك الخاص والعام (45)، وألهوا حكامهم، وأذاعوا في الناس أنهم أمروهم بإسقاط ما يلزمهم اعتقاده من الأديان الماضية، والشرائع الدراسة على زعمهم (46) وتشير المراجع التاريخية إلى أن الشيعة كانوا يتبعون أسلوب التهديد في نشر مذهبهم، فيروى أن «رجلا منهم يعرف بالشريف - ومعه الدعاة - أحضروا الناس بالعنف والشدة، ودعوهم إلى مذهبهم، فمن أجاب أحسن إليه، ومن أبى حبس، فلم يدخل في مذهبهم إلا بعض الناس» (47).

ويقول عياض إن الأمر «غلظ على المالكية من هذا الحيز، ومنعوا من التحليف والفتيا، فكان من يأخذ منهم ويتذاكر معهم إنما يكون سرا وعلى حال خوف وريبة» (48).

ويقول أيضا «كان أهل السنة بالقيروان أيام بنى عبيد في حالة شديدة من الإهتمام والتستر كأنهم ذمة تجرى عليهم في أكثر الأيام محن شديدة، ولما أظهر بنو عبيد أمرهم، ونصبوا حسينا الأعمى السباب لعنه الله في الأسواق للسب بأسماع لقنها يتوصل منها إلى سب النبي صلى الله عليه وسلم.. وعلقت رؤوس الحمير والكباش على أبواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة مكتوب فيها أسماء الصحابة، اشتد الأمر على أهل السنة، فمن تكلم أو تحرك قتل ومثل به، وذلك في أيام الثالث من بني عبيد وهو اسماعيل الملقب بالمنصور سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة» (49).. ثم إن معاداة المالكية للشيعة كما كانت ترجع إلى سياستهم الدينية ودعوتهم المذهبية كانت ترجع إلى سياستهم الإقتصادية الجائرة التي أرهقوا بها كاهل الشعب، فطالما فرضوا على الرعية مغارم وجبايات، وصادروا أموال الناس ظلما وجورا، فالمهدي مثلا صادر أراضي الناس بما فيهم الفقهاء ووزعها على معاونيه وقواده (50) وما تبقى منها بين أيديهم كان يشتط في فرض المغارم عليها (51)، والعمال كثيرا ما كانوا يختصون أنفسهم بأموال الفقهاء الذين تعرضوا للبطش والمصادرة في عهد المهدي (52)، فكان من الطبيعي أن يقف المالكية ضد الولاة وزمرتهم موقف العداء والمعارضة وينقموا عليهم هذا التصرف، إلا أن

---

42) المدارك 372/4.

43) يروى أن المؤذن كان يقول : «أحياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين جامع شمل المسلمين وأعز بسلطانك جانب الموحدين وأباد بسيوفك كافة الملحدين وصلى عليك وعلى آبائك الطاهرين وأبناء الأكرمين... أخبار ملوك بنى عبيد ص : 16

44) المدارك 121/5 والبيان المغرب 159/1.

45) البيان المغرب 186/1.

46) البيان المغرب 386/1.

47) ابن الأثير 16/8.

48) المدارك 121/5.

49) المدارك 303/5.

50) الخشني 128 وابن عذاري 163/1 وابن الأثير 18/8.

51) ابن عذاري 1/

52) الدباغ 198/2.

موقفهم هذا جر عليهم كثيرا من المحن، حتى إن الرعية كانت تنظر إليهم بكثير من العطف والإشفاق، ونجد صدا من هذا العداء بين الشيعة، وفقهاء المالكية في تراجم بعض الفقهاء أمثال ، أبي علي حسن بن خلدون البلوي زعيم أهل السنة الذي أرسل المعز طائفة من جنده فقتلوه في مسجده في شوال سنة 412 هـ 1021 م. ويصور هذه الواقعة الدباغ فيقول ، «فارتجت المدينة وثارت الصيحة من نواحي القيروان، فمال أهل المنصورة من الرجال والعبيد فنهبوا جميع ما في حوانيتها حتى لم يدعوا حانوتا، وألقيت النار في كبار الأسواق، ونهبت أموال التجار (53)، وفعل مثل ذلك مع أبي إسحاق ابراهيم حسن بن يحيى المعافري وأبي القاسم السيوري وأبي عمران الفاسي (54)، ومنعوا أبا بكر بن وشاح بن اللباد (ت 333) من القاء دروسه بالمسجد الجامع، وامتحنوه ثم سجنوه مع المجرمين في المهدية، وعندما أطلق الزم الإعتكاف في بيته، ثم عذب أيضا على يد التاهرتي الذي أمر أعوانه فأخذوه وبطحوه على وجهه وجلس أحدهم على أكتافه، والآخر على رجليه وضربوه بالعصى (55)، وفعلوا مثل ذلك بالفقيه المحدث حبس بن مفرج الذي قتل وصلب بأمر من الحاكم الشيعي على يد القاضي ابن عبدون (56)، وامتحن محمد بن خالد القيسي الطرزي (57) على يد المروزي قاضي الشيعة ضربه في المسجد على رؤوس الأشهاد وحبسه مع أهل الجرائم نظرا لتمسكه بالسنة (58)، ويقول الخشني إن هذا القاضي فعل ذلك بجماعة من المالكيين ومن يحسب في جملتهم مثل ابن سلمون القطان والحلاسي المحتسب وغيرهم (59).

والفقيه أحمد بن زياد تعرض للتعذيب على يد إسحاق بن أبي المنهال لأنه كتب في كتاب صداق شروطا وقد نهى المهدي عن ذلك (60)، كما قتلوا عروس (61) المؤذن لأنه أذن ولم يقل حي على خير العمل (62)، وكان دعاة الشيعة قد أصروا على إضافتها في الأذان (63) وهي التهمة نفسها التي أخذ بسببها محمد بن سحنون وعذب، وأوذي الزاهد محمد الشذوني بتهمة تفضيل بعض الصحابة على علي (64)، وضرب الفقيه ابن الحداد لأنه اختلف مع دعاة المهدي في تفسير حديث النبي (ص) «من كنت أنا مولاه فعلي مولاه» (65).

والفقيه محمد بن العباس الهذلي الذي يذكر عياض أنه كان شديد البغض لبني عبيد، كثير السب لهم، لا يخاف في الله لومة لائم (66)، قد أصر على الإفتاء وفق المذهب المالكي فضربه النفطي قاضي الشيعة بالدرة في المسجد عريانا وصفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه، وشهر به في أسواق القيروان (67) وأطافه عريانا على حمار (68)، ومحمد بن خيرون المعافرى الذي أدى به تشبثه بمذهبه إلى القتل على يد جند المهدي من السودان (69)، وامتحن أبو جعفر أحمد بن موسى التمار هو وأخوه أبو عبد الله «إذ أمر عبيد الله الشيعي بضرب أخيه مائتين سوط حتى مات، وقتل وصلب كل من ابن البرذون، وابن هذيل من جهة حي على خير العمل في الأذان، وترك قراءة البسملة في الصلاة، والفتيا بمذهب مالك رضي الله عنه» (70)، ودارت على أبي العرب التميمي محنة من الخليفة الشيعي، حبسه وقيده مع ابنه مدة بسبب التهمة في السلطان، وهو أحد

---

59) طبقات الخشني ص 230 والمدارك 5/105.

53) معالم الإيمان 3/193.

54) مقدمة رياض النفوس 51.

55) المدارك 5/294.

56) المدارك 5/130.

57) وفي طبقات الخشني الطوري انظر ص 230.

58) طبقات الخشني ص 230.

60) طبقات الخشني 231 والمدارك 5/113.

61) وعند عياض (عمروس) انظر المدارك 5/328.

62) البيان المغرب 1/182.

63) البيان المغرب 1/187.

64) المدارك 5/336.

66) البيان المغرب 1/188.

67) المدارك 5/337.

68) الدباغ 2/197.

69) المدارك 5/328.

70) المدارك 5/324.

من خرج لحرب بني عبيد وحصار المهدية (71). وامتحن محمد بن سليمان القطان على يد المروزي قاضي الشيعة ضربه ثلاثمائة درة وطوفه وحبسه (72) ولم يقتصر هذا الإضطهاد وهذا التعذيب على الفقهاء فقط. بل كان يمتد أحيانا إلى العامة الذين كانوا يتعاطفون معهم (73). فالمحنة التي حلت بالفقهاء كانت تمتد إلى ذويهم وأقاربهم. إذ كانت أملاكهم تصادر. وأموالهم وذراريهم تنهب (74)... وتروى كتب التاريخ أن معارضة فقهاء المالكية لدعاة الشيعة اتسمت في بداية الأمر بطابع المناظرة والجدل. حول العقيدة (75). وقصور تلك المجالس التي كانت تعقد للمناظرة والقضايا التي ثار حولها الجدل والمناقشة. فتجل تفوق المالكية على خصومهم. فيذكر الخشني أن سعيد بن الحداد ناظر أبا العباس شقيق عبيد الله الشيعي مناظرة القرن المساوي. بل مناظرة المتعزز المتعالي وأفحمه حتى في أدق تفاصيل مذهبه. لم يتلعثم لفظاعة المقام. ولا أحجم لهيبة السلطان. ولا خاف ما خيف عليه من سطوة الحدثان (76). ولنستمع إلى هذا الحوار الذي دار بين الداعيين أبي طالب وأبي عبد الله الشيعيين. وبين أبي محمد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التباب كما أثبته عياض في المدارك (77) وهو يدور حول فضائل أهل البيت فقد قال عبد الله لأبي محمد : من أفضل أبو بكر وعلي ؟ قال ليس هذا موضعه. قال لابد. فقال أبو بكر أفضل من علي. فقال عبد الله : يكون أبو بكر أفضل من خمسة جبريل عليه السلام سادسهم ؟.

فقال له أبو محمد : يكون على أفضل من اثنين الله ثالثهم ؟ إني أقول لك ما بين اللوحين. وأنت تأتيني بأخبار الآحاد ؟! فضاق عبد الله وقال : فمن أفضل عائشة أو فاطمة ؟ فقال له : هذا أحد من سؤالك أولا. قال : لابد. قال : عائشة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من فاطمة. فقال : من أين ؟ فقال له : قال الله تعالى : **«يانساء النبي لستن كأحد من النساء»** فقيل له امرأة أبوها محمد رسول الله وأمها خديجة الكبرى. وزوجها علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وولدها الحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة. أو امرأة أمها أم رومان وأبوها عبد الله بن أبي قحافة ؟ فقا له أبو محمد : أيهما أفضل عندك. امرأة إذا طلقها زوجها أو مات تزوجت عشرين زوجا. أو امرأة إذا مات عنها زوجها. أو طلقها لم تحل لمسلم. فسكت. فيحكى أن عبد الله قال له : يا أبا محمد. أنت شيخ المدنيين. وممن يتزين به. ادخل العهد وخذ البيعة. فعطف عليه أبو محمد. وقال له : شيخ له ستون سنة. يعلم حلال الله وحرامه. ويرد على اثنين وسبعين فرقة يقال له هذا. لو نشرت بين اثنين. ما فارقت مذهب مالك (78). وقد سجل الخشني في طبقاته مناظرات عديدة دارت بين المالكية وغيرهم (79) أبدوا فيها من روح الإستبسال وضروب الشجاعة ما يندر وقوعه. وثبتوا على المبدأ رغم ما تعرضوا له من صنوف التنكيل والتهديد. ولم تقتصر مجالس المناظرة على فقهاء المالكية ودعاة الشيعة. بل كان يؤمها فقهاء الأحناف الذين اتخذوا موقفا منحازا لدعاة الشيعة (80). كما كان شأنهم في عصر من سبقهم من الأغالبة. فاستحدثوا أساليب الإرهاب أمام إصرار المالكية على التمسك بمذهبهم. فحاولوا. إرغامهم على التمذهب بمذهب أهل العراق (81). إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك أمام اصرار المالكية على موقفهم. وقد أشاد الدباغ بموقفهم هذا فوصفهم بأنهم «قوم إيمانهم مثل الجبال» (82) على خلاف بعض الشافعية الذين آثروا السلامة. وقبلوا بالإندماج مع الأصناف فرارا من الضغط. وطمعا في

71) المدارك 324/5.
72) الخشني 229 والمدارك 140/5.
73) الخشني 230.
74) الدباغ 198/2.
75) الدباغ 204/2.
76) طبقات الخشني : 199.
77) المدارك 253/6 ـ 254.
78) المصدر.
79) انظرها مفصلة في ص 199 والصفحات التي تليها.
80) الدباغ 206/2.
81) الدباغ 113/3.
82) المعالم 113/3 والمدارك 253/6.

الإستفادة من بعض المناصب التي تدر عليهم بعض المكاسب. فنجد عبد الملك بن محمد الضبي وهو شافعي المذهب «غلب عليه حب الدرهم. فتشرق وافتخر بذلك ولم يستتر» (83). تشرق حتى يتاح له العمل بكتابة الوثائق. والذي يقول في حقه الخشني : إنه ممن أثرى واكتسب بما التزمه من أخذ الدراهم في كتابة الوثائق (84). وهناك جانب آخر برز فيه المالكية وهو : مناظرتهم للمعتزلة. فقد نقل عياض أن ابن الحداد كان له مع سليمان بن حفص الفرا شيخ المعتزلة بالقيروان وغيره من أهل البدع والإلحاد مناظرات حسان. ومقامات ظاهرة أيده الله فيها. وحماه منها (85).

هكذا إذن دارت بين المالكية ومخالفيهم مناقشات ومسافلات ظهر فيها المالكية على غيرهم من فقهاء الأصناف ودعاة الشيعة، وأهل الإعتزال وغيرهم من أصحاب المذاهب المبتدعة. فصمدوا وصبروا واحتسبوا، حتى إن المهدي أرغم في نهاية المطاف أمام هذه المقاومة. وهذا الصمود، على الكف عن نشر الدعوة جهرا. واستمرت الغلبة لمذهب مالك في سائر أنحاء افريقية. خلافا لما زعمته دائرة المعارف الإسلامية من أن المذهب المالكي قد قضى عليه الفاطميون في خلال قرنين (86)... ولولا صمودهم وصلابتهم في الدفاع عن مذهبهم لا ندثر، وشاع التشيع. وفي هذا يقول الدباغ : «جزى الله مشيخة القيروان خيرا. هذا يموت. وهذا يضرب. وهذا يسجن. وهم صابرون لا يفرون. ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة (87) ولكنهم صبروا وصمدوا، حتى أجلوا الشيعة عن افريقية إلى مصر. وبصمودهم اضمحلت دولة الأغالبة من قبلهم. وقد رثى الشعراء من عذبوا وماتوا بشعر غزير، حيوا فيه بطولاتهم وشجاعتهم. ومواقفهم. وحزن الشعب لوفاتهم حتى كانوا

83) طبقات الخشني 219.

84) المرجع 218.

85) المدارك 85/5.

86) مجلد 2/ 327.

87) معالم الإيمان 2/ 200.

يقيمون على قبورهم. ويبيتون عندها فيقع الرعب في قلوب الأمراء...

هذه صورة قائمة إذن تصورها لنا المراجع التاريخية. ونعتقد أن فيها بعض المبالغة والتهويل. وتتسم بشيء غير قليل من التحامل على معارضي المالكية. فمن المؤكد أن هذه المواقف لم تكن سائدة لدى الجميع.. ومن المؤكد أيضا أن بعض فقهاء الأصناف قد أهين وعذب من طرف المالكية. وأن الحنفية إن تعصبوا على المالكية. واشتطوا في فرض الأحكام. فإن المالكية لم يكونوا بمنجاة عن هذا الصنيع.. ونظن أن هذا التصرف من الأحناف نحو إخوانهم المالكية لم يكن صادرا عن الجميع. وأن هناك من الأحناف من كان يتعاطف مع المالكية. وفيهم من كان يبغض الولاة. ولا يتعامل معهم. أو يجاريهم في سلوكهم فنقرأ في البيان المغرب مثلا أن الفقيه محمد بن المنيب الأزدي كان على مذهب أهل العراق. وكان من أهل الخير. وعرض عليه القضاء فلم يقبله (88) كما نعثر في بعض المراجع التاريخية على نماذج تفيد بأن الحنفية نالوا حظهم من العذاب إذ أهينوا بدورهم. وعزلوا من مناصبهم. وسجنوا وعذبوا.. وأن هناك من تلقى العقاب منهم على يد المالكية أنفسهم. كما هو الشأن بالنسبة للقاضي ابن أبي الجواد الذي دارت عليه المحنة بعد عزله. فقد ضربه سحنون بالسياط مرارا (89) وابن أبي المنهال كان من شيوخ الأحناف. دارت عليه دائرة السوء. فضرب وعذب أصناف العذاب بحيث كان يدخل رأسه في جراب جير (90). وقتل أحمد بن يحيى بن طيب. وهو أيضا من فقهاء الأحناف (91). وهذا الأمر ينسحب أيضا على فقهاء الشافعية. فتفيد الروايات أن فقهاءهم قد عذبوا وامتحنوا. فالخشني يحدث أن أبا العباس التستري كان شافعيا دارت عليه دائرة خطيرة عذب وأخذ ماله (92). وعياض يذكر أن

88) البيان المغرب 1/ 142.

89) المعيار 10/ 122 ط : بيروت.

90) طبقات الخشني 233.

91) البيان المغرب 1/ 161.

92) طبقات الخشني 232.

شخصا يعرف بابن العبد أني كان شافعي المذهب، ضربه شبيه بن زنون بنعله فأوجع قفاه ورأسه (93)...

كما أن الأمراء - وخاصة الأغالبة - لم يكن لهم إلا الجانب المظلم، ففيهم من كان رحيما بالفقهاء المالكية، عطوفا عليهم، مؤثرا لهم على غيرهم، فالأمير ابراهيم ابن الأغلب، كان يزور الفقيه أبا الأحوص أحمد بن عبد الله في منزله، ويلبي كل مطالبه (94)، وزيادة الله بن الأغلب عزل القاضي الصويني عندما جار في أحكامه، وولى مكانه القاضي المالكي حماس بن مروان رأفة بالرعية، وتحريا في إجراء العدل بين الناس (95)، والحياة هكذا ينبغي أن تفهم، فلا بد من صراع، ولا بد من اختلاف في الرأي، لا سيما في بلد تنازعته المذاهب، وتقاسمته الفرق، والأحزاب والشيع...

ونعرج على المغرب الأقصى حيث نجد عدوى الصراع قد امتدت إليه في عصر الموحدين الذين ضيقوا على فقهاء المالكية، وعارضوا مذهبهم معارضة صريحة وأحرقوا كتبهم.. ففي خلافة أبي يوسف يعقوب الموحدي، انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن جرد ما فيها من حديث وقرآن فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون، وجامع ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد القيرواني ومختصره، وكتاب التهذيب للبرادعي، وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب، ونحا نحوها، وهي أجود ما ألف في فقه المالكية.. ويروى صاحب المعجب أنه شاهد عند الإحراق كتب الفروع يوتى منها بالأحمال، فتوضع ويطلق فيها النار (96)، وتقدم إلى الناس في ترك الإشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة (97)، وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن ويقول صاحب المعجب كذلك ، إن هذا القصد كان ينحو إليه أبوه وجده إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا (98).

ونقل المراكشي عن الحافظ أبي بكر أبي الجد قوله «لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دخلة دخلتها عليه، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس، فقال لي يا أبا بكر ، أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا، فأي هذه الأقوال هو الحق ؟ وأيها يجب أن يأخذ به المقلد ؟، فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك، فقال لي وقطع كلامي ، يا أبا بكر، ليس إلا هذا، وأشار إلى المصحف، أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود، وكان عن يمينه، أو السيف ! فظهر في أيام يعقوب هذا ما خفي في أيام أبيه وجده» (99)، وقد أوقع يعقوب هذا المحن بذوي الفروع، وقتلهم وضربهم بالسياط، وألزمهم الايمان المغلظة من عتق وطلاق وغيرهما على أن لا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه (100)...

د : عمر الجيـــدي

---

93) المدارك 4/ 415.

94) المدارك 4/ 391.

95) المدارك 5/ 70.

96) المعجب 400 ط : الدار البيضاء.

97) المصدر 401 وانظر في الصفحة نفسها أسماء هذه الكتب.

98) المصدر.

99) المصدر 402.

100) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين 53 لشيخنا الجليل سيدي محمد المنوني.

في البحث عن تراثنا الخالد :

ابن فضلان

يصف مبارزة اسكندنافية

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

(منذ ألف سنة، أوفد الخليفة العباسي (المقتدر) (أحمد بن فضلان) سفيرا له إلى ملك (البلغار)، فاختطفه السكندينافيون، وأخذوه إلى بلادهم ليدرأوا به النحس في حربهم مع غيلان الضباب بكهوف الشمال.

وعاد بعد أن رأى العجائب والأهوال، ليسجل في تقريره المسهب إلى الخليفة وقائع رحلته. فجاء تقريره صورة دقيقة حية لأهل الشمال المتخلفين المتوحشين في ذلك العهد، وأصبح وثيقة هامة في تاريخهم القديم.

ونظرا لأهمية التقرير، كلفت جامعة (اوسلو) النرويجية الدكتور (بيرفراوس دولوس لجمع ما أصبح يسمى رسالة (ابن فضلان) الضائعة في بطون الكتب العربية والأجنبية بعدد كبير من اللغات. وقضى الدكتور (دولوس) سبع سنوات في جمعها.

وجاء بعده الكاتب الروائي الأميركي (مايكل كريتشتن ليصوغ التقرير الدبلوماسي في قالب روائي عصري، ويخرجه في قالب مشوق مثير.

وقد نقل كاتب هذه السطور التقرير إلى العروبة، مضيفا إليه ما كان عثر عليه الدكتور (سامي الدهان) - رحمه الله - من فقرات الرسالة، ونشره تحت عنوان (رسالة ابن فضلان) (1).

وهذه صفحات من تلك المغامرات الرائعة ترى النور لأول مرة باللغة العربية، في انتظار صدور المخطوط بأكمله.

والله الموفق

تقع مملكة (روثغار) في مكان ما بما يسمى اليوم (بالسويد). وكان الملك (روثغار) شيخا عاجزا أمام محاولات الاكتساح التي كانت تتعرض لها عاصمته من قوم شبيهين بالبشر يدعون (بالڤيندول)، أو غيلان الضباب، لأنهم كانوا يهاجمون مع بداية نزول الضباب في أول الليل بأصقاع الشمال الباردة. فأرسل ابنه للاستغاثة (ببوليويف) الأمير الشجاع الذي كان يتاجر في بلاد الجنوب حيث التقى به (ابن فضلان) في جنازة قائد معسكره السابق.

واستجاب (بوليويف) لاستغاثة الملك (روثغار) صديق والده، وأسرع صحبة إثنى عشر من رجاله الأشداء، ومعهم (أحمد ابن فضلان) الذي نصحتهم قهرمانتهم بأخذه لدرء النحس عنهم.

1) الكتاب (3) من سلسلة (المختار من التراث العربي) الصادر عن (مجمع اللغة العربية بدمشق) سنة 1959.

وفي مملكة (روثغار) واجه (بوليويف) ورجال (الفيندول) بشجاعة عند هجومهم تحت ستار الضباب المسائي الكثيف.

ويقع الحدث الذي نشبه الآن أثناء ترميم التحصينات في اليوم الثاني لهجوم (الفيندول).

في انتظار المعركة :

وفي اليوم التالي لم تكن تهب ريح. وانكب جميع أهل مملكة (روثغار) على العمل في بناء التحصينات بجد وخوف. وكان الكلام في كل مكان من (الكورغون) (2). وعن تأكد هجومهم تلك الليلة.

وكانت آثار المخالب على وجهي توجعني. كانت تخزني وهي تندمل. وتؤلمني كلما حركت فمي لأكل أو أتكلم فقد كانت حمى القتال قد ذهبت عني. وعاودني الخوف مرة أخرى. وعملت في صمت إلى جانب النساء وكبارالسن من الرجال.

وعند الزوال زارني النبيل العجوز الذي لا أسنان له والذي تحدثت معه أثناء المأدبة بالقصر. بحث عني هذا النبيل العجوز. وقال لي باللغة اللاتينية : «أريد أن أتكلم معك».

المؤامـــــــرة :

وقادني إلى دكة بعيدا عن العاملين بخطوط الدفاع ببضع خطوات، وفحص جروحي بحركات مسرحية كبيرة. رغم أنها. في الحقيقة. لم تكن خطيرة. وبينما كان يفحص الجروح قال لي :

«عندي إنذار لرفاقك. فهناك ما يشغل قلب (روثغار)».

قال هذا باللغة اللاتينية.

فقلت : «ما سببه ؟».

قال : «انه الحاجب. وكذلك ابن الملك. (ويغليف). الذي يقف إلى جانب أذن الملك. (يعني يؤثر عليه) وكذلك صديقه. (فويغليف). يقول (روثغار) أن (بوليويف) وأصحابه عازمون على قتل الملك. وحكم المملكة».

فقلت. رغم أنني لا أعرف ذلك :

«هذا ليس صحيحا».

وفي الواقع. كنت أفكر في ذلك من حين لآخر. فقد كان (بوليويف) شابا قويا. و (روثغار) شيخا ضعيفا. ورغم أن عادات الشماليين غريبة. فإن البشر جميعا في الحقيقة أشباه.

قال لي النبيل العجوز : «ان الحاجب و (ويغليف) يحسدان (بوليويف». وهما يسممان الجو بينه وبين الملك. أقول لك كل هذا لتقول للآخرين أن يحذروا. فهذه أفعال جديرة (بباسليسق».

وبعد ذلك أخبرني بأن جرحي غير خطير. وذهب. وعاد بعد ذلك ليقول لي :

«ان صديق (ويغليف) هو (راغنار)».

وذهب دون أن يلتفت إلي مرة أخرى.

وأخذت أحفر. وأعمل بجد عظيم حتى وجدت نفسي قرب (هيرغر). وكان مزاجه ما يزال عكرا كما كان من قبل. فحياني بهذه الكلمات :

«لا أريد سماع أسئلة أحمق».

فقلت له : «ليس لي أسئلة».

وقلت له ما قاله لي النبيل العجوز. وقلت له كذلك إن الأمر جدير بالباسيليسق (3).

---

2) جيش (الفيندول) الذي كان صفه اللامع بالليل يشبه تنين (الكورغون).

3) ابن فضلان لايصف Basikal ويظهر أنه يفترض أن قراءه يعرفون ذلك المخلوق الأسطوري الذي يظهر في معتقدات جميع الثقافات الغربية. و (الباسيليسق) معروفة كذلك باسم الأصلة Cockatrice وهي حية خرافية إذا نظرت إلى الواحد صرعته. ويقال أنها نوع من الديوك لها ذيل حية. وأربع أرجل وبعضها له قشور كقشور السمك بدل الريش. ونظرته قاتلة كنظرة (الكورغون). وسمه مميت بشكل خاص. وحسب بعض الحكايات فإن الذي يطعن الباسيليسق يرى السم ينتقل من الحيوان عبر السيف إلى يده. ويكون على الشخص أن يقطع يده لوقاية جسده.

وربما كان هذا الإحساس بخطر الباسيليسق هو الذي جعله يذكر هنا. فالعجوز النبيل يقول لابن فضلان أن المواجهة المباشرة مع أصحاب الفتنة لن تحل المشكلة. والجدير بالذكر ان إحدى الطرق للتخلص من الباسيليسق هي جعله يرى نفسه في مرآة. فعند ذلك يقتل نفسه بنظرته.

وحين سمع هيرغر ما قلت عبس، وسب، ولعن، وأقسم بأغلظ الإيمان، ودك الأرض بقدمه، وطلب مني أن أصحبه إلى (بوليويف).

وكان (بوليويف) يشتغل في حفر الخندق بالجانب الآخر من المعسكر. فأخذه (هيرغر) جانبا، وأخذ يكلمه بسرعة بلسان الشماليين ويشير نحوي. فسب (بوليويف) ولعن، وأقسم الإيمان، ودك الأرض برجله كما فعل (هيرغر)، وبعد ذلك ألقى عليه سؤالا. فقال لي هيرغر :

«(بوليويف) يسأل من هو صديق (ويغليف) ؟ هل قال لك العجوز من هو صديق (ويغليف) ؟».

واجبت بأنه فعل، وبأن اسم الصديق هو (راغنار). وهنا تحدث (بوليويف) و (هيرغر)، وتناقشا لمدة قصيرة، وبعد ذلك ذهب (بوليويف) وتركني مع (هيرغر)، فقال لي هذا :

«لقد تقرر».

وسألته : «ماذا تقرر ؟».

فقال لي : «خل أسنانك فوق بعضها». وهو تعبير شمالي يعني لاتتكلم.

وعدت إلى عملي وأنا لا أفهم من الأمر أكثر مما كنت في البداية. ومرة أخرى فكرت أن هؤلاء الشماليين أغرب الناس وأكثرهم تناقضا، على وجه الأرض، لأنهم لايتصرفون في أي أمر بالطريقة التي يتوقع الناس أن يتصرف بها العقلاء. ومع ذلك عملت في بناء سياجهم السخيف، وفي حفر خندقهم الضحل، وراقبت وانتظرت.

وفي وقت صلاة الظهر، لاحظت أن (هيرغر) انتقل إلى العمل بقرب شاب عملاق. وعملا جنبا إلى جنب بعض الوقت، وظهر لي أن (هيرغر) كان يتعمد رمي التراب في وجه الشاب الذي كان أطول منه برأس كاملة، وأصغر سنا.

واحتج الشاب، واعتذر له (هيرغر)، ولكنه عاد بعد ذلك بقليل إلى رمي التراب عليه. واعتذر (هيرغر) إلى جلده بسوط التراب على وجهه، مرة أخرى، فنفثه الفتى وبصقه، وقد غضب غضبا شديدا، فصاح (بهيرغر) الذي ترجم لي النقاش بعد ذلك، رغم أن الكلمات كانت واضحة بما يكفي حينئذ.

قال الشاب : «أنت تحفر ككلب».

فأجاب هيرغر : «هل تناديني بالكلب ؟».

فقال الشاب : «لا .. أنا قلت أنك تحفر ككلب، ترمي التراب كحيوان».

فسأل (هيرغر) : «هل تدعوني إذن بالحيوان ؟».

فأجاب الشاب : «أنت تحرف كلماتي».

فقال هيرغر : «فعلا.. فكلامك أعوج، وخجول، وضعيف مثلا كلام المرأة العجوز».

فقال الشاب : وقد امتشق سيفه.

«هذه المرأة العجوز ستجعلك تذوق الموت».

وشهر (هيرغر) سيفه كذلك، فقد كان ذلك الشاب هو (راغنار)، صديق (ويغليف) وهكذا أدركت ما دبره (بوليويف).

وهؤلاء الشماليون شديدوا الحساسية والغيرة على شرفهم، فهم يتبارزون بقدر ما يتبولون، وتعد المعارك التي تنتهي بالموت عادية. وقد يتبارزون في المكان الذي حدثت فيه الإهانة. أما إذا روعي العرف، فإن المتحاربين يلتقيان على مفترق تلتقي فيه ثلاث طرق. وهكذا تحدى (راغنار) (هيرغر) لمبارزته.

وهذه عادة الشماليين في المبارزة : في الوقت المحدد للمبارزة يجتمع أهل المتبارزين وأصدقاؤهما في مكان المعركة، ويمدون نطعا (4) على الأرض، ويثبتونها بأربعة أوتاد من خشب الغار. ويجب أن تتم المعركة فوق جلد النطع، بمعنى أن كل مقاتل يجب أن يقف بكلتى قدميه أو بإحداهما على النطع حتى يمكثا قريبين من بعضهما البعض. وكان متبارز يأتي بسيف واحد وثلاث تروس. فإذا انكسرت جميع تروس احدهما، فإنه يتابع القتال بدون ترس. والمعركة حتى الموت !

وتلك هي القوانين التي أعلنتها القهرمانة العجوز، ملك الموت، بصوت منغوم في مكان النطع المفروش.

4) قطعة جلد تضرب فوقها الرؤوس حتى يسل فوقها الدم.

بمحضر جميع أصحاب (بوليويف)، وأهل مملكة (روثغار) الذين أحدقوا بالمكان.

وكنت أنا الاخر هناك. ولكن ليس في المقدمة. وكنت أتعجب من كيف نسى القوم خطر (الكورغون) الذي أطار صوابهم من قبل. فلم يهتم أحدهم البته بشيء غير المبارزة.

وهكذا جرت المبارزة بين (راغنار) و (هيرغر). فقد ضرب (هيرغر) أول ضربة لان التحدي جاء من غريمه. فرن سيفه رنة عظيمة على ترس (راغنار).

وخفت على (هيرغر)، لأن الشاب كان أضخم منه كثيرا وأقوى. وفعلا. فقد أطارت ضربة (راغنار) الأولى الترس من قبضة (هيرغر)، فنادى هذا على ترسه الثانية.

واشتبك المتقاتلان بعنف شديد. ونظرت مرة إلى (بوليويف) الذي كان وجهه خاليا من كل تعبير. ثم إلى (ويغليف) والحاجب على الجانب المقابل. وكانا يسترقان النظر إلى (بوليويف) باستمرار أثناء المعركة الحامية.

وانكسرت ترس (هيرغر) مرة أخرى. فنادى بالثالثة والأخيرة. وبدأ الإرهاق على (هيرغر)، وتصبب وجهه عرقا. واحتقن من الجهاد. أما (راغنار) الشاب فكان يقاتل بسهولة. ودون كبير عناء.

وانكسرت الترس الثالثة. وبدأ اليأس على (هيرغر)، أو هكذا خيل إلي في لحظة عابرة. ووقف بقدميه ثابتا على الأرض. وانحنى يتنفس بصعوبة. وقد كاد يقتله الإرهاق.

واختار(راغنار) هذه اللحظة للانقضاض عليه. ولكن ((هيرغر) تجنبه بسرعة جناح الطائر. فطعن (راغنار) بسيفه الهواء الفارغ. وحينئذ رمى (هيرغر) بسيفه من يد إلى إخرى. فهؤلاء الشماليون يحسنون القتال باليدين. معا.

وبنفس القوة. وبسرعة استدار وقطع رأس (راغنار) من الخلف بضربة واحدة من سيفه.

ورأيت الدم يتفجر من عنق (راغنار)، ورأسه تطير في الهوَاء نحو جمهور الحاضرين. وشاهدت بعيني الرأس تسقط على الأرض قبل أن يهوي الجسد.

وخطا (هيرغر) جانبا. وهناك فقط أدركت أن المعركة كانت خدعة. فلم يعد (هيرغر) يلهث ويتهالك. بل وقد دّون أن تبدو عليه علامة إرهاق. ودون أن يهتز صدره. وقد أمسك بسيفه دون عناء. وظهر عليه أنه قادر على قتل دستة من مثل هذا الرجل.

ثم نظر إلى (ويغليف). وقال :

«شرف صديقك»

وقال لي (هيرغر). ونحن نغادر مكان المبارزة. انه استعمل الحيلة ليعلم (ويغليف) ان رجال (بولويف) ليسوا محاربين أشداء وشجعانا فقط. بل ما كرين كذلك وقال : «ان هذا سيزرع في قلبه خوفا أكثر. ولن يستطيع أن يتكلم ضدنا».

ورغم ذلك (هيرغر) لم يكن سعيدا. ولا كان بوليويف، هو الآخر. مسرورا. فقد بدأت طلائع الضباب تتجمع في أعالي التلال مع اقتراب المساء.

وفي اعتقادي انهما كانا يفكران في (راغنار) الذي قتل. وهو الشاب القوي الشجاع. والذي كان يمكن أن ينفع في المعركة القادمة.

وقد قال لي هيرغر :

«لانفع لأحد في رجل ميت».

أحمد عبد السلام البقالي

ثورة القراءة المنهجية
في المنزع البديع

للأستاذ مصطفى الشليح

1 ـ مدخل لابد منه :

.. إن المتتبع للثقافة المغربية الحديثة يلاحظ جليا أنها تسلك مسارا غنيا في درب الكلمة والعطاء والإبداع الخلاق الذي يعبر عن الشخصية المغربية بكل ما تحبل به من مؤثرات بيئية ودينية وأخلاقية وحضارية ومعرفية تستقيها من تراثها الزاخر الذي بدأ يعرف أنوار النشر بعد أن ظل أمدا طويلا غارقا في سديم المكتبات العامة والخاصة، وموزعا في تقاييد الفقهاء وكناشاتهم ومخطوطاتهم تنخره الأرضة وتكاد تعصف به دواعي السنين..

وقد نشط المغاربة في تحقيق تراثهم المخطوط ودراسته دراسة علمية تستوفي شروط الموضوعية والدقة المنهجية والضبط وسعة التحليل وحسن التعليل. ولعل ما تقدمه الجامعات المغربية ـ في هذا المجال ـ لأكبر من أن يشار إليه بالثناء والإطراء، ومن بين الرسائل الجامعية التي انصرفت إلى تحقيق التراث وضبطه ضبطا محكما «رسائل أبي علي اليوسي» للأستاذة «فاطمة القبلي». (1) و «المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع» لأبي محمد القاسم السجلماسي الذي حققه أستاذنا علال الغازي.

يقع الكتاب دراسة وتحقيقا في نحو 678 صفحة من الحجم المتوسط عن مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء سنة 1981، وقد نال به المؤلف جائزة المغرب للآداب في هذه السنة بالذات...

فأما الدراسة فتقع في 174 صفحة صدرها المؤلف بإبراز قيمة كتاب «المنزع» الذي يعد أول مصدر مغربي في النقد والبلاغة يرى النور بهذا التحقيق العلمي من تراثنا، ويمثل باتجاهه الهليني ومنهجه الفلسفي في النقد الأدبي وجها فريدا في النقد الأدبي المقارن، ويسهم في تحديد المدرسة المغربية الفلسفية في النقد والبلاغة، ويحدد طبيعة الخلاف في موضوع النقد والبلاغة بين العرب واليونان، ويضيف للمكتبة العربية لونا جديدا سواء في المنهاج العلمي أو الاتجاه الهيليني، أو التجاوز العربي للفكر اليوناني في الثقافة العربية (2).

2 ـ الدراسة :

أما مباحث الدراسة فقد قسمها المؤلف إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

1 ـ عصر المؤلف ـ حياته ـ شخصيته ـ وثقافته.

1) سوف ننشر مستقبلا دراستنا لهذا العمل القيم.

2) المنزع ص 7 ـ 8.

يتحدد هذا العصر في القرن الثامن الهجري الذي شهد أعلاما كبارا كابن البناء وابن خلدون والشريف السبتي وابن رشيد وابن مرزوق تحت ظل حكم النظام المريني الذي هيأ (الجو السياسي للتفرغ للبناء الحضاري والاقتصادي والاجتماعي والفكري للأمة) (3)، وفيه أصبح المغرب يتميز بخصوصياته ومميزاته في معظم المجالات الحضارية الفكرية منها والاقتصادية والإدارية.

وقد اهتم المؤلف بإبراز تطور التعليم سواء من حيث (إعادة النظر في طرقه ونظامه الأساسي، والتخطيط لتحقيق ذلك ببناء المدارس على احدث طراز مع تأمين السكن للطلبة والأساتذة وصرف النفقات والمنح لهم، واختيار المدرسين الأكفاء من سائر الأقطار وتوظيفهم بمرتبات مغرية، مع احداث المكتبات وانتقاء الكتب الهامة لها) (4)، وأبان عن الصراع الذي كان مستشريا بين مناصري السياسة التعليمية الجديدة وبين مناهضيها، وكشف النقاب عن نبوغ المغاربة في الشعر والأدب والنقد والبلاغة، وتفردهم بخصوصيات تستمد مقوماتها من التربة المغربية وجودا وإبداعا. وتنضاف إلى ذلك المدرسة الفلسفية المغرب التي يعتبر المكلاتي أحد أقطابها الكبار.

وبعد أن يعرض المؤلف لحياة السجلماسي ممحصا ومدققا ومصححا الهفات التي سقط فيها بعض الكتاب من حيث مولد الكاتب ونشأته ورحلاته ووفاته وضبط اسمه ونسبه يخلص للحديث عن شخصيته وثقافته، فهو الرجل الموسوعي العميق الدراية والرواية، الشمولي المعرفة، المتنوع الاطلاعات المتوزع الاهتمامات ، المحلل بتؤدة وروية، المعلل بعلمية ومنطقية، والمستقل في إصدار أحكامه، وهو الفيلسوف المنطقي المتمثل للثقافتين العربية والهلينية إن أسلوبا أو منهجا أو مصطلحات علمية مضبوطة معتمدة على مفاهيم نظرية يرسخها التطبيق بعد المحاورة والمناقشة، أو تخطيطا ينطلق من أجناس عالية تتفرع تنازليا إلى مكونات دنيا إذا جمعت تصاعديا تعطي الكليات. وهو الناقد البلاغي الذي أخرج درس البلاغة من طوطم التعامل الفوضوي غير الممنهج إلى دراسة علمية وموضوعية واعية. وهو اللغوي الذي ينأى عن سكونية الشرح ليجنح إلى دراسة اللغة انطلاقا من السياق، وما المعنى الجمهوري، والمعنى الصناعي إلا دليلان على ذلك، وهو الاديب الذي يحوم حول التراثين العربي والهيليني، ويستقي شواهده المركزة منهما.

ويخصص الباحث الفصل الثالث من هذا المبحث للحديث عن التفاعل العربي اليوناني في النقد والبلاغة، ويهمنا منه ماهو متعلق بالمغرب، لأن الدارسين والباحثين قتلوا هذه الظاهرة تنقيبا وتحريا منذ العصور القديمة إلى مطلع النهضة العربية، وما زالت الدراسات تتوالى تباعا حولها..

إن حازما القرطاجني تعرض في كتابه «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» للعديد من القضايا النقدية التي تتجذر في تربة الفكر الإغريقي، وكان حازما في الضبط المنهجي للمصطلحات مما جعله يتفرد بخصوصية مغربية يتميز بها عن كل الذين تعاملوا مع أرسطو من قبل.

لقد حاول الكاتب - وهو يتتبع مؤلفات هذا العصر النقدية - أن يحرصها في اتجاهين، يتمثل أولهما في «المتخصصين» من خلال السجلماسي في (المنزع) وابن البناء في (الروض البديع)، والشريف السبتي في (رفع الحجب المستورة) والثعالبي في (أنوار التجلي)، وثانيهما في «غير المتخصصين». وقد ركز الأستاذ علال الغازي على الرحالة المغربي الكبير ابن رشيد السبتي في (رحلته) التي تشكل (معجما فكريا وتاريخيا وأدبيا ساهم فيه في النقد والبلاغة بقسط وافر.. (5)).

3 - المنزع والنقد الأدبي :

بدءا، يحدد المؤلف نوعية القراءة التي سيقوم بها «للمنزع»، وهي قراءة جديدة تستهدف - أساسا - (أطروحات

---

3) المنزع ص 38.

4) نفسه ص 40.

5) نفسه ص 69.

تحتاج إلى استثمار التراث فيها استثمارا يبعدها عن الانسلاخ عن هويتها، كما يبعدها عن الاستلاب الذي وقع فيه الجيل السابق، وأصبح جيلنا المعاصر قادرا على القيام بعملية عكسية تتمثل في إيقاع الآخرين في استلابنا تراثا ومعايشة) (6).

إذن، تتلخص شروط هذه القراءة الجديدة في أربعة محاور :

1 - استثمار التراث أو الانكباب على بحثه دراسة وتحقيقا ونشرا.

2 - عدم الانسلاخ عن الهوية الخاصة بها أو حضورها كذات وموضوع .

3 - تجنب السقوط في وهم الاستيلاب.

4 - إيقاع «الآخرين» في استلابنا بواسطة دراسته دراسة تستمد مقوماتها من أحدث المناهج العلمية.

وإن الكاتب لاينسى - وهو يعد بهذه القراءة - (أن التراث العربي يعد أخصب تراث عالمي يملك إمكانية العطاء لعملية بناء الثقافة على أساس كيفي وكمي معاصرين) (7).

من هنا، فإننا نلاحظ أنه - وربما عن قناعات تولدت بفعل الاحتكاك المباشر بالتراث العربي رمته، سواء في دراسته الجامعية أو بحثه الأكاديمي الذي بين أيدينا، وما اعتمد عليه من توسل بالمصادر والمظان الأساس لهذا التراث - يحدد موقفه من الثقافة العربية القديمة الماضوية، ويجعلها أخصب تراث عالمي، ونحن - وإن كنا لانجادل في هذا الأمر - نتحفظ بصدد هذا الحكم، لأنه ينبغي أن يتم عن طريق دراسة مقارنة لنماذج التراث العالمي، ولأنه - بالتالي - تتضافر هاته النماذج جميعها لتقوم بعملية محاكمة للمعرفة الإنسانية دون استثناء.

إلا أن الأستاذ الغازي يتوكأ على عيون التراث العربي، ليدعم موقفه، ويجعله موضوعيا قائما على البرهان العلمي والدليل القوي.. ولعل الكاتب مدين - في هذا التخريج - إلى كتاب «المنزع» البديع في تجنيس أساليب البديع «الذي قام بتحقيقه لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بفاس...

وانطلاقا من العنوان، ينتبه الدارس - بذكاء - إلى جناية هذه العناوين البلاغية على المنظومات النقدية التي تموج بها كتب مثل (الروض المديع في صناعة البديع) لابن البناء، و (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني، من حيث إنها افقدتها دلالاتها المضمونية والعلمية والنقدية، وجعلت القراء ينصرفون عنها ظنا منهم أنها تدور في فلك البديع والبلاغة...

ولا نريد أن نساوق الكاتب ونلاحق تطور مصطلح «البديع»، ولكن يجب التنويه بما أورده من أن المنزع - بصرف النظر عن عنوانه البديعي - يعج بالقضايا النقدية والبلاغية تحايثها الفلسفة اللغوية التي نلمسها بقوة فيه.

ومن بين القضايا النقدية والبلاغية التي تطرق إليها السجلماسي صاحب المنزع قضية اللفظ والمعنى. التي تناولها بحذر علمي، ومنهجية محكمة ترتكز على مصطلحات معينة مخافة السقوط في شرك التعميمات والسطحيات، وهي لاتقف عند حدود اللغة بل تتعداها لتعانق الفلسفة، وتحقق معها اتحادا حلوليا إذا صح التعبير - وتستعين بالنحو والنقد لتغدو تلك الدلالة أعم وأشمل وأعمق مع إيراد الشواهد المركزة الكثيرة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والموروث الشعري العربي وبعض المقتطفات من الموروث الهيليني مما يدفعنا إلى التنوية بموسوعية الاستشهاد عند السجلماسي، وليس في ذلك ريب مادام - كما أشرنا آنفا - موسوعي الفكر، وشمولي الفكر والثقافة والاهتمامات..

ولكي نأخذ فكرة عن تعامل السجلماسي مع هذه الثنائية ، ثنائية اللفظ والمعنى نراه المصطلح الأصل الذي يسميه الجنس العالي، وعنه تنشأ تفرعات اصطلاحية ،

فالانجاز (الجنس العالي) يفضي بنا إلى فوعين المساواة والمفاضلة، وعن الثانية ينبثق الاختزال والتضمين، ويأتي الاصطلا والحذف من الاختزال، وعن الاصطلام

6) نفسه ص 96.

7) نفس الصفحة.

يتولد الاكتفاء المقابلي، وفي المقابل يتولد من الحذف الانتهاك والاطلاق، وعن هذا الأخير يرد الاهمال والاخترام، في حين يعطينا الانتهاك «مايقع في تركيب الإضافة» من حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه أو حذف المضاف إليه وإبقاء المضاف. ويعطينا الانتهاك كذلك ما يقع في تركيب الصفة من حذف الموصوف وإبقاء الصفة أو حذف الصفة وإبقاء الموصوف.

هذا مثال نموذجي للمنهجية التي التزم بها السلجماسي في تعامله وتعرضه لقضية اللفظ والمعنى. ولم يحد عنها إلى أقوى عند حديثه عن قضايا أخرى سواء منها النقدية أو البلاغية، وقد أشار إلى ذلك المحقق في الدراسة.

وطبعا تتحدث الدراسة، مثلما يتحدث «المنزع» عن قضايا أخرى مثل : علاقة الفن بالنفس أثناء العملية الإبداعية، وحد الشعر وعلاقته بالخطابة، والتخييل، وثنائية الصدق والكذب، والمحاكاة والتمثيل، ولم نتعرض لها - تلافيا للأطناب، وحافزا على العودة للكتاب لتدارسها - وأثرنا الانتقال إلى مناقشة المؤلف حول المنهجية المتوسل بها في الدراسة بعد عرضها..

المنزع والقراءة المنهجية :

أولا : ينبثق سؤال من الذاكرة يغلي كتنور : لماذا تحقيق التراث ؟ وعود على بدء، وكما أشرنا في مطلع هذا البحث فإن التراث هو الذي يحكم الآصرة بين الماضي والحاضر لاستشراف آفاق المستقبل، وهو الذي يقي شخصية المرء من الهلهلة والاغتراب والاستلاب واحتذاء أثر الآخرين..

هويتنا تنبع من تراثنا.. ومن الماضي نستجلب مقومات الحاضر لنبني صرح المستقبل.. وليست هناك أمة بدون تراث، وبدون حمولات حضارية ومعرفية..

من هذا المنطلق، وتحت ضغط هذه العوامل، محتم علينا ألا نلوي اعناقنا، ونعرض عن ماضينا، ونقع في وهم ذاكرة تأتي من الغير لتصب قنواتها في بئر لامسؤوليتنا واستهتارنا الفكري.

ومن هنا، يفرض الماضي ذاته .. !

ومن هنا، فرض السجلماسي كتابة «المنزع».

ومن هنا - أخيرا - ما وجد الأستاذ الغازي مندوحة من الانكباب على تحقيقه في صبر، وهمة داركة تتحدى المثبطات، وتهزأ بالنكوصات !

لقد اعتمد في دراسته التحقيقية «للمنزع» على نسختين :

أ - وتوجد بخزانة المعهد الديني العالي بتطوان تحت رقم 932، وهي مكتوبة بخط مغربي جميل، وقد نسخها ابراهيم بن محمد الغساني الوزير سنة 990 هـ بفاس وتقع في 236 صفحة من الحجم الكبير.

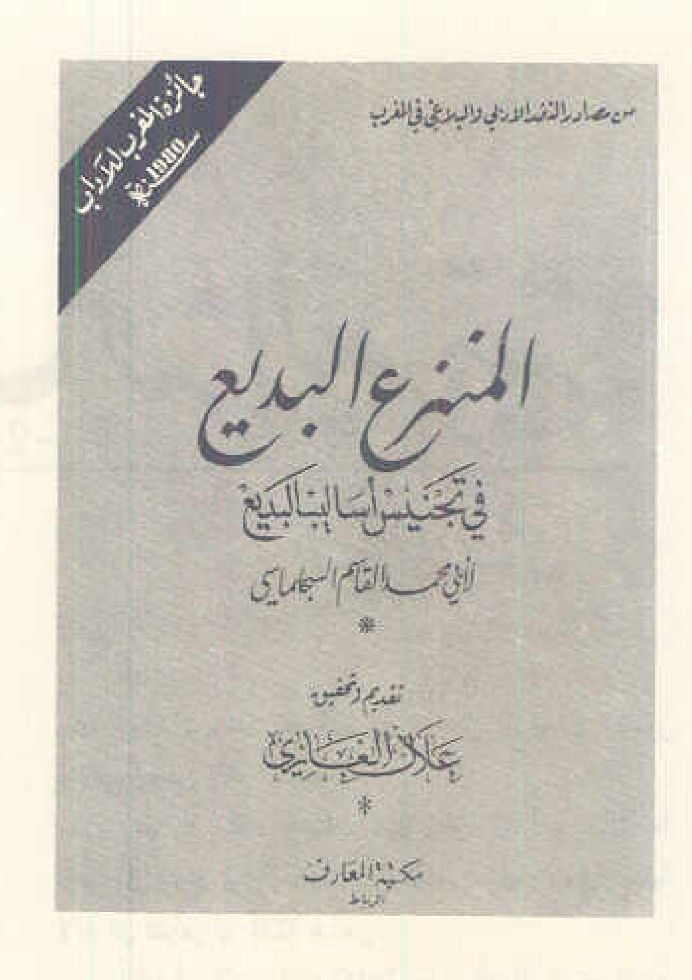
ب - من مخطوطات مكتبة الدولة ببرلين انتقلت إلى مكتبة الدول بالسويد خلال الحرب العالمية الثانية، وتقع في 120 صفحة، ويعود تاريخ نسخها إلى سنة 802، وهي مكتوبة بخط تونسي.

وبواسطة المقارنة بين النسختين السالفتين الذكر، والتوسل (بالمظان وتتبع أسرار المتن (8) تمكن الباحث من ضبط الكتاب رمته بالشكل التام وإحالة الآيات القرآنية إلى سورها مع مراعاة ذكر السورة ورقم الآية، ونسبة الأبيات الشعرية المنبثة في المؤلف إلى أصحابها. وشفع ذلك بفهارس سعى من روائها إلى توضيح الغامض وتفصيل المجمل ونزع الغموض والابهام عن «المنزع» ليسهل على القارىء استيعابه وتمثل جانب الضبط العلمي الممنهج فيه..

فأما فهرس المصطلحات أو المعجم الفلسفي - كما يسميه - فقد راعى فيه الترتيب الأبجدي للمصطلحات، وتتبعها في مواضعها من الكتاب، وشرحها شرحا وافيا اعتمادا على المظان الفلسفية والمنطقية سواء منها القديمة أو الحديثة، وحبذا لو أن الأستاذ المحقق أضاف إلى ذلك إثبات عنوان تلك المصادر والمراجع التي توكأ عليها في استخراج كفه هذا المصطلح أو ذاك ليسهل على الدارس الرجوع إليها إن هو أراد أن يتوسع في البحث والدراسة.

---

8) نفس المصدر ص 78.



ونزع الكاتب في فهرس الموضوعات إلى أن يضع (أمام كل فرع لا يتفرع إلى غيره صفرا. ويثبت الصفحات أمام كل الموضوعات المتفرعة) (9) متوخيا بذلك الإختصار والتنظيم والوضوح على حد تعبيره. وبذلك سلم من طريق الرموز التي شقت عليه عصا الطاعة. وابتعد عن علم الإحصاء والأرقام التي تعود تصاعديا إلى الجنس العالي.

وجعل (فهرس الاعلام) شطرين تتبع في أولهما كل الاعلام الذين ذكرهم المؤلف. واستغل الثاني للأعلام الذين تم تخريجهم من متن الكتاب دون أن يذكرهم المؤلف. بل اقتصر عن إيراد شيء من آثارهم الابداعية كبيت من الشعر مثلا...

كما أنه صدر الكتاب بـ (شجرة التركيب البنيـوي لمصطلحات المنزع ومفاهيمه) توخى فيها الإستعانة بالعد التنازلي من الجنس العالي إلى آخر ما يتفرع عنه. ولم ينس ذكر صفحات تلك الأجناس العالية أو التفرعات الناشئة عنها. مما أضفى على «الشجرة» دقة منهجية تساعد الباحث على تلمس الجنس أو الفرع في الصفحة التي يقع فيها كل منهما...

يتبين لنا ـ إذن ـ مما سبق عمق القراءة التي قام بها الأستاذ علال الغازي لكتاب «المنزع». وهي قراءة تتميز بطول النفس وجدية التناول وحميمية التعامل معه جملة وتفصيلا. وتتسم بالمنهجية في الدراسة والتحقيق معا. وتنفلت لترسم المعالم التي ينبغي على الباحثين الشباب أن يحتذوا بها في رسائلهم الجامعية مستقبلا...

إنها قراءة تبتعد عن التسطيح. وتنأى عن التهافت. وتعلو على غثاء السيل والزبد الذي يذهب جفاء. وتنحت من صخر المعاناة التي عاشها المحقق عملا إيجابيا قدم إضافات ثرة إلى المكتبة النقدية والبلاغية في المغرب خصوصا والوطن العربي عموما.

إنها قراءة جعلت من استقراء التراث هما يسكنها ومن دراسة ألما ينزو بداخلها. ومن تحقيقه غاية تحلم بها وتسهد صاحبها من أجل القيام بها وإتمامها.

إنها قراءة عملت على فك الحصار عن تراثنا الزاخر. وقدمت لدارسي النقد والأدب والمعرفة ـ بصفة شمولية ـ كاتبا فذا. وناقدا عملاقا ومنهجيا خطيرا بمصطلحاته العلمية الصرف. وأديبا عظيما هو السجلماسي... إنها قراءة انطلقت لدراسة «المنزع» تحدوها الرغبة اللاهبة في إثبات الشخصية المغربية المحض التي تعالت عن أن تكون مجرد صورة مكروة للأدب المشرقي...

وإنها ـ في الختام ـ لبنة ستتلوها لبنات أخرى ـ إن شاء الله ـ لاعلاء صرح الثقافة المغربية الصميمة وإبراز شموخها وعلو كعبها وأصالتها. والتأكيد على أن هاهنا ـ في المغرب ـ تراثا فياضا ما زال في مسيس الحاجة إلى القراءة والدراسة والتحقيق والنشر...

---

9) نفسه ص 84.

كيف نحمي الثقافة العربية؟

-2-

للأستاذ أحمد تسوكي

أكتب هذه السطور وحولي أسئلة تتلاطم كالموجة في إثر الموجة. أسئلة ملحة عن واقعنا الثقافي العربي، وعن ثوابته ومتغيراته، وعن مسؤولية المثقفين فيه، وعن واجباتهم وحقوقهم، وهل يجوز الحديث عن ثقافة عربية واحدة أم عن ثقافات عربية متعددة ؟ ومن أين جاءت هذه التعددية وما هي أسبابها وأخطارها. وما هي أهداف الداعين إليها ؟... وأسئلة أخرى عن ثقافتنا «القديمة» وثقافتنا «المعاصرة»، وثقافتنا في المستقبل، وعلاقة التعليم بالثقافة، وإذا صحت هذه العلاقة، فلماذا نجعل التعليم غاية وهدفا ؟ وكيف يمكن الحديث عن الثقافة في مجتمعات تسودها الأمية وإذا أردنا أن نحمي الثقافة العربية - كمفهوم ونظرية وفلسفة - فمن أين نبدأ هذه الحماية، هل من داخل أم من خارج ؟

هذه هي بعض الأسئلة التي يحتاج كل سؤال منها إلى مبحث خاص به، بل إنه لا ينبغي أن يبذل في هذا المبحث جهد فرد واحد من الأفراد: وإنما ينبغي أن تنصرف إليه جهود هيئات ومنظمات رسمية وغير رسمية، لأن قضية الثقافة - أو قضاياها بأصح تعبير - في حياتنا العربية، كما في حياة المجتمعات الأخرى - تهم حاضر ومستقبل الأمة، وتهم مصير الأجيال، وتهم المجتمع بكامله، وتهم أيضا - وهذا هو الأساس - عقل ووجدان وضمير وتفكير ووعي ولغة المجتمع.

ومما لا يكاد يختلف فيه إثنان، أن أية ثقافة إذا أريد أن تتسع لها الحدود، وأن تمتد أمامها الآفاق، فإنها لا بد أن تتوافر لها ثلاثة عناصر :

أولها أن تكون لهذه الثقافة جذور أصيلة راسخة القدم في الحضارة والتاريخ الإنسانيين.

وثانيها أن تكون حية في ضمير العصر الذي نعيشه، بمعنى أن تكون جزءا من ثقافة العصر، معبرة عنه ومندمجة فيه.

وثالثها أن يكون وراءها تخطيط وتنظيم وتنسيق في المجالات التي يمكن أن تؤثر فيها الثقافة، وذلك حتى تستطيع هذه أن تؤدي دورها المطلوب منها على مستواها الوطني الخاص، وأن تبلغ رسالتها المنوطة بها على المستوى الدولي العام.

وللأسف الشديد، فإن مجال الثقافة في عالمنا العربي، لا يزال يعاني كغيره من المجالات الأخرى من الفوضى والإرتجال والعشوائية، ومن التقمص البليد للنماذج المستوردة من شرق أو من غرب، ومن التخبط في المشكلات والقضايا الفكرية والوجدانية والعقلية المشبوهة

والهامشية. بعضها مما يتصل بواقع الأمة ويمت إلى همومها وهواجسها وآمالها وآلامها بسبب من الأسباب القريبة أو البعيدة. وبعضها الآخر مما علق به وشابه وهو منه براء.

وللأسف أيضا، أن مجال الثقافة في الوطن العربي هو أبعد ما يكون عن التخطيط المحكم والدراسة المعمقة والبحث المدقق والمعالجة النافذة. فإذا مسه هذا التخطيط كان مسا رقيقا رفيقا، وكان علاجا لطيفا خفيفا، لا يؤمل منهما للثقافة خير يذكر، ولا يرجى منهما أن يكون لها موقع مؤثر في حركتها من جهة وفي الحياة اليومية للمواطن من جهة ثانية.

ولقد ولج التخطيط ميادين شتى من حياتنا العربية، وساهم بدور كبير في تطويرها وتحسين بعض وسائلها ومظاهرها، وشارك في ترقية وتزكية طرائق مختلفة من تلك الحياة من أجل أن تكون أفضل وأحسن. وهكذا دخل التخطيط سبل التعليم والتدريس والتلقين للأفراد والجماعات، وسبل تنمية الدخل ورفع الإنتاج في الحقول والمعامل والمكاتب، ودخل قطاعات النمو الإقتصادي والإجتماعي وخدماتها ومرافقها المختلفة من سكن وتغذية ووقاية وعلاج وفلاحة وصناعة وجباية وسوى ذلك... إلا مجالات الثقافة، نأى عنها ذلك التخطيط كأنها من الأمور التي لا تحتاج إلى تنظيم وتحضير وإعداد. ونتج عن ذلك أن ظل العمل «الثقافي» في يد بعض المثقفين الذين لا يملكون إلا جانبه الإبداعي، وفي يد بعض الأفراد الذين يتولون تسيير الثقافة من أبوابها التجارية كالطبع والنشر والتوزيع والدعاية والإعلان.

وهكذا أضحت ثقافتنا كأنها من الأمور التي لا يليق بغير هؤلاء وأولئك أن يعنى بها وينميها ويغذيها بعناصر القوة والذيوع والإنتشار بين الأفراد والجماعات.

ومما لا يحتاج إلى تنبيه أو تذكير، أن الثقافة هي قبل كل شيء تراث يمثل - أعمق تمثيل - روح الأمة وعقلها وضميرها العام. فهي بمثابة المرآة المصقولة التي تعكس تقدم المجتمع ومدى رقيه وتطوره الإنساني، ونوعية تفكيره ومفاهيمه للأشياء، ونمط تعامله وتفاعله مع الواقع، وطريقة رؤيته إلى الحاضر والمستقبل والمصير.

ولا توجد أمة من أمم الأرض، تنكرت لثقافتها وأدارت لها ظهرها، إلا في وطننا العربي حيث نجد الثقافة في بعض الأقطار - عوملت ولا تزال تعامل كمادة كمالية زائدة، قد يأتي الوقت الذي يستغنى فيه عنها، وإما كبضاعة للإستهلاك اليومي العابر، بحيث لا يطلب منها في هذه الحالة أن تخلف في وعي الفرد والأمة أي أثر عقلي أو فكري قد يسهم - إذا حسن استغلاله - في تطوير قدرات الفرد وإذكاء روح الحياة والوجود فيه. وفي أحسن الأحوال، فإن الثقافة في بعض الأقطار الأخرى تعامل كأنها وليد فرض عليه أن يواجه مطالب الحياة واحتياجاتها بجهده الخاص، وأن يكفل لنفسه بنفسه أسباب النمو والنشأة والإرتقاء، إذا أراد أن يقف بقدميه على أرض ثابتة.

وهكذا، فإن انعدام التخطيط في المجال الثقافي، أدى بطبيعة الحال إلى غياب رؤية بعيدة المدى لما يمكن ولما ينبغي أن تفعله الثقافة في وجدان الناس ولما يمكن ولما يجب أن تؤديه لهم في حياتهم الخاصة والعامة. كما أدى انعدام التخطيط إلى غياب نظرة علمية ثاقبة ومتكاملة عن تأثير الثقافة في سير المجتمع ونموه وتقدمه.

ولا يمر يوم أو تمر مناسبة من المناسبات، من غير أن نقرأ أو نسمع أن الأوان قد حان لوضع (إستراتيجية) للثقافة العربية داخل الوطن العربي وخارجه، وأن الظروف التي تجتازها هذه الثقافة تطالب المثقفين والمفكرين والمنظرين والمسؤولين عن توجيه العمل الثقافي بالمبادرة فورا إلى التخطيط والتنظيم والتنسيق على أعلى المستويات، بالنظر إلى أن العصر الذي نعيش فيه وبكل ما ينطوي عليه من تحولات وانعطافات فكرية وعلمية وعقلية جديدة ومتجددة، لم يعد يسمح لثقافتنا بأن تذيع وتشيع وتنتشر وسائلها وأدواتها وتنفذ مفاهيمها وأفكارها بدون تخطيط طويل وتنظيم محكم وتنسيق متواصل، يقوم به أولا المثقفون والمفكرون أنفسهم، ثم يسعفهم ويعينهم ثانيا ذوو الخبرة والتجربة والمراس من رجال التخطيط والتنظيم والإعداد. ولا يمكن تصور غناء هؤلاء عن أولئك، لأن الثقافة اليوم، إبداع يتبعه تخطيط، وابتكار يعقبه تنظيم، وهي ككل الإنجازات التي يبدعها الإنسان في هذا

العصر ـ خاضعة ـ بشكل أو بآخر ـ إلى هذه الوسائل والأدوات والأجهزة العلمية الدقيقة التي يطورها الإنسان في كل وقت من أجل استكشاف حقيقة الأشياء في الكون المحيط به.

إلا أنه من المؤسف، أن ثقافتنا العربية لا تزال حتى في هذه الظروف الراهنة التي تحتم المسايرة والمواكبة مع كل خطوة يخطوها الإنسان في اتجاه الأحسن، تسير في سبلها ومسالكها المتشعبة على عكاز واحد، أي أنها لا تعتمد إلا على الجهود الفردية الإنفرادية التي لا تخلو مع ذلك من توخي الكسب المادي السريع دون الكسب المعنوي.

ولقد كانت هذه الجهود التي يبذلها المثقفون والمفكرون والكتاب والأدباء والنقاد وبعض أصحاب دور الطبع والنشر والتوزيع، تؤتي بعض الثمار في الماضي، حينما كان محيط الثقافة العربية ضيقا ومحدودا، وحينما كانت الثقافة مادة موقوفة على بعض الفئات الإجتماعية المدسرة. بيد أن ظروف اليوم هي غير ظروف الأمس، وعالمنا الحاضر غير عالمنا الغابر، والتحولات السياسية والإجتماعية والإقتصادية العميقة التي حدثت في العقود الأخيرة ـ ولا تزال تتمخض عنها أحداث أكثر عمقا ـ جعلت من الثقافة مادة مشاعة بين فئات وطبقات الناس كافة. ولقد إختفت منذ عهد غير بعيد، الدعوة التي كانت تطالب بأن تظل الثقافة في برجها العاجي لتخاطب أصحاب العقل والفكر وحدهم، وحلت محلها الدعوة التي كانت تنادي بأن تنزل الثقافة إلى رجل الشارع، حتى يفهمها ويتمثلها فهما وتمثلا واعيين ناضجين. ولا شك أن انتصار هذه الدعوة الأخيرة، إنما جاء نتيجة طبيعية لما حدث للفلسفة بالذات، حين كان الإشتغال بالميتافيزيقا تحتكره مجموعة من الفلاسفة، حتى جاءت مجموعة أخرى منهم تهدم هذا الإدعاء وتكسر هذا الإحتكار وتجعل من الفلسفة غذاء يوميا للإنسان، باعتبار الفلسفة تفكيرا وتأملا ونظرا في الأشياء.

ومهما كانت نوعية تلك الثقافة التي نزلت إلى الشارع لتخاطب عامة الناس، ومهما كانت بساطتها وفجاجتها وضحالتها التي تتصف بها، فإنها اليوم ـ وبدون جدال ـ سيدة «الموقف الفكري». لقد فقدت كلمة «مثقف» سحرها وجمالها وجاذبيتها التي كانت تستهوي بها القلوب والأفكار، ومن ثمة، باتت هذه الكلمة الرنانة مجرد كلمة تعني شيئا آخر مخالفا تماما لما كانت تعنيه بالأمس، وهذا كله يدل على أن «المثقف» في عصرنا، ليس أكثر من فرد لديه معلومات معينة ومبسطة عن أي شيء.

والدعوة إلى التخطيط للثقافة، ينبغي أن يفهم منها اساسا تضافر الجهود بين كل المهتمين بالثقافة العربية ـ ولا أفصل هنا بين قديمها وحديثها كما يفعل البعض ـ حتى يستطيع نبض هذه الثقافة أن ينتقل صوته وصداه إلى جميع الناطقين بالضاد وغير الناطقين بها، إذ أن الثقافة في ظروفنا الحضارية الحالية بضاعة واستثمار، قبل أن تكون نتاج إبتداع وابتكار، ولذلك فهي تحتاج إلى وكلاء وإلى أنصار، وإلى مكاتب ووكالات، تتولى البيع والتسويق والدعاية والترويج، لكي يحقق العمل الثقافي غايته وهدفه.

ووضع (استراتيجية) للثقافة، يحتاج إلى تخطيط ودراسة، والتخطيط والدراسة يتوقفان على إمكانيات ووسائل واعتمادات مالية، وهذه ليست في أيدي المثقفين والمفكرين والمبدعين، ولكنها في أيدي الأجهزة الحكومية المعنية وفي أيدي أصحاب دور الطبع والنشر والتوزيع الذين يستثمرون أموالهم في «الثقافة» باسم «الثقافة». وعلى عاتق هؤلاء جميعا، يقع عبء ذلك التخطيط والدراسة من أجل أن نضمن انتشار وذيوع الثقافة العربية، ومن أجل أن نوفر لمفاهيمها وأفكارها ومواقفها مجالا حيويا تتحرك فيه وتنمو وتزكو. فالكاتب حين يكتب، لا يهتم بالطريقة والوسيلة اللتين سيذيع بهما أفكاره وآراءه بين الناس، فهذه مسؤولية هؤلاء الذين يجب أن يشعروا ويتلمسوا ـ حقا ـ قيمة الثقافة في تطوير واقع الأمة، وأهميتها في تجديد عقلها وتحرير فكرها وتنوير رأيها وصقل ضميرها.

ولكي نصل إلى مفهوم محدد وإلى تصور معين لمعنى الدعوة إلى وضع خطة ثقافية تشمل الوطن العربي في بداية الأمر، لابد هنا من طرح مجموعة من الأسئلة التي ربما تمهد لنا الطريق لرسم تلك الخطة، وهي أسئلة أو

تساؤلات ترمي أساسا إلى تعيين الحدود التي يمكن أن تذهب إليها جهودنا من أجل تحقيق تلك الخطة ،

● لماذا لا يتوفر العالم العربي على جائزة ثقافية كبرى تمنح سنويا لأحسن عمل فكري أو علمي، بحيث يخضع منح هذه الجائزة لنفس المقاييس والمعايير والشروط التي تخضع لها جائزة نوبل العالمية ؟

● لماذا لم يتوفر القارىء العربي إلى اليوم على موسوعة ثقافية شاملة، تجمع شتات المعارف والفنون الأدبية والعلوم الإجتماعية والفلسفية والفكرية وتراجم الأدباء والكتاب والشعراء والنقاد والمثقفين والمصلحين ومناهب الأدب والنقد وفنون القصة والشعر والمسرح والمقالة والرواية من أدبنا القديم والحديث على السواء ؟

● لماذا لم تنشأ في الوطن العربي معاهد عالية للدراسات والبحوث الثقافية التي تتابع كل ما يستجد في الثقافة العربية والعالمية، بحيث تضع نتائج بحوثها ودراساتها بين يدي المثقف والقارىء العربي للإستفادة منها بوجه من الوجوه ؟

● ماهو الدور الثقافي الذي تضطلع به المجامع اللغوية العربية، وماهي البرامج الثقافية التي أنجزتها هذه المجامع على الأقل فيما يتعلق بجمع وضبط وتوحيد المصطلحات اللغوية والأدبية والثقافية عموما ؟

إن الإجابة على مثل هذه التساؤلات، لمما يمت بأوثق الصلة إلى الثقافة وإلى ضرورة وضع خطة علمية وعملية بغية انتشارها وذيوعها، ليس فحسب داخل الوطن العربي، بل وحتى خارجه، فالقارىء الأجنبي الذي يريد أن يطلع على ثقافتنا، شأنه شأن القارىء العربي، يفتقر افتقارا شديدا إلى أية معلومات دقيقة وواضحة، تقرب إليه الثقافة العربية وأوضاعها وتياراتها واتجاهاتها وأعلامها ورجالها وفنونها وأشكالها...

ومالم تنطلق خطوتنا الأولى من هذا الموقع بالذات، ومن هذه القاعدة أساسا، فإن الدعوة المكرورة التي تطرق آذاننا يوما بعد يوم إلى رسم (إستراتيجية) للثقافة العربية، لن تكون سوى دعوة تحتاج إلى مزيد من التمثل والإختمار، ولنقتنع نحن بكون هذه الفكرة حلما بعيد المنال، لن تتحسه في الواقع الملموس إلا أجيالنا القادمة، بينما ستظل أجيالنا الحاضرة محرومة من رؤية هذا العمل الثقافي الذي تمليه علينا أكثر من ضرورة.

وإذا كان ليس بالجديد أن يحلم المثقفون، لأن الحلم بالنسبة إليهم جزء من قدرهم، فالجديد حقا هو أن لا تجد أحلامنا وطموحاتنا في تطوير واقعنا الثقافي ترجمة حية لها، تعكس إرادتنا وتصميمنا على جعل الثقافة محورا جوهريا من محاور التنمية والخروج من حيز التخلف إلى حيز التقدم.

ومما يبعث على الدهشة ويثير الأسف معا، أن نجد عالمنا العربي بموارده المادية الغنية وبطاقاته البشرية الكثيفة وبكفاءاته الثقافية والفكرية والعلمية العالية، محروما من أجهزة وهيئات ثقافية رسمية وغير رسمية عاملة في هذا الإتجاه، ومحروما أكثر من الحوافز التي تساعد وتشجع على العمل الجماعي المشترك في سبيل النهوض بالثقافة العربية نهوضا مبنيا على التخطيط والدراسة والبحث والتنظيم والتأطير واستثمار واستغلال الأدوات العلمية إستثمارا واستغلالا رشيدين ومثمرين، وليس على مجرد التمسك بالأحلام الوردية والأوهام الواهية، والتعلق بالآمال الكاذبة التي قد تغني الثقافة لبعض الوقت، ولكن ليس لكل الوقت.

وما من ريب إذا، في أن ثقافتنا اليوم هي أحوج ما تكون إلى وضع خطة متكاملة ومدروسة لذيوعها وانتشارها، سواء كان هذا الذيوع والإنتشار للقارىء العربي التي تتجاذبه ضروب وصنوف شتى من الإهمال والتقصير في حق ثقافته القديمة والجديدة، أو للقارىء الأجنبي الذي لم نتوصل بعد إلى وضعه في الصورة الثقافية العربية. وإنها لحظة ينبغي للقائمين عليها أن يتدرجوا بها من مرحلة الإرتجال والعمل الفردي إلى مرحلة التخطيط والعمل الجماعي المشترك، حتى تخرج بثقافتنا العربية العريقة من إطارها الإقليمي الضيق المحدود إلى إطار عالمي واسع لا محدود.

الرباط ـ أحمد تسوكي

ترجمة حياة فقيد العروبة والإسلام العلامة الأديب
الحاج محمد بن اليمني الناصري

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

ولد رحمه الله بالرباط يوم الخميس 9 رجب 1308 هـ 18 فبراير 1891 م وتوفى بالمدينة المنورة، فجر يوم الجمعة 20 صفر 1391 هـ 17 أبريل 1971 ودفن بروضة البقيع، بعد الصلاة عليه ضحى نفس اليوم بالحرم النبوي الشريف.

تلقى العلم ببلده الرباط أولا، ومنها انتقل للمدينة المنورة عام 1330 هـ فقضى بها سنتين يدرس الحديث على الشيخ، سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وغيره من الشيوخ، أهم شيوخه بالمغرب، هم الشيوخ السادة، أبو شعيب الدكالي، عبد الرحمن بن بناصر بريطل، محمد بن عبد السلام الرندة، أحمد بن قاسم جسوس، المكي البيطاورى، عبد السلام بن مصطفى اكديرة، المهدي بن محمد متجنوش.

قضى ما بين التعليم الرسمي بالمدرسة اليوسفية الثانوية، والتعليم الحر في مدرسة **«النجاح»** بالدار البيضاء، ومدرسة **«الحياة»** بالرباط حوالي 15 عامـــا.

قضى في خطة العدالة وبسلك القضاء بالمحكمة العليا للجنايات، والقضاء بدائرة **عرباوة**، ودائرة **سيدي سليمان**، ودائرة **شراكة**، حوالي 12 سنة.

قضى في الإقامة بالشمال ثم بالقطر المصرى الشقيق، بصورة متصلة حوالي 20 سنة، كان خلالها مديرا لبعثة **«بيت المغرب»** البعثة التاريخية بعثة معهد مولاي الحسن بن المهدي خليفة جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ضريحه، ورئيسا لمركز الوحدة المغربية في الشرق، جاور بمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام وقضى أكثر أوقاته بها ما يقرب من 11 سنة.

له تآليف ومقالات في الأخلاق الإسلامية، والحركة السلفية، وعدة دواوين شعرية وطنية، وهو من الشعــراء المخضرمين كما ترجم له مؤلف كتاب، الأدب العربي في المغرب الأقصى، الأستاذ محمد العباس القباج، ناهيك برجل يمسي ويصبح في طلب المعرفة والنور، جوار حجرات النبي الكريم، ببقعة تشرفت بالنبي محمد «أستاذا» والصحابة البررة «تلامذة» ولا تعد هذه المعجزة سهلة المنال، أو قريبة الوصال.

بالبيضاء والربـــاط

أسس المدارس الحرة في العشرينات أي الطليعة الأولى لوجود التعليم الحر بالمغرب، وأنجب منها خيرة رجال الوطنية، وأصبح مشروع المدرسة الحرة مثالا يحتذى وتضايق المستعمرون من المؤســات الحرة ورجالها

الأبطال، في المقدمة مترجمنا رحمه الله. أنه لم يخلق إلا للدعوة والإرشاد، وإنشاء الأناشيد والتمارين التي تحي الموتى وتزرع الحياة في النشء، وكافة الأوساط. خطيب مصقع، من الصفوة الأولى في الوطنية والسلفية، له المواقف الخالدة، عاش أحداث الحرب التحريرية الريفية، بقيادة البطل المغوار الأستاذ **محمد عبد الكريم الخطابي** فجل من الأشعار والقصائد الفخرية ما يعجز القلم عن تسطيره، كما عاش الحرب العالمية الأولى، ومساهمة الدولة العثمانية الإسلامية فيها وما أصابها من كيد ومكر، حتى ظهر في الميدان **«مصطفى كمال»** ورجال ثورة التحرير. فقال الشعر في عدة مواقع حاسمة، وأشعاره في ميدانها ما أكثرها، وما أبدعها. عاش الأستاذ الناصري عيشا رغدا كفاح وجهاد وأدب جم، ودعابة وعبادة وصلاح.

أجل استحضر عدة مواقف حصلت لي معه، في عنفوان شبابي، حيث عرفته في طليعة رجال العلم والسلفية، ودعاة القومية والوطنية، وأبطال النهضة واليقظة وكان كتابه القيم «ضرب نطاق الحصار» يتصدر معركة السلفية والطرقية التي كان لها وقع عظيم، على الإستعمار وأذنابه.

برز كتابه كسهم قاتل للخرافات ! ودعاتها، ومن هذه المعركة اشتد ساعد الوطنية واسترسل. ولا احسبني استوعب مواقفه وجهاده في هاذين الحقلين اليانعين في الدعوة للنهضة الفكرية، ومبادىء السلفية.

كان في طليعة الكتاب المبرزين في الصحف والمجلات، نعم زهد صفينا في المال والجاه المشبوه، ورمى بالوظيف، وظيف القضاء، واستهان بكل شيء في سبيل العزة والكرامة، ورحل في سنة 1937 للحجاز، وفي مكة المكرمة بالضبط، اجتمعت بالصديق الحميم، وتبادلت الرأي معه، فيما يجب أن نفعله أمام الموقف الخطير ببلادنا، ونحن في اجتماع الأمة المسلمة بموسم الحج المبارك، اتفقت معه على إنتهاز فرصة الإحتفال الذي يقيمه الملك **عبد العزيز آل سعود رحمه الله**، حيث يقيم حفلا رسميا، مساء ليلة يوم منى تؤمه أفواج الحجيج من أنحاء العالم الإسلامي، فأنشأ حبيبي **قصيدة عصماء**، وحررت بدوري **تقريرا مسهبا عن الوقائع** والفظائع، التي ارتكبها المستعمر في أرض المغرب، وقصدنا تبليغ هذه الأحداث الجسام لأفكار النخبة الواعية من الأمة المسلمة، التي تحضر هذا الاحتفال وما راعنا إلا وبطاقة الاستدعاء مرفقة بورقة تقول : **لا يسوغ لأي** شخص أن يتكلم أو يخطب في الحفل الملكي، إلا إذا قدم ما سيقوله في الحفل قبل ثلاثة أيام لرئيس الشؤون الخارجية، وهو ذاك السياسي الخبير والمسلم المكافح البطل الشيخ **«يوسف ياسين»** السوري أصلا، لكن همة حبيبي همة قعساء، تعتمد على الله، وتتقدم لتبحث عن الحل، إنها وسيلة سهلة وهي الاتصال بالأديب وزير المالية على ما اذكر كان يسمى **«بن سليمان»** فاتصل به الأخ الناصري، وعرض عليه قصيدته، وألقى عليه مطلعها، فتتحرك النخوة العربية في الوزير، ويأخذ القصيدة ويذهب إلى صاحب الجلالة، الملك **عبد العزيز آل سعود** يعرضها على جنابه فيفتر لها ثغره، وتنشرح لها نفسه، ويصدر أمره الكريم بإلقائها في الحفل بعد حذف الرقابة ! لكل ما يتعرض فيها **الإستعمار الفرنسي والإسباني** ويأتي دوري وأذهب توا إلى بيت الوزير السوري المسؤول سياسيا الشيخ **«يوسف ياسين»** حيث مهد لي الطريق، طريق الإتصال بجانبه، مطوفي المؤمن الصادق سيد **عبد الرحيم الحريري** رحمه الله، حضرت بيت الوزير صحبة المطوف وعرفت جنابه بالمشكل، وأن القصد هو تبليغ أعمال الوحشية والخساسة الإستعمارية، إلى أسماع الأمة الإسلامية، ولجلالة **الملك المسلم عبد العزيز آل سعود بصفة خاصة**، وما انهيت كلامي حتى طلب مني أن ألقيها عليه حالا، فاعتذرت، وجددت لجنابه القصد من إلقائها في الجمع، ولكنه أبى إلا أن يجدد لي رغبته، ويأمرني أن ألقيها بين يديه، وكأنها في الجمع العام، ولم أجد بدا من مسايرته، وشرعت في الإلقاء، فتساقطت دموعه بسخاء ! ؟ وتصعدت زفراته الفينة بعد الفينة واندهشت من موقف الرجل، ولدى الإنتهاء قام فعانقني، وربت على كتفي وقال : ياولدي لقد ذكرتني الساعة بمواقف الفرنسيين معنا، **في مسجد بني أمية**

بدمشق الشام، هذا نفس العمل الذي سلكته معنا في سورية. **والإستعمار شكله واحد، وعقليته وتفكيره مماثل ؟** وأكد لي أنه سيعرضها بنفسه على **أسماع جلالة الملك آل سعود**.

وعرفني بالأسباب التي منعت إلقاء الكلمات والقصائد في الحفل والتذكار الملكي. موسم الحج الأكبر، ذلك **أن مسلمي العالم والنخبة الواعية منهم يحضرون لمكة ويتشرفون بهذا الإحتفال، فيقرءون** فيه قول الله جلت قدرته : **ليشهدوا منافع لهم ؟** وليتعرف المسلمون قاطبة قاصيهم ودانيهم بحياة كل الشعوب الإسلامية. وبهذه المناسبة يتكلم الزعماء ضد المستعمرين لأوطانهم. **فالجاواي ضد هولاندة، والمصرى والعراقى ضد انكلترا. والسوري والجزائري والتونسي والمغربي ضد فرنسا** وإسبانيا، وهكذا يحمي الوطيس وترتفع الأصوات. وتترك كلماتهم صداها في الأوساط الإسلامية، فتطيش عقول المستعمرين خصوصا، ونوابهم يحضرون الحفل. ويسمعون بأذانهم أصوات الإستنكار لأعمال ذويهم.

وأمام هذا الموقف اجتمعت كلمتهم، ووجهوا لجلالة الملك **رسالة استنكار. واحتجاج، يطالبونه** بوقف هذا السيل الفتاك. الذي لا يليق في نظرهم بحسن المعاملة بين الدول. وحيث أن الدولة السعودية إذ ذاك لا تزال ليست لها مداخيل منظمة. عدا موارد الحج. **والذهب الأسود الرنان كان لا يزال في طي الخفاء،** وجلالة الملك مقتنع بأن السياسة واللباقة تفرضان مراعاة المعاملة الدولية. ولذلك صدرت الأوامر بعدم إلقاء الخطب والقصائد في الحفل. إلا بعد الإطلاع عليها، ولا يسمح لأحد بالتعريض فيها بأية دولة. هكذا قال لي السيد الجليل محللا ومعللا. ثم قال لي. مع كل هذا سأعرض كلمتك على أسماع جلالة الملك. وسيكون لها أثرها ونتائجها بإذن الله. وهنا فارقته معترفا لجنابه بالاكبار والإعجاب. وجاء المساء وحضرنا الحفل البهيج: بالقصر الملكي العامر. **وكان المنظر أخاذا**، وما راعني إلا والأخ **الناصري صاحب الترجمة الحبيب**. يؤذن له داخل الحفل بإلقاء قصيدته العصماء، وهو الخطيب الأديب من الذين أتاهم الله بسطة **في العلم والجسم ؟** شرع في الإلقاء وارتفعت الأصوات من كل الجوانب «اعد اعد» وتعم القاعة التصفيقات والهتافات **بحياة المغرب. وملكه والسعودية وبطلها**. وأقبل أعضاء وفد المغرب الرسمي في تلك السنة وهم على ما أذكر صاحب **السعادة وزير العدل العلامة محمد الرندة** وصاحب السعادة باشا الرباط عبد الرحمن بركاش، وصاحب الفضيلة العلامة الأديب نقيب الاشراف سيدى عبد الرحمن بن زيدان، والعلامة الأديب سيد محمد البارودي، على فقيدنا ومترجمنا كريم الشمائل. يقبلونه ويجلونه لرفعه إسم المغرب في هذا الحفل البهيج.

ويأتي صباح الغد فيحضر معنا الشيخ. **يوسف ياسين**، للصلاة بنادي، **جمعية الأمر بالمعروف** «بجوار البيت الحرام» وعقب الصلاة يتقابل معنا ويمكننا من مكافأة ملكية رمزية، ويقص علينا الخبر الآتي :

(اسمعوا إلى إخواني)، إنكم أيها المغاربة لكم حظوة ورعاية واعتبار عند الملك عبد العزيز. ذلك أنه قبل سنتين حصلت فتنة بالبيت الحرام. حيث هجم **رهط من بعض الجهات** على صاحب الجلالة، وهو في طوافه. فكفاه الله شرما أريد به. وحفظه بمحض فضله. وما بلغ حفظه الله لقصده حتى وردت عليه لتهنئته بالسلامة جماعة من حجاج المغرب يرأسها الأستاذ **الشيخ محمد داود مدير مجلة السلام** يهنئونه بالسلامة. ويحملون له معهم مجموعة من «**مجلة السلام**» فتقبل الهدية والتهنئة بإكبار وإعجاب وممنونية.

وجاء في السنة بعدها الأستاذ الأديب شاعر الحمراء **محمد بن إبراهيم**. ونظم قصيدا بديعا في جلالة الملك ونجاته مما أريد به من طرف بعض المتنطعين من اليمن. ومن حسن الصدف أن ملك اليمن وجه ولده وولي عهده ليقدم اعتذارا عما صدر من أولئك الجفاة. وفي حفل الدولة الذي يقام بمنى جاء الشاعر المغربي بقصيدته وألقاها بين **يدي الملك السعودي** يرفع من شأنه. وينحى باللائمة على المتمردين اليمنيين. وولي العهد اليمني يستمع. ويتحسر على ما ارتكبت الأغبياء فزاد الملك. حبا وهياما

بالمغرب والمغاربة. واليوم **ها أنتم جاء دوركم**، تجددون ذلك الحب، وتلك السجايا. فلكم شكر صاحب الجلالة وشكرنا جميعا. وأن قصدكم وما رجوتم الدعاية لبلادكم داخل الإحتفال ببيت الملك الكريم. قد أتى أكله. ونفذ جلالة الملك من صوتكم فوجه بإسمه وإسم حكومته وشعبه. **احتجاجا شديد اللهجة لدولة فرنسا**، على ما قامت به من عدوان داخل المغرب، ومن إهانات واعتداءات على بيوت الله وعلماء المسلمين، ومقدسات الإسلام.

وهنا أرجع لصديقي. وموقفه العجيب عند طلوعنا لوقوف عرفات. وياحبذا ذلك الموقف. ولا جعله الله آخر عهد به. وجاء العشي وقت التجرد للدعاء والإبتهال إلى الله. والكل داع ومفتقر ومنكسر الخاطر. يلجأ إلى الله بصالح الدعاء. وهذا الحبيب المكافح في حالة نفسية وأزمة وشدة وألم ممض. لما يوجد عليه المغرب العزيز يتوجه إلى الله بالدعاء في موقف عرفات. والمسلمون من حوله يؤمنون على دعائه. وهو رحمه الله كالبحر تتلاطم أمواجه وصوته الجهوري يرتفع إلى السماء اللهم **أن فرنسا أهلكت حرثنا ونسلنا، فأهلك حرثها ونسلها**. وتجيب طوائف المؤمنين **(آمين. آمين)** اللهم إن فرنسا فرقت بيننا وبين أبنائنا وأحبائنا ففرق بينها وبين أبنائها وأحبائها. آمين. اللهم إنها طغت وتجبرت فسلط عليها من يتجبر عليها في عقر دارها. آمين آمين. ورجعنا سوية لبلاد المغرب حيث أقمنا بمدينة تطوان نعمل لصالح الوطن والإسلام. وما وصلت سنة 1940 حتى احتلت بلاد فرنسا من خصومها وانتقم **الله من طغيانها وظلمها، وما ربك بظلام للعبيد، وما هو من الظالمين ببعيد** وإنها المكرمة وكرامة أجلها لهذا المسلم الرباني والعالم السلفي رحمه الله. وفي تطوان كان الإتصال به وثيقا. والمشاركة معه في الأعمال منسقة. حتى هيأه الله لمعهد مولاي الحسن بالمهدي خليفة ملك المغرب إذ ذاك. تكوين بعثة حسنية من نيف وأربعين طالبا لمتابعة الدراسة العالية بأرض مصر الشقيقة. حيث استقرت ببيت سمي **«بيت المغرب»** رفع الرأس عاليا، وعين الصديق الحبيب رئيسا له. ومشرفا عليه. واليد المدبرة لأمره. وشؤون طلبته. ورجل في أمان الله. لأرض الكنانة. ولخدمة الثقافة وتكوين الجيل الصاعد. أطرا لمغربنا العزيز. فكان أثناء مقامه بمصر **كهف العلم والنهضة**، ذاصيت مرتفع. في كل الميادين **وبيوتات الأدب والشعر** تكبره وتقدره. **وبيوتات العلم والدين والكرم** تحترمه، **وبيوتات الطهر والعفة وخوف الله تكرمه وتمجده**، دام في عمله يرعى هذا البيت وسار فيه سيرا محكما. بروية وليونة وحيويته. حتى اشتهر **الأستاذ الناصري بالوسط** المصري في كل المستويات علم **وأدب وحكمة وفكاهة ووطنية وسلفية صوفية**.

مثل مغربنا أحسن تمثيل. فأقام الدليل على مكانة بلادنا العزيزة. في كل الميادين بعدما كان الشعب المصري لا يعرف عن المغرب إلا النزر اليسير. لعدم وجود الصحافة والمجلات ووسائل الإعلام. بالمغرب. إذ هي التي تعرف الشعوب والأقطار بعضها ببعض.وقام صديقنا الناصري بمصر طيلة مقامه بها معرفا بعظمة المغرب. ومكانة ملوكه قديما وحديثا. حاضر وناظر وساجل ونظم وعرف من كان يجهلنا أو يتجاهلنا بأننا في طليعة البلاد العربية. **نهضة وعلما وحيوية وغيرة ووطنية ملكا وشعبا**. حتى انهى مهمته على أكمل الوجوه. حينئذ توجه للملاذ الأسمى للإعتكاف جوار أرض الرسول وصحبه. واختار المقام في الحضرة النبوية مجاورا قبر الرسول محمد الشفيع عليه السلام.

وفي السنة المنصرمة كنت ممن أسعده الله بالوصول إلى البقعة الطاهرة حيث نزلت منزله منزلة كرام واحترام. فشاهدت في هذا البيت. ملتقى لشيوخ الإسلام ورجالات الفكر الاعلام. وملتقى ركبان الحجيج. يتبادلون فيه الرأي عن أحوال المسلمين ويتوجه فيه إلى الله العلي القدير في كل اللحظات. أن يصلح أحوال المسلمين وأن يأخذ بيد ملوكهم ورؤسائهم. للعمل على حفظ وحدة الصف. والقيام بواجب الدفاع المقدس عن بيت المقدس. وأرض المسلمين. وتحرير شعوبهم. ورجوع عزتهم وحرمتهم. فلا تخلو طائفة إلا وتخلفها أخرى. وكأن بيته يعد بحق **سفارة المغرب** المسلم.

فارقته وهو يتمتع بعافيته. ثم زرت مدينة طنجة في السنة المنصرمة فإذا بي اجتمع بالأخ الحبيب آخر اجتماع به في الدنيا. في بيت العلم والشرف وعلى مائدة رئيس رابطة علماء المغرب الصديق العزيز **صاحب الفضيلة العلامة** سيد الحاج **عبد الله گنون** حيث مضت سويعات معه في هذا الجمع الحافل بالأمجاد في جو تسوده الطمأنينة والوقار والأدب الجم. في دراسة أحوالنا ومجتمعنا وناهيك بمجلس يضم خيرة رجالات العلم والدين من أهل الفكر والغيرة والنخوة. ثم جاءت الخاتمة جعلها الله خاتمة خير. جاء نعيا من مدينة الرسول. وأن الله العظيم إختاره لجواره. وأنزله في دنيا الاتقياء في **مدفن البقيع الشريف جوار الصحب والآل. ولسان حاله**. يقول :

أن يوما جمع الشمل بكم : لرخيص بنفيس العمر.

فبكته عيون الأوفياء لله والرسول. وختاما في وديعة الله. وجوار نبيه وصحبه. وفي البقيع منزل الرحمات ومدفن الصحابة والتابعين وأزواج النبي الطاهرات. وبنيه من المومنين والمومنات. فرحماك الله لفقيدنا. والى اللقاء في عرسات القيامة. وفي ظل ورعاية الرسول الكريم صلوات الله عليه وعلى آله.

سـلا ــ الحاج أحمد معنينـو

كتاب جديد للدكتور محمد البهبيتي :

نجيب محمد البهبيتي

المعلقات سيرة وتاريخا



صدر عن (دار الثقافة) كتاب جديد للدكتور محمد البهبيتي بعنوان (المعلقات : سيرة وتاريخا). ويقع في 295 صفحة من القطع الكبير.

ملامح من حياة الفقيه المؤرخ السيد

محمد بن أحمد العبدي الكانوني

(1311 - 1357 هـ) – (1893 - 1938م)

(8)

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

بعد التمهيد الذي تقدم ذكره انتقل المؤلف إلى الموضوع الأساسي من الكتاب فبدأه بالحديث عن تاريخ تأسيس مدينة آسفي واستعمل طريقة عملية جذابة لم يقتصر فيها على المعلومات الخاصة ولم يكتف فيها بالمصادر العربية وحدها واستعان بعدد من أصدقائه الذين كان لهم اهتمام بالبحث العلمي وبالتحقيق التاريخي.

ولنأخذ على سبيل المثال بعض هذه المعلومات مع ذكر الذين استعان بمعرفتهم واستفاد من اختصاصهم.

ففي القسم الجغرافي استعان بصاحبه السيد محمد بن الطيب الكاهية في تحديد موقع آسفي وفي ضبط درجاتها لهذا قال (1) : «آسفي واقع غربي المغرب الأقصى على شاطيء المحيط الأطلانطيقي حيث الطول خمس درج وعشرون دقيقة والعرض إثنان وثلاثون درجة وتسع عشرة دقيقة على ما حققه الآن صاحبنا الميقاتي النبيل الفقيه أبو عبد الله محمد بن الطيب ابن الكاهية الآسفي».

وأما في ضبط اسم المدينة فقد ذكر أنها بفتح الهمزة ممدودة وغير ممدودة وبفتح السين مع كسر الفاء وأن قول الفيروزبادي عنها بأنها بفتحتين لايفهم منه إلا المتبادر حسب ما ذكره صديقه العلامة السيد المدني بن الحسني الذي قال انه المتبادر ابتداء وأن الحقيقة تعرف بتبادرها.

ولذلك لم يبق أي معنى لفهم الشيخ مرتضى الذي ظن أن الفتح يتعلق بالسين والفاء.

وأما في تاريخ تأسيسها فقد تعرض لرأيين مختلفين :

الرأي الأول يذكر أنها من بناء البربر واعتمد في ذلك على ما في كتاب الوزان الفاسي وعلى ما في كتاب الزياني.

أما الرأي الثاني فيذكر أنها من بناء الفينيقيين ولقد حلل هذا الرأي بإسهاب واعتمد في تحليله على ما توصل إليه من صديقة السيد محمد بن علي الدكالي السلاوي ومن صاحبه السيد المهدي الحجوي، وكل منهما كانت له خبرة بالتاريخ المغربي وبالمصادر الأجنبية المتعلقة بهذا التاريخ.

أما الأول فقد أخبره أن المؤرخ الفرنسي تسيو قد ذكر آسفي في تاريخه الذي ترجم فيه الدرج اليوناني المشتمل على أسماء المدن التي أسسها حنون القرطاجني على شواطيء البحر الأبيض المتوسط والمحيط من تونس إلى ماسة وقال إن آسفي من مؤسسات حنون الذي ورد على المغرب بأسطوله الستيني قبل المسيح بنحو خمس عشرة مائة سنة (2).

أما الثاني فقد كتب بحثا قيما في هذا الموضوع وأرسله إلى السيد الكانوني وهذا ما نستدل به على

الاهتمام الذي كان يوليه لموضوعه وعلى ارتباطه برجال العلم في تحقيق ما يريد.

قال المؤلف في هذا الباب ص 76 : «وقد كتب إلي الأديب البحاثة النابغة أبو عبد الله محمد المهدي بن العلامة وزير المعارف السيد محمد الحجوي حفظهما الله بحثا مدققا يقول فيه : مدينة آسفي من أقدم مدن المغرب، وقد اختلف في عهد تأسيسها فمن قائل انها حلقة من سلسلة المستعمرات الفينيقية التي كانت على شاطىء المحيط ومن قائل انها مدينة بربرية الأصل ولم يدخلها استعمار الفينيقيين ولا الرومانيين ومنهم من ظن أنها كانت تحت السلطة الرومانية وكانت قبلها موجودة، وعندي أنها قديمة من عهد الاستعمار الفينيقي ويغلب على الظن أنها من مؤسسات البحارة القرطاجني الفينيقي حنون إن لم تكن قد سبقت هذا العهد وأسسها الفينيقيون قبل تأسيس قرطاجنة. وحنون هذا قد سيرته مملكة قرطاجنة بعد استفحال أمرها إلى الشواطىء الغربية من إفريقيا على طريق البحر للاستطلاع وتأسيس المستعمرات فأسس مستعمرات على شاطىء افريقيا الغربي.

ومن الجائز أن آسفي سبقت هذا العهد لأن الفينيقيين قد ظهروا في شواطىء المحيط المغربية منذ نحو القرن الثاني عشر قبل الميلاد وأسسوا مستعمرات عديدة ولم تعرف إلا بآثارها الباقية والمذكورة عند الفاتحين بعدهم لأنهم كانوا يكتمون أمر فتوحاتهم خوف المزاحمة وما كان عندهم مؤلفا محفوظا بعاصمتهم الأخيرة قرطاجنة بدده الرومان عند دخولهم إليها وما بقي إلا تقرير رحلة حنون كان منقوشا على هيكل بالعاصمة المذكورة ورآه أحد الرحالين اليونانيين عند مروره بها قبل خرابها ونقله إلى لغته.

وقد ذكر (بلين) المؤرخ الروماني أن هذه الرحلة كانت أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ـ قال فيها حنون : وبعد ما اجتزنا أعمدة هركيل (البوغاز) وذهبنا في البحر مدة يومين أسسنا مدينة سميناها (ثيماطريا) تشرف على سهل متسع ثم بلغنا إلى رأس صوليس فوجدناه مكسوا بالأشجار وبنينا فيه معبدا للاله (بوزيدون) إلى البحر ومن هناك سرنا نحو نصف يوم مائـ لين إلى جهة المشرق وبلغنا إلى بحيرة مكسوة بقصب كثيف ترعى حوله فيلة كثيرة وحيوانات أخرى وبعد مسيرة يوم من هذه البحيرة أسسنا مدينة كركون طيكوس.

أما رأس صوليس فقد كان المؤرخون الأثريون يتفقون على أنه رأس كنتان شمال آسفي.

وقال بعض كبار المؤرخين قد ضاع أكثر المستعمرات الخمس التي أسسها حنون بين رأس كنتان ووادي درعة، الأولى على مسيرة يوم ونصف من رأس كنتان بسير حنون.

ويغلب على الظن أن إحدى هذه المستعمرات كانت في موضع آسفي.. واستمر الحجوي في رسالته هاته مصفحا عن بعض الحقائق التاريخية المتصلة بهاته المدينة ثم قال بعد ذلك : وقد انفصل فرنسوا برجي في مجلة الشمال والجنوب على أن هذه المدينة فينيقية سبقت قرطاجنة

ورحلة حنون بل إن حنونا تزود منها لما بلغها في رحلته وسماها الفينيقيون بهذا الاسم الذي هو أعظم معبد ببلدهم تبركا به.

وبهذه الفقرة انتهت الرسالة التي استجاب بها الحجوي لصديقه الكانوني وهي كما نرى تحتوي على معلومات مختلفة حاول فيها الكاتب أن يكون دقيقا في بحثه وإحالاته واستنتاجاته وتتبع فيها ما كتبه المؤرخ الروماني بلين وما توصل إليه البحث عند بعض المؤرخين الفرنسيين وهذا نرى أن كتاب آسفي وما إليه قد استمد محتوياته من الكانوني ومن الذين استفرهم فأعانوه بما لديهم. ونسب لكل شخص رأيه واجتهاده وأبقى للتاريخ الحكم النهائي وبذلك أدخلنا كتاب آسفي ضمن الكتب القيمة التي سار فيها من ألفوها على منهج واضح سليم.

ومن الجزئيات التي تعرض إليها الكانوني في كتابه محاولة ربط اسم المدينة بأصل عربي أو بأصل بربري في اشتقاقها اللغوي.

أما أصلها البربري فيمكن أن يكون مرجعه إلى كلمة أسفو بضم الغاء والمراد به الضوء ويكون السبب في ذلك مرتبطا بكونها كانت مرفأ يشتمل على منارة تضيء وتهدي الراكبين في البحر وتحدد لهم طريق الدخول.

أما أصلها العربي فإنه يرتبط بقصة تاريخية ذكرها الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق فقد قال إن جماعة من الشبان المغرورين خرجوا من لشبونة عاصمة البرتغال وتوجهوا في البحر إلى أن وصلوا جزيرة الغنم - ويقول الكانوني إنها إحدى جزر الأنتيل على ضفاف القارة الأمريكية - وفي هذه الجزيرة أقاموا قليلا ثم توجهوا إلى الجنوب إلى أن وصلوا إلى جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث وفوجئوا بمراكب أحيطت بهم والقي القبض عليهم وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ساحل البحر فأنزلوا بها في دار فرأوا رجالا شقرا زعرا وهم طوال القدود ولنسائهم جمال عجيب وقدموا إلى ملك هاته الجزيرة فسألهم بواسطة ترجمانه الذي يحسن اللغة العربية عن سبب وصولهم إلى هذه الجزيرة فذكروا أنهم مغامرون فقط ويريدون التطلع على أحوال البحر وعلى خفاياه فوعدهم خيرا ثم أرسلهم حينما كانت الريح مساعدة فما هي إلا أيام حتى وجدوا أنفسهم أمام مدينة في الشاطيء المغربي فلما استفسره رئيسهم عن هاته المدينة وعلم أنه بعيد عن موطنه الذي خرج منه قال واأسفي فسميت تلك المدينة حينئذ بهذا الإسم.

والغالب أنه يبدو اثر التصنع على هذا السبب ومع ذلك فإن الكانوني لم يرد أن تفوته الفرصة لاستغلال هذه القصة في استطراد يتعلق بالفتية المغرورين وبالمغامرة البحرية التي قاموا بها وذكر أن التاريخ المغربي يذكر محاولات متعددة قام بها رجال كانوا يعتقدون أن البحر المحيط له غاية تدرك وأن هذه المحاولات قد أدت إلى اكتشاف أمريكا وإلى الإقامة بها ولهذا وجد الاسبانيون حين الوصول إليها آثارا للعرب.

وتحدث في هذه المناسبة عن أحد ملوك السودان الذين حاولوا تحقيق هذه الفكرة نقلا عن ابن فضل الله العمري في مسالكه حين قال ان والي مصر بن أمير حاجب ذكر أن منسا بن موسى سلطان التكرور من السودان المغربي لما حج سنة 724 هـ سأله والي مصر عن انتقال الملك إليه فقال إن الذي كان قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مئتين من سفنه وشحنها بالرجال والازواد التي تكفيهم سنين وأمر فيها أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفد أزوادهم فغابوا مدة طويلة ثم عادت منهم سفينة واحدة وحضر مقدمها فسأله عن أمرهم فقال سارت السفن زمانا طويلا حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت سفينتي فلم يصدقه فجهزوا ألفي سفينة ألفا للرجال وألفا للأزواد واستخلفني وسار بنفسه فكان آخرالعهد به ومن معه...

ويرجع السيد الكانوني أن القبيلة التي اكتشفت في العصر الحاضر بإحدى مقاطعات المكسيك والتي لاحظ مكتشفوها أنها تتكلم العربية وأنها تحافظ على تقاليدها ولا تختلط بمن حولها من الأقوام أنها تتكون من هاته المجموعة الهائلة من السودانيين التكروريين الذين لم يعودوا إلى وطنهم فلعلهم قد نجوا أو نجا بعضهم فاستقروا هناك.

وعلى كل حال فإننا ونحن نقرأ كتاب آسفي نحس بتدخل ذاتي من حين لآخر من قبل المؤلف يعتمد فيه أحيانا على حقائق وأحيانا على تخمينات وتصورات قد لاتكون بعيدة عن القبول.

ومن هنا انتقل المؤلف إلى الحديث عن تاريخ مدينة آسفي في عهدها الإسلامي فذكر أن عقبة بن نافع قد وصل إليها في السنة الثانية والستين من الهجرة كما ذكر أن هذه المدينة قد استقبلت رجال رجراجة الذين استماتوا من أجل الدعوة الإسلامية وعملوا على تبليغها وتحقيق أهدافها.

ومن المعلوم أن هذه الناحية بقيت مراكزاً يستقبل المسلمين ويعتز بهم فقد وصلها موسى بن نصير وشملتها الدعوة الإدريسية حينما كان لها النفوذ داخل الأقاليم المغربية.

واستطرد الحديث عن نقطة هامة تتعلق بالروابط الموجودة بين البربر والعرب فقال إن ما كان يقع أحيانا في المغرب من خلاف لم يكن مرجعه إلى مقاومة الإسلام أو محاربته وإنما كان مرجعه إلى الثورة ضد بعض المستبدين من الولاة الذين لم يلتزموا بتطبيق قواعد الدين أما ما وقع في المغرب من انتكاسات بعض الطوائف الضالة فقد حوربت بجد وعزم ومن ذلك الدعوة إلى الجهاد ضد البرغواطيين الذين تمردوا بناحية الشاوية وما جاورها ولقد تضررت من فتنتهم مدينة أسفي التي أنقذها بنو مغراوة أولا ثم المرابطون ثم الموحدون.

إن الموحدين هم الذين سوروا هذه المدينة وحصنوها وما زالت آثار هذا السور ماثلة للعيان ولقد عاشت آسفي في أيامهم عيشة رفاهية وازدهار واستمرت على ذلك حتى أواخر عهد المرينيين الذين ضعفوا فاستبد بدولتهم وزراؤهم الوطاسيون وأصبح المغرب حينئذ فاقدا لهيبته الشيء الذي جعله عرضة للطامعين وجعل بعض مدونه لقمة سائغة في أيدي البرتغاليين.

حقيقة إن البرتغاليين استغلوا هلهلة الوضع الداخلي في البلاد فاستبدوا بالحكم في بعض شواطئه وتسلطوا على عدد من مدنه وسيطروا على بعض مراكزه الكبرى وكانت آسفي إحدى المدن الواقعة في قبضتهم ولم تتحرر إلا على يد السلطان محمد الشيخ السعدي سنة 948 هجرية.

هذا وقد قامت حركات تحريرية في هاته النواحي وعملت على إذكاء روح المقاومة وكادت تستقل بالحكم لولا أن العلويين استطاعوا أن ينقذوا الموقف وأن يحكموا البلاد يقطعوا دابر أولئك المتطاولين من المستعمرين الذين ظنوا أن الفرصة كانت سانحة لهم ولكن هيهات هيهات..

ورغم ذكر هاته النبذة التاريخية في كتاب آسفي فإن المؤلف لم يقتصر عليها بل أضاف إلى ذلك صورا حضارية تتصل بذكر المساجد والزوايا والرباطات والبيوتات وكانت تعقيباته حول هذه المراكز الحضارية ذات قيمة كبرى أثار فيها نقطا لها أهميتها في الفكر الإسلامي ومن هاته النقط ما يأتي:

أولا: الإشارة إلى تحديد القبلة وإلى رأي أهل التعديل فيها ولقد ذكر أن الجهة الضيقة أولى بالقبول ولهذا كان يستحسن التنبيه إلى تحريف بعض المحاريب كما هو الحال في بعض مساجد فاس.

ثانيا: نقده لتأسيس بعض الزوايا أو بعض المساجد الصغيرة إذا كانت ستضيق على الجامع الأعظم لما في ذلك من تبديد قوى المسلمين وإبعاد روح التعاون عنهم ولم يبح ذلك إلا إذا كان وجود هذه المساجد والزوايا غير ضار بوحدة المسلمين أما إذا ثبت الضرر فإن الواجب يقضي بهدم المسجد المحدث أو هدم الزاوية المحدثة اقتداء بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. حينما أمر بهدم مسجد الضرار وفي هذه النقطة قال ص 96: «وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم. بهدم مسجد الضرار فقال جلا وعلا: (3) «**الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المومنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون، لاتقم فيه أبدا.**

ثم قال المؤلف:

فالصلاة رابطة إسلامية تجمع المسلم بأخيه كل يوم خمس مرات فهي بعد كونها من أركان الإسلام وسيلة التآلف والتعارف بين الناس وإذا كان لا مندوحة من إحداث الزاوية بقرب المسجد فلا تقام فيها الصلوات الخمس ويقتصر فيها على ما بنيت له وهو العبادة والتربية إن كان من يربي ويرشد وإلا فتعامل بما عومل به مسجد الضرار. وقد رأينا كثيرا من الزوايا زاحمت المساجد بالمناكب وفعلت في تشتيت هذه العصابة الإسلامية مالم يفعله العدو بعدوه وكانوا كمن بنى قصرا وهدم مصرا حيث يقولون ما أردنا إلا الخير وهم ضيعوا خيرات وجنوا سيئات بتفريق جماعة المسلمين وعدم تكثير سواد المصلين في المساجد».

إن رأي السيد الكانوني في هذا الموضوع كان منبعثا من الغيرة الدينة السلفية ولكن هاته الغيرة جعلته يغالي في الحكم ويوازن بين مسجد الضرار الذي اتضح من أول يوم مقصد بنائه وبين بعض الزوايا والمساجد الصغيرة

التي قد يكون الدافع إليها خيرا ولهذا كان من الممكن القول برأيه إذا كان هناك إلزام بالصلاة فيها مع عدم السماح بالذهاب إلى غيرها أما إذا كان المتصل بالمسجد أو الزاوية حرا ولا يطلب منه الاقتصار عليها فإن الحرمة حينئذ تكون غير مبررة شرعا.

ولعل هاته الملاحظة قد انتبه إليها المسلمون من قبل الكانوني فقرروا الحل الوسط الذي لا يضر بمصلحة الجماعة الأفراد وهو عدم السماح بإقامة الجمعة بالزوايا والمساجد الصغيرة جدا إذا كان في البلد مسجد أعظم أو مساجد كبرى ليشير لأهل البلد أن تحسوا بالوحدة الإسلامية التي هي أسمى من الوحدة الطائفية المضرة.

وبعد استطراده لهاته الفكرة أشار إلى العمل الجدي الذي تولاه الشيخ أبو محمد صالح الماجري وأبناؤه في الدعوة إلى الحج وإقامة المراكز الآمنة في طريقه وتنظيم الركب الحجازي بالمغرب الذي كان يترأسه أصحاب هاته الدعوة ويتولى الإشراف عليه قاض وقائد تحت مؤازرة الدولة.

ومما يثير الانتباه في هذا الموضوع ما كتبه المؤلف عن بيوتات آسفي وعما يندرج تحت ذلك من أعلام لهم قيمتهم في تاريخ المغرب عبر العصور فليس التلخيص في هذا الموضوع بمغن عن الكتاب ذاته لما في ذكر هاته البيوتات من الفائدة الكبرى في مختلف المجالات سواء كانت علمية أو أدبية أو سياسية ويكفينا دليلا على ذلك ذكره لبعض أعضاء البعثات العلمية التي وجهت إلى أوربا في عهد المولى عبد الرحمن والمولى الحسن الأول ولهذا سنراه يختم كتابه بالحديث عن الحركة العلمية والعمرانية في هاته البلاد وسنخصص المقال المقبل إن شاء لذلك لتكتمل لنا الصورة التي تطبع هذا الكتاب فإلى ذلك الحين وعلى الله الاتكال.

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

الأستاذ عبد الهادي بوطالب
عضواً بأكاديمية المملكة المغربية

●● صدر الأمر المولوي السامي بتعيين الأستاذ عبد الهادي بوطالب، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، عضوا بأكاديمية المملكة المغربية ●●

عودة إلى خطبة طارق بن زياد

للأستاذ عبد العزيز الساوري

نشر الدكتور عبد السلام الهراس في العددين الخامس والثامن ـ السنة الحادية عشرة ـ أبريل ـ يوليوز 1968 من مجلة دعوة الحق الغراء مقالا نفيسا تحت عنوان **(خطبة طارق بن زياد من جديد)**، تعرض فيه للشك الذي ساور بعض الباحثين في نسبة هذه الخطبة لصاحبها، وعقب على ذلك بما ينقض أقوال الشاكين، ويعيد اليقين بصحة النسبة المذكورة.

وقد أحسن بذكر جملة من المصادر التي أوردت هذه الخطبة، إذ كان الرأي الشائع أن المقري (ت 1041 هـ) وحده هو الذي أثبتها في كتابه (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) (1)، ومن ثم كان الشك فيها يراود الباحثين، فأتى الدكتور عبد السلام الهراس بخمسة مصادر أخرى أثبتت نص الخطبة وهي مرتبة تاريخيا كالآتي :

1 ـ استفتاح الأندلس لعبد الملك بن حبيب الالبيري (ت 238 هـ) (2)، وفي روايته بعض من أصول الخطبة الحالية.

2 ـ الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) (3)، وفي روايته بعض الاختلاف عن الأصلية.

3 ـ ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب لأبي محمد بن إبراهيم «ابن خيرة» المواعيني الاشبيلي (ت 564 هـ) (4)، حيث اورد الخبر مذيلا بالخطبة.

4 ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت 681 هـ) (5)، وعنها نقل اللاحقون بعده إذ تعد أكمل ما وصلنا من نصوصها.

5 ـ تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل (ت 763 هـ) (6)، والخطبة التي أوردها تجمع بين النصين الواردين في كل من الوفيات والنفح من جهة والامامة والسياسة من جهة أخرى، فهو يعتبر نصا ثالثا مختلفا عن تلك النصوص باعتباره تركيبا جديدا.

---

1) ج 1 ص 240 ـ 241 تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت 1968.

2) نشر قطعة منه في ضميمة في بحث د. محمود علي مكي المنشور في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد تحت عنوان :
مصر والمصادر الأولى للتاريخ الأندلسي
م 5 سنة 1957 العدد 1 ـ 2 ص 222.

3) ج 2 ص 75 الطبعة الثانية (ط. الحلبي) سنة 1377 ـ 1957 مصر.

4) مخطوط بالخزانة الملكية (الرباط) وتوجد منه نسختان رقم الأولى 1406 ورقة 137 والثانية 2647 ص 381.

5) ج 5 ص 321 ـ 322 تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت 1977.

6) مخطوط بالخزانة الملكية (الرباط) رقم 733.

وقد علق الأستاذ عبد الله كنون على مقال الدكتور عبد السلام الهراس بمقال صغير يحمل عنوان : (حول خطبة طارق) (7)، أضاف فيه مصدرا جديدا إلى هذه المصادر وهو (سراج الملوك) لأبي بكر الطرطوشي المالكي (ت 520 هـ) (8)، الذي صدر الخطبة بخبر مناسبتها. وهذا النص شبيه بنص ابن حبيب السابق.

وأنا أضيف إلى هذه المصادر جميعا مصدرا آخر لا يقل عن مصدر ابن خلكان تثبتا وتحريا وثقة، وهو كتاب (صلة السمط وسمة المرط في شرح سمط الهدى في الفخر المحمدي) للمؤرخ التونسي محمد بن علي بن محمد بن الشباط المصري التوزري الذي عاش في القرن السابع الهجري وتوفي بمدينة توزر سنة 681 هـ (1282م).

فقد ذكر هذا العالم الحجة خطبة طارق مسلما لها غير شاعر بأدنى شك في صحة نسبتها إليه. وأوردها في النص الذي عقده لذكر فتح الأندلس من كتابه المذكور الذي خصه لوصف الأندلس وصقلية.

إلا أنه يجب أن أشير مسبقا إلى أن هناك اختلافا يسيرا ما بين نص هذا العالم والنص الذي أورده ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) وهو اختلاف بسيط لا يخرج عن دائرة اللغة.

وهذ هو النص ليضم إلى باقي النصوص التي تضمنها المقال المنوه به.

«... ولما بلغ طارقا دنوه منهم، قام في أصحابه خطيبا (9) ، فحمدا لله عز وجل وأثنى عليه، ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم في الشهادة وبسط من آمالهم ثم قال : **أيها الناس إلى أين المفر ؟ البحر من ورائكم، والعدو من (10) أمامكم، وليس ثم والله إلا الصدق والصبر فإنهما لايغلبان وهما جندان منصوران لاتضر معهما قلة، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة. أيها الناس مافعلت من شيء فافعلوا مثله، إن حملت فاحملوا، وإن وقفت فقفوا، وكونوا كهيئة رجل واحد في القتال، ألا وأني عامد إلى طاغيتهم (11) لا أتهيبه حتى أخالطه أو أقتل دونه، فإن قتلت، فلا تهنوا ولا تنازعوا (12)، فتفشلوا (13) وتذهب ريحكم، وتولوا الدبر عدوكم (14) فتبددوا بين قتيل وأسير، وإياكم أن ترضوا بالدنية، ولا تعطوا بأيديكم، وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والرحمة (15) من الذلة والمهنة، وما قد أجل لكم من ثواب الشهادة، فإنكم إن تفعلوا والله (16) معيذكم، تبوءون بالخسران المبين، وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين؛ وها أنا ذا حامل حتى أغشاه، فاحملوا لحملتي (17)، ثم حمل (18) وحملوا، فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديدا، فقتل (19) الطاغية وانهزم قومه (20)...» (21).**

وجدة ـ عبد العزيز الساوري

---

7) دعوة الحق س 11، ع 6 ـ 7، ماي 1968.
8) ص 154 المطبعة الأزهرية المصرية 1319 هـ.
9) خطيبا : ساقطة في كتاب الإمامة.
10) من : ساقطة في ابن قتيبة.
11) بحيث لا أتهيبه.
12) ولا تحزنوا.
13) فتقتتلوا.
14) لعدوكم.
15) والراحة.
16) والله معكم ومعينكم.
17) بحملتي.
18) فحمل.
19) ثم إن الطاغية قتل.
20) وانهزم جميع العدو.
21) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط نصان جديدان ص 154 ـ 155 تحقيق د أحمد مختار العبادي. معهد الدراسات الإسلامية بمدريد 1971.



869/858

للأستاذ عبد القادر زمامة

858 ـ من طرائف ابن بطوطة ...!

وجدت في رحلة ابن بطوطة ج 2 ص 166. ط القاهرة سنة 1958م.

= ... فاستأذنوا له علي. وقالوا : مولانا قوام الدين السبتي...! فعجبت من اسمه...! ودخل إلي. فلما حصلت المؤانسة بعد التحية. سنح لي أن أعرفه. فأطلت النظر إليه..! فقال : أراك تنظر إلي نظر من يعرفني ... فقلت له : وأنا من طنجة...! فجدد السلام علي. وبكى حتى بكيت لبكائه...! فقلت له : هل دخلت بلاد الهند...؟ فقال لي : نعم...! ودخلت دهلي...! فلما قال له ذلك تذكرته. وقلت : آلنت البشري...؟ قال : نعم. وكان وصل إلى دهلي مع خاله أبي القاسم المرسي... وهو يومئذ شاب لانبات بعارضيه. من حذاق الطلبة. يحفظ الموطأ . وكنت أعلمت سلطان الهند بأمره. فأعطاه ثلاثة آلاف دينار. وطلب منه الإقامة عنده فأبى...! وكان قصده في بلاد الصين.. فعظم شأنه بها. واكتسب الأموال الطائلة...! أخبرني أن له نحو الخمسين غلاما...! ومثلهم من الجواري...! وأهدى إلي منهم غلامين وجاريتين. وتحفا كثيرة. ولقيت أخاه بعد ذلك ببلاد السودان... ! فيا بعد ما بينهما...!!! =

859 ـ بقلم القدرة ....!!!

وجدت في كتاب = فتح المتعال في مدح النعال = لأبي العباس المقري. ص 328. ط. الهند سنة 1334 هـ .

= قد رأيت أنا بفاس عام سنة ست وعشرين وألف حجرا أسود قدره الكف مكتوبا فيه بقلم القدرة : لاإله إلا الله . في ناحية. ومحمد رسول الله. في الناحية الأخرى. ولون الكتابة أسود...! وقد ثقب بعض الناس للاختبار حرفا منه بآلة حديد حتى نفذت من الناحية الأخرى...! وقد كان ذلك زيادة في تصحيح أنه بقلم القدرة...!

وقد أعطيت مالكته وهي امرأة من فاس وزنه مرتين ذهبا لتبيعة مني بذلك فامتنعت...! فرغبتها بكل وجه ممكن فلم تقبل...! وبقي عندي أياما ورددته لها. وهو مشهور بفاس يأخذه النساء الحوامل لتسهيل الولادة...!

وذكرت صاحبته أنها وجدته بساحل البحر المحيط بهذه الأزمان القريبة. فسبحان من أظهر أمره صلى الله عليه وآله وسلم كل إظهار...=

860 ـ كراسة ابن عباد...!

وجدت في كتاب = نفح الطيب = ج 5 ص 350 ط بيروت 1968م.

= وللشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدي الناس. ويقرؤون منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف بين يدي السلطان تبركا بها. وكذا يقرؤونها في المجتمعات في المواسم. كأول رجب وشعبان ونصفهما والسابع والعشرين منهما. كرمضان...!

وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ في المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام. بين يدي مولانا السلطان المرحوم أحمد المنصور بالله... =

861 ـ تفسير فخر الدين الرازي...!

وجدت في مخطوطة كتاب = الإنشادات والإفادات = لأبي إسحاق الشاطبي :

= حدثني الأستاذ أبو علي الزواوي عن شيخه الأستاذ الشهير أبي عبد الله المسفر أنه قال :

إن تفسير فخر الدين ابن الخطيب احتوى على أربعة كتب مؤلفوها كلهم معتزلة...! فأصول الدين نقلها من كتاب (الدلائل) لأبي الحسين البصري وأصول الفقه نقلها من كتاب (العمرة) لأبي الحسين أيضا. وهو أحد نظار المعتزلة وهو الذي كان يقول فيه بعض الشيوخ ، إذا خالف أبو الحسين البصري في مسألة صعب الرد عليه فيها... قال ، ومن التفسير من كتاب القاضي عبد الجبار.. والعربية والبيان من = الكشاف = للزمخشري... =

862 ـ حكم ...!

وجدت في كتاب = محاضرة الأبرار = لابن عربي الحاتمي ج 1 ص 308.

= اتفق في بلدنا بإشبيلية ان كان عندنا رجل من سفلة الناس يقال له ، جمعة... يبيع الخبز وكان يتحاكم إلى أطراف الناس... اختصم إلي مرة في إشبيلية رجل طباخ يطلب حق إدامه من رجل آخر.. فقال جمعة للطباخ ، فكيف ترتب لي ما تدعيه على هذا الرجل ..؟ فقال ، إني رجل طباخ... أبيع في الدكان ما أطبخه فجاء هذا الرجل وبيده قرصة من خبز فجعل يأخذ اللقمة ويعرضها على بخار القدر الصاعد.. ويأكل حتى فرغت ...! فطلبت منه حق بخار القدر... فقال جمعة للرجل الآخر... وجب عليك الثمن...!!! يا هذا..أعندك قطعة فضة...؟ قال ، نعم.. ثم أخرج المدعى عليه قطعة فضة. فقال جمعة للطباخ ، أصغ بأذنك. ورمى القطعة على الحجر فيسمع لها طنين. فقال ، ياطباخ. خذ هذا الطنين في حق بخارك...! ورد القطعة الفضة لخصمك..! فقال الطباخ ، مانقصه شيئا..! فقال جمعة ، ولا هو أخذ من قدرك شيئا...!! =

863 ـ شعر حمار الشيخ...!

وجدت في = المعيار = ج 2 ص 13

= حكى الخطيب العلامة المحقق الرحال أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق التلمساني في شرحه لعمدة الأحكام قال ، شاهدت بمصر بعض جهلة العوام الأغبياء ينتفون شعر حمار شيخنا الفقيه العلامة شمس الدين ابن التبان تبركا به أيام تجرده للوعظ والتذكير وتركه الإفادة والتعليم...!!! =

864 ـ نبي النحو ...!

وجدت في كتاب دراسات في اللغة لمؤلفه الشيخ محمد خضر التونسي ص 20.

= فإبن تيمية مثلا يصحح رواية سيبويه ويخطئه في التطبيق. وقد روى ان ابا حيان كان رفيقا لابن تيمية. فرد ابن تيمية على سيبويه. فقال له أبو حيان ، أترد على سيبويه..؟ فقال ، هل سيبويه نبي النحو ..؟ لقد أخطأ في ثلاثين موضعا من كتابه..! فهجره أبو حيان...!!! =

865 ـ حنين إلى طنجة...!

وجدت في كتاب تاريخ إربل القسم الأول ص 351 في ترجمة المغربي الطنجي...

= انشدني أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الاسكندري قال أنشدني الطنجي لنفسه بأربل ،

ياطنجة جمعت ريما وغزلانا
تراك جامعة شملي كما كانا
لئن أنا عشت حتى ترتوي مقلى
ممن أحب بها أهلا وجيرانا
لأشكرن إله العرش خالقنا
واقطع الدهر تسبيحا وقرآنا

866 ـ صيد الغرانق...!

وجدت في كتاب = أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ـ ط. مجريط 1867م ص 117 ـ 118.

= وكان خارجا إلى الثغر في بعض غزواته (عبد الرحمن الداخل) فوقعت غرانيق في جانب من عسكره. وأتاه بعض من كان يعرف كلفه بالصيد يعلمه بوقوعها. ويشهيه بها ويخصه على اصطيادها فأطرق عنه ثم جاوبه :

دعني وصيد وقع الغرانـــــــق
فإن همي في اصطياد المــــارق
في نفق إن كان أوفى حالـــق
إذا التظت هواجـــر الطرائـــق
كان لفاعي ظل بند خافـــــق
غنيت عن روض وقصر شاهـــق
بالقفر والايطان في الســـرادق
فقل لمن نام على النمـــــارق
إن العلا شدت بهـــم طـــارق
فاركب إليها ثبج المضائــــــف
أو لا. فأنت أرذل الخلائــــــق

867 ـ اعترافات المنصور ابن أبي عامر...!

وجدت في كتاب = إعتاب الكتاب =لابن الأبار. أثناء ترجمة خلف بن الحسين بن حيان. والد المؤرخ الأندلسي أبي مروان ابن حيان. وكان من كتاب المنصور وغضب عليه مرة ثم استدناه وأشفق عليه..! وقال له كلاما من جملته...

= ... فإنما أنا ابن امرأة من تميم. طالما تقوتت من غزلها. أغدو به إلى السوق وأنا أفرح الناس بمكانه... ثم جاء من أمر الله ماتراه...! وما أنا عند الله لولا عطفي على المستضعف المظلوم. وقهري للجبار الطاغي...!!! =

868 ـ كتاب الإدراك للسان الأتراك :

وجدت في قائمة الكتب المطبوعة بمدينة اسطنبول سنة 1931م.

= كتاب الإدراك للسان الأتراك لمؤلفه أثير الدين ابن حيان الأندلسي المتوفى بالقاهرة سنة 745 هـ = 1344م . اهتم بتصحيحه جعفر أوغلى أحمد ونشره معهد التركيات في 158 صفحة مع ترجمة وتعليق باللغة التركية

869 ـ لاخير في شن ولا في طبقة ...!

وجدت في كناشة بها تقاييد وحكايات وأحاج هذا الكلام...!!!

هنيت يا زالغ بالـت تغـــات
فبالرفـــاء والبنيـــــن والبنـات

٥ ٥ ٥

فيالها من رابطة موفقـــــة
لاخيـــر فـي شـــن ولا فـــي طقبة

فاس : **عبد القادر زمامه**



معرض مجلة دعوة الحق

لقي معرض مجلة «دعوة الحق» نجاحا كبيرا فاق كل التقديرات. فقد كان مناسبة أدبية احتنمها جمهور المثقفين والباحثين والدارسين لاقتناء الأعداد القديمة من المجلة واستكمال مجموعاتهم. وقد استمر المعرض أسبوعا وحظى باهتمام واسع من الصحافة وأجهزة الاعلام المختلفة من اذاعة وتلفزيون وصحف مغربية وعربية.

وكان الأستاذ الهاشمي الفلالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية قد ترأس حفل افتتاح معرض مجلة «دعوة الحق» بحضور جمهور من رجال الفكر والأدب والثقافة.

كما حضر حفل الإفتتاح الذي جرى بقاعة وزارة الشؤون الثقافية السيد محمد المرابط الكاتب العام لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأعضاء ديوان السيد الوزير ورؤساء الأقسام والمصالح.

وننشر فيما يلي نص الكلمة التى ألقاها السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمناسبة.

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

أيها السادة الكـــرام :

يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تدشن بحضوركم الكريم معرض مجلة «دعوة الحق» بمناسبة حلول الذكرى الفضية لصدورها، مفتتحة بذلك تقليدا جديدا بالاحتفال بمرور ربع قرن على صدور مجلة مغربية حملت لواء التنوير والتجديد، والدعوة والتبشير، على هدى من رسالة الإسلام وعلى بصيرة من العلم الواعي المسؤول.

إن مجلة «دعوة الحق» التي أنشأها في الواقع بطل الحرية والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس غداة استقلال المغرب لتعتبر بحق رائدة الصحافة الإسلامية، والثقافية ليس في هذه البلاد فحسب، وإنما في بلدان أخرى من الوطن العربي الكبير.

ولقد استطاعت هذه المجلة بفضل الإمكانات المادية والمعنوية التي توفرها لها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أقول استطاعت أن تنشىء مدرسة جديدة في الفكر الإسلامي الحديث وترعى أجيالا من المفكرين والكتاب والعلماء والأدباء والشعراء والمختصين في الدراسات الإنسانية المتنوعة، وبذلك استحقت أن تنال رضا الجميع بما التزمت به من خط فكري أصيل وأسلوب صحافي متزن ورؤية ثقافية وتحليلية سليمة. فهي مجلة المغرب بكل ما يتمثل فيه من شموخ حضاري وأصالة فكرية وعراقة ثقافية وامتداد تاريخي.

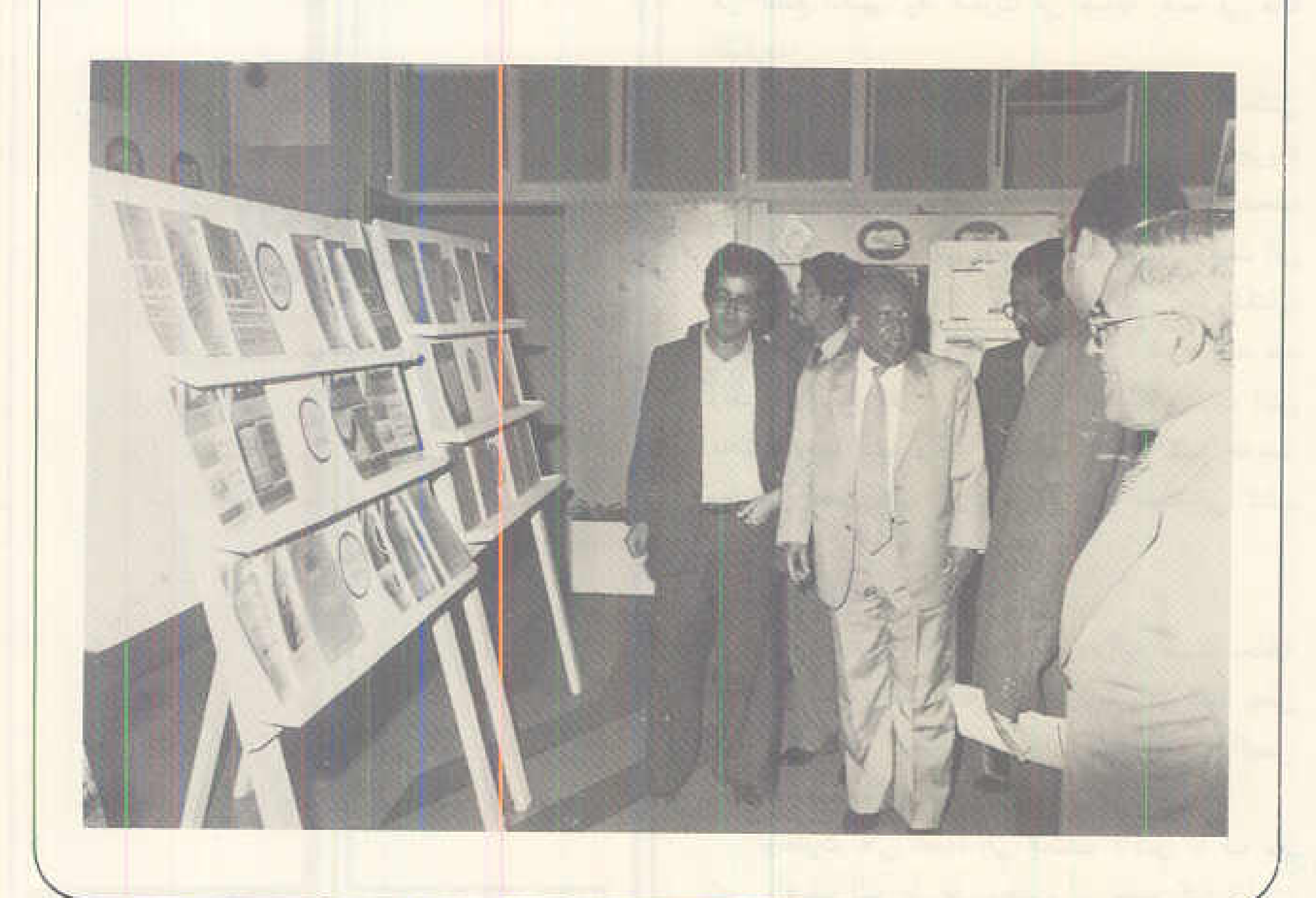
واليوم، ونحن نحتفل بهذه الذكرى الثقافية، بحضور هذه الصفوة المفكرة الواعية، لا يسعني، باسم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، من جهة، ونيابة عن رجال الفكر والعلم والقلم الذين يشكلون أسرة «دعوة الحق»، إلا أن أنوه تنويها حارا بالعطف المولوي الشريف على هذا المنبر الإعلامي الرفيع وبالدعم المادي الخصب الذي تخصصه حكومة جلالته لهذه المجلة حتى استطاعت أن تواصل أداء رسالتها السامية طوال ربع قرن.

وأغتنم هذه المناسبة لأتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى أسرة هذه المجلة وفي مقدمتها السادة الكتاب والمفكرون والعلماء وكل صاحب قلم شارك به على صفحاتها.

كما أشكر بصفة خاصة أسرة التحرير والسادة الذين تعاقبوا على رئاسة التحرير منذ صدور المجلة في سنة 1957.

وفقنا الله لما فيه الخير والصلاح للإسلام وثقافته وفكره. والشكر لكم مجددا على تلبيتكم الدعوة لحضور هذا الحفل.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.



بقلم: عبد القادر الادريسي

الأستاذ عبد الغفور عطار

•• يواصل الأستاذ الكبير أحمد عبد الغفور عطار إثراء المكتبة العربية السعودية بوافر إنتاجه وغزير عطائه. وعلى الرغم من الأمراض التي يعاني منها، فإنه دائب التأليف والكتابة والنشر، لا يكاد يصدر له كتاب حتى يعقبه كتاب أو موسوعة علمية في عدة أجزاء. وهذا هو الجديد الذي أصدره الأستاذ العلامة الكبير خلال الفترة القليلة الماضية.

- موسوعة الديانات والعقائد في مختلف العصور وتقع في أربعة مجلدات كل مجلد في أزيد من أربعمائة صفحة من القطع الكبير، وقد صدرت في طباعة رفيعة في مكة المكرمة.

يقول المؤلف في مقدمة الجزء الأول : «شغلتنى الحياة والعمل في الصحافة. فقد كنت صاحب جريدة «عكاظ» ورئيس تحريرها. حتى إذا انتقلت ملكية الصحف في بلادنا من الأفراد إلى مؤسسات حمدت الله. وعدت إلى الإشتغال بالعلم والبحث، فتفرغت لتأليف هذا الكتاب وبقيت حبيس مكتبتي. وأنا أمنى النفس بالعودة إليه، فقد وقفني الاطلاع على علم كثير في هذه الديانات التي بحثتها، وجد لدي، ولكن اشتغالي بتأليف كتب جديدة، وبتحقيق بعض كتب التراث صرفني عن العودة إلى كتاب «الديانات».

ويضيف المؤلف :

«وبينما كنت أهيء نفسي للعودة إليه أصبت بجلطة حادة في المخ، وشفاني الله منها، وإن بقي من الداء بعض آثاره، ونجم عنه بعض العلل والأوجاع، وفقدت البصر، ومازلت تحت العلاج حتى الآن.

وتعذرت علي العودة إلى الكتاب لأكمل ما فيه من نقص وأضيف إليه ما جد، وخفت أن يضيع كما ضاعت مؤلفات لي فدفعت به إلى المطبعة حفظا لجهد علمي بذلته وقد يجد فيه القارىء ما ينفع».



والواقع أن هذه الموسوعة ـ وقد قرأت منها نتفا من هنا ومن هنا، وفصولا قائمة الذات ـ من الموسوعات العلمية الشاملة التي جمعت فأوعت وقدمت للقارىء عصارة الفكر الإنساني في هذا المجال.

ـ ومن مؤلفات الأستاذ عطار التي صدرت في هذه الفترة الجزء الأول من (الفوائد المحصورة في شرح المقصورة) للعلامة محمد بن أحمد بن هشام اللخمي وتحقيق الأستاذ عطار. وقد صدرت ضمن منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. ويقع هذا الجزء في أزيد من خمسمائة صفحة من الحجم الكبير.

ـ كما صدر للمؤلف كتاب ضخم بعنوان (الإسلام ، بحث في العقيدة والإيمان) ويقع في 382 صفحة من الحجم الكبير.

ويقول المؤلف في المقدمة إن هذا الكتاب هو في الأصل من فصول موسوعة الآنفة الذكر عن الديانات.

ـ وصدر لنفس المؤلف كتاب (الجوهري مبتكر منهج الصحاح) ويقع في 50 صفحة من الحجم المتوسط.

وتبلغ مؤلفات الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار نحوا من ثمانين كتابا في فروع الثقافة العربية والإسلامية. وهو بهذا الإعتبار كاتب موسوعي ضليع ومتمكن وذو باع طويل ودربة وخبرة عميقة.

ولست أدري لم أذكر العقاد كلما قرأت للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار. ولا غرو فالرجل تلميذ وفي للعقاد العظيم وقد اتصل به اتصالا وثيقا وأخذ عنه وسار على نهجه من بعده.

وتعود صلتي بالأستاذ عطار إلى أوائل السبعينات، حينما قرأت له كتابا نفيسا لست أدري لماذا لم يعد طباعته. مع أن جميع كتبه تكررت طباعتها عدة مرات. والكتاب بعنوان (الزحف على لغة القرآن) وهو من المؤلفات القيمة التي تثير قضايا فكرية وأدبية على جانب كبير من الأهمية.

أمد الله في عمر أستاذنا الكبير أحمد عبد الغفور عطار وشفاه وعافاه لمواصلة عمله العلمي والأدبي النافع لأمته العربية الإسلامية.



الأستاذ محمود شاكر يحسم قضية الشعر الجاهلي

● نشرت «الأهرام» في صفحة «الفكر العالمي» خلال الفترة الأخيرة، مقالة للأستاذ العلامة الجليل محمود محمد شاكر تحت عنوان : «المستشرقون والثقافة العربية». وعلاوة على ما تشمل عليه هذه المقالة من إثارة جديدة لقضية الاستشراق وعلاقته بالشعر الجاهلي التي أثارت ولا تزال تثير منذ فترة غير قصيرة غبارا من الجدل والنقاش والحوار المحتدم على المستويين العلمي والتاريخي، فإنها تتضمن أيضا رأيا جديدا في هذه القضية بالذات، تأتي قيمته وأهميته من كون محمود محمد شاكر ليس من العلماء الكتاب الذين يطلقون الرأي والكلم على عواهنها دون أن تستند على حقيقة علمية ثابتة أو في حكم الثبات.

ولعل قضية الشعر الجاهلي وعلاقة حركة الاستشراق به منذ نشأتها وظهورها خصوصا على يد المستشرق مرجليوث، لاتحتاج فقط إلى معالجة جديدة من جذورها وأصولها حتى ترد فيها الحقيقة إلى النصاب، وإنما تحتاج كذلك إلى رؤية علمية وتاريخية بعيدة عن التأثر بالرؤية الاستشراقية الذي رسبت في أذهان بعض الباحثين عددا من السنين، وهذه الرؤية هي التي يلقي عليها الأستاذ شاكر بعض الظلال مع ربطها بما شاع ـ زمنا ـ عن منهج الشك وكيفية استخدامه في البحث الأدبي والتاريخي... ولأهمية المقال، ندرج نصه فيما يلي :

٥ ٥ ٥

مادمت قد سألت في الأسبوع الماضي عن المستشرقين، والشعر الجاهلي، وابن سلام صاحب كتاب «طبقات فحول الشعراء» ومرجليوث صاحب مقال «نشأة الشعر الجاهلي. وذكرتني ـ مستشهدا ـ فواجبي أن أضع لك القضية في وضعها الصحيح.

فالمستشرقون، بهذا الإطلاق غير المحدد، لم يقولوا ، «إن الشعر الجاهلي موضوع كله أو أكثره ولا أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا، ليست من الجاهلية في شيء، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم، أكثر مما تمثل حياة الجاهليين، وأن ما بقي عندنا من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا، لا يمثل شيئا، ولا يدل على شيء، لم يقل المستشرقون هذا، بل قائله مستشرق واحد لا غير، هو «مرجليوث» ومن الإنصاف للمستشرقين أقول لك ، إن كثيرا منهم من شيوخ مرجليوث وأقرانه وتلامذته، قد رفض هذه القضية ورد عليها ونقضها، وكان من آخرهم فيما أعلم المستشرق «أربرى» فقد لخص أدلة مرجليوث ونقضها عليه وذلك في كتابه «المعلقات السبع» ثم قال في آخر كلامه ، «إن السفسطه وأخشى أن أقول الغش في بعض الأدلة التي ساقها الأستاذ مرجليوث لاتليق البته برجل كان ولاريب من أعظم أئمة العلم في عصره».

هذا هو الوضع الصحيح لقضية الشعر الجاهلي عند المستشرقين الكبار القدماء، ولا أدري ماهو رأي المستشرقين المحدثين اليوم، لأني أخرجت الاستشراق كله من حسابي منذ زمن بعيد، لأسباب معروفة، عندى على الأقل.

أما ابن سلام (139 ـ 232 هـ) صاحب كتاب فحول الشعراء فهو من قضية مرجليوث، ومن قضية الشعر الجاهلي بمعزل، وسأوضح لك الأمر كله باختصار شديد وبلا خلط ولا تخليط.

لفظ الشعر الجاهلي حين يطلق، لا يراد به إلا الشعر العربي الذي كان قبل الإسلام بنحو مائة وخمسين سنة.

وشعراء هذه الفترة معروفون بأسمائهم، وقد ألف الناس أن يجعلوا أولهم أو من أولهم «أمرؤ القيس الكندى اليمني» هذا هو التحديد المشهور وهذا هو الشعر الجاهلي العربي عند العلماء وغير العلماء.

ولكن كان في عهد ابن سلام كتب فيها شعر عربي آخر، منسوب إلى أمم بائدة من العرب، هم «عاد وثمود وحمير وتبع» بل إلى أبينا آدم عليه السلام. فأشار في مقدمة كتابه إلى هذا الشعر فقال : «وفي الشعر مصنوع موضوع لاخير فيه ولا حجة في عربيته» وذمه ذما شديدا، ثم قال لمن حمل إلى الناس هذا الشعر : «أفلا يرجع إلى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر وأداه منذ آلاف السنين» والله تعالى يقول : «وانه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى» فهذا قطع ببطلانه. لاشك فيه. وذلك لتطاول الزمن وهلاك هذه الأمم من العرب البائدة عاد وثمود.

ثم ذكر العرب المستعربة أبناء إسماعيل عليه السلام. فقال إن العرب تنتسب إليه. تقف عند أبيهم عدنان، وبين عدنان وأبيه إسماعيل آلاف من السنين. وأن «معد بن عدنان» كان بازاء موسى بن عمران عليه السلام. ومع ذلك فنحن لانجد لهؤلاء العرب الأوائل من «معد بن عدنان» شعرا فكيف بعاد وثمود ؟ هذه حجة أخرى مرتبطة بالزمن وتطاوله.

ثم استدل بدليل آخر مرتبط بتطاول الزمن، ثم باللغة فقال : «إنه قد بقيت بقايا قليلة في أقاصي اليمن كان عندهم بقية من لسان حمير، وهم عرب ولسانهم عربي أيضا، وزمانهم أقرب عهدا من زمان عاد وثمود. ذاكرا قول أبي عمرو بن العلاء (70 ـ 154 هـ) في ذلك وهو : «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا. فكيف بما على عهد عاد وثمود». وهذه الحجة الأخيرة، هي التي ضللت من شك في الشعر الجاهلي. لأنه وضعها في غير موضعها، وصرفها إلى الشعر الجاهلي في اليمن، قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة.

وقد ختم ابن سلام كلامه في هذه القضية، وبين ما عناه من الشعر فقال بلفظ واضح لا لبس فيه : «لم يكن لأوائل العرب من الشعر، إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف (يعني قبل الإسلام بنحو مائة وخمسين سنة فهذا يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع) هذا تحديد واضح وقطع ببطلان الشعر المنسوب إلى هذه الأمم التي ذكرها، والتي لايدخل شعرها تحت اسم «الشعر الجاهلي». هذا قطع بالبطلان لاشك في الشعر الجاهلي الذي يضم الشعر العدناني والقحطاني اليمني.

بقيت قضية أخرى، تعرض لها ابن سلام في كتابه عن فحول شعراء الجاهلية والإسلام، واستخدمت استخداما سيئا جدا. وخلاصة القضية بلفظ ابن سلام، لا بلفظي أنا، ولا بلفظ من خلطوا بين القضيتين قال ابن سلام : «وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم. فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار. فقالوا على ألسنة شعرائهم ثم كان الرواة بعد، فزادوا في الأشعار التي.. قيلت. وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولدون. وإنما عضل بهم (أى صعب عليهم) أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم، فيشكل عليه بعض الاشكال».

فهذا كما ترى ليس شكا في الشعر الجاهلي، بل هو الدليل القاطع الحاسم، على أن العلماء بالشعر قبل ابن سلام وبعده قد محصوا لنا هذا الشعر، ووثقوه وأدوه إلينا على أسلم وجه. أما قضية الزيادة في شعر شاعر أو نسبة شعر إليه ليس من شعره. فهذه قضية معروفة في جميع آداب الأمم. فهذا شكسبير مثلا، تعرضت بعض أعماله للنقد وقيل أنه لم يكتبها هو، بل كتبها فلان. فهل يمكن عند ذلك أن نشك في شعر شكسبير كله ونطرحه كله، حتى بعد أن يثبت على وجه القطع صحة ذلك الشك ؟ وفي زماننا هذا جمع شعر الدكتور ناجى، ثم تبين لبعض الباحثين أن في ديوانه قصائد ليست له. فهل يجوز لي أنا «بصفتى معاصرا له» أن أشك في شعر ناجى كله وأقول أنه مصنوع كله وأضم إليه شعر علي محمود طه، ومحمود حسن اسماعيل، ثم ارتفع بهذا الشك إلى شوقى وحافظ والبارودى ؟

هذه أساليب عجيبة، تأتى في زمن عجيب ! ابن سلام يا سيدى لا يشك في شعر هو أحد حفاظه وعلمائه، ثم يؤلف في هذا الشعر وشعرائه كتابا قائما برأسه هو كتاب «طبقات فحول الشعراء» فلماذا نزيف الحقائق ! ؟

مترجم كتاب "حاضر العالم الاسلامي" في ذمة الله

في غمرة الأحداث الدامية التخريبية التي صبها الاستعمار النازي الصهيوني الامريكي على لبنان العزيز فاضت روح الكاتب الإسلامي المعروف الأستاذ عجاج نويهض بعد مرض طالت معاناته له. وعلمنا أنه بقي مسجى في ثلاجة المستشفى ستة أيام قبل أن ينقل في سيارة مقفلة إلى قريته رأس المتن دون رفيق ليدفن في القبر الذي أعده بنفسه في ركن من حديقة بيته. وقد خسر العالم العربي بموته كاتبا لامعا ومترجما بارعا ومن آخر من بقي من رفقاء الأمير شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وتلك الطبقة من الكتاب وقادة الفكر الإسلامي. وكانت رابطة علماء المغرب قبل سنة رشحته وهو على فراش المرض لجائزة الملك فيصل ومما يذكر أن الفقيد هو مترجم كتاب (حاضر العالم الإسلامي) عن اللغة الانجليزية في منتصف العشرينيات والذي كتب هوامشه الضافية الأمير شكيب أرسلان رحم الله الأستاذ عجاج وجزاه الجزاء الأوفى بما قدم لأمته من خدمات وأسكنه فسيح جنته.

تحية كريمة من الزميلة "الفيصل"

●● بمناسبة الذكرى الفضية لمجلة (دعوة الحق) بعث الأستاذ الزميل علوي طه الصافي رئيس مجلة (الفيصل) السعودية بتحية كريمة نعتز بها وننشرها لما فيها من تقدير حميم للدور الذي تنهض به مجلتنا ولما تضمنته من تحليل علمي موضوعي لواقع الصحافة الإسلامية.

ونحن إذ نشكر للزميل علوي طه الصافي نبل مشاعره وحرارة عواطفه لا يسعنا إلا أن ندعو لمجلة (الفيصل) بمزيد الانتشار والتوفيق في خدمة الفكر والثقافة العربية الإسلامية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدني أن أتقدم إليكم بمناسبة مرور 25 عاما على صدور مجلة (دعوة الحق) بأطيب التهاني والتبريكات راجيا المولى سبحانه وتعالى أن يحقق لها ولغيرها من المجلات الإسلامية الصادقة النزيهة النجاح والانتشار لإيصال رسالة السماء والحق إلى البشر لهدايتهم وفلاحهم. وما ذلك على الله بعزيز.

ان صمود مجلة (دعوة الحق) طوال هذه الفترة التي شهدت ظهور واختفاء عدد كبير من المجلات الإسلامية التي لم تستطع مواجهة صحافة مراهقي الفكر، وتجار المبادىء، ودعاة الغرائز الحيوانية.. ان صمود (دعوة الحق) أمام هذا كله، واستمرارها في الصدور دون توقف لهو دليل على صمود المبادىء الصحيحة، والقواعد السليمة التي قامت عليها.

ان مأساة الصحافة الإسلامية في رأينا ليست كما حاول البعض تصويرها بأنها نتيجة لجمودها وانغلاقها، وعجزها عن مواكبة تقنية العصر.. وإنما المأساة حقيقة تكمن فيما يأتي :

1) جمود الذين هيمنوا عليها لأنهم تصوروا ان رسالة الصحافة الإسلامية هي مجرد الدعوة إلى الإسلام، فحصروها في رسالة «المنبر» وهذا مفهوم قاصر، لأن الإسلام هو الشمول علما، وأدبا، وفكرا، وفنا، وفلسفة، وتاريخا، وسياسة، وأنظمة، ودعوة، واقتصادا. وهذا يعني أن الصحافة الإسلامية أكثر شمولا من غيرها من المجلات، وهذا ما سارت عليه مجلة (الفيصل) فالإسلام لم يحرم إلا ما يضر الإنسان، ولو راجعنا موضوعات الحلال والحرام لوجدنا أن موضوعات الأخير قليلة جدا.

2) قصر نظر البعض في تصورهم للصحافة الإسلامية، وبالتالي حرمانها من معطيات تقنيات الصحافة المعاصرة طباعة، وإخراجا، ولونا وصورة.. فأصبح المظهر الباهت، والورق الرخيص القديم من مظاهر الصحافة الإسلامية مع الأسف الشديد.

3) خضوع بعض المجلات الإسلامية لسياسة الأحزاب، ونزعات الحزبيين. وهناك أسباب أخرى يضيق الوقت بذكرها.

لقد حرصت في «المؤتمر التمهيدي للصحافة الإسلامية» الذي عقد تحت رعاية «رابطة العالم الإسلامي» في قبرص، حرصت ان أجد المفهوم الحقيقي للصحافة الإسلامية انطلاقا من المفهوم الشامل للحياة بكل ما تزخر به من علوم وفنون وآداب من المنظور الإسلامي.. فالإسلام ليس مجرد عبادات، وتعليمات نظرية.. انه اشمل من هذا.. انه الحياة عبادة ومعاملات دين ودنيا.

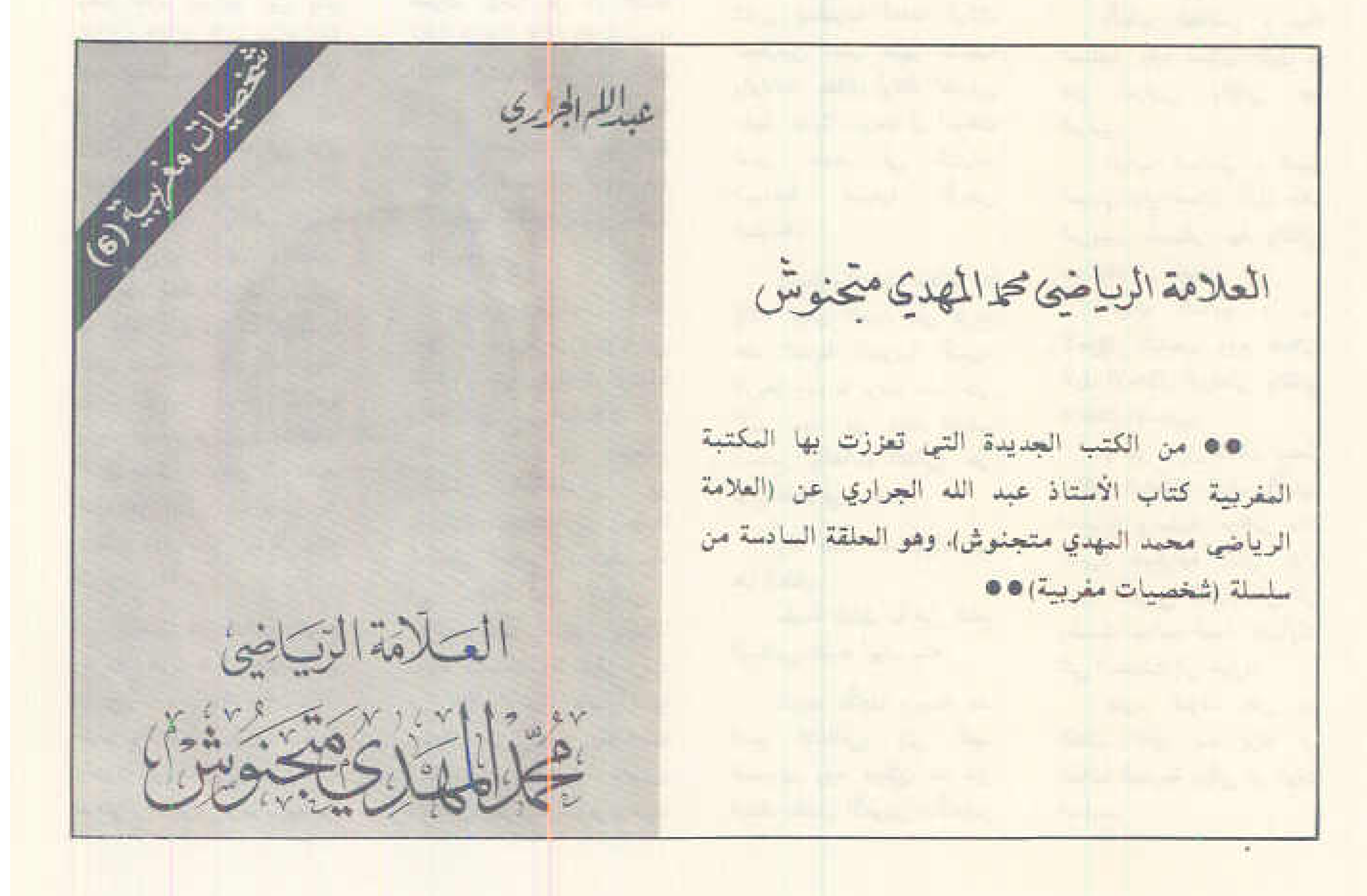
لهذا فإن الصحافة الإسلامية يجب أن تكون صحافة علم ودين وأدب، وفكر، وفن، وفلسفة وتاريخ، ودعوة، وأخلاق، واجتماع، ونفس.. ويجب توظيف وسائل التقنية الصحافية الحديثة في إظهار الصحافة الإسلامية بالمظهر المعاصر، المظهر الجذاب.. فالإسلام ليس ضد الفرح، والنظافة والأناقة.

أراني استطردت في شرح مفهوم الصحافة الإسلامية في الوقت الذي جئت مهنئا بمناسبة احتفال مجلة (دعوة الحق) بمرور خمسة وعشرين عاما على صدورها.. وإن كنت أرى أن الحديث عن الصحافة الإسلامية هو حديث غير مباشر عن المجلة، ودلالة على قدرة الصحافة الإسلامية على الصمود.

ولابد من تقديم الشكر الصادق لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية لدعمها المستمر لهذه المجلة، آملين مزيدا من المساندة والدعم.. والله الموفق.

وتقبلوا تهنئتي وتحياتي

رئيس تحرير مجلة «الفيصل»
علوي طه الصافي



العلامة الرياضي محمد المهدي متجنوش

●● من الكتب الجديدة التي تعززت بها المكتبة المغربية كتاب الأستاذ عبد الله الجراري عن (العلامة الرياضي محمد المهدي متجنوش)، وهو الحلقة السادسة من سلسلة (شخصيات مغربية) ●●

المغرب

● صدر كتاب جديد للعلامة المرحوم الأستاذ محمد المختار السوسي بعنوان (معتقل الصحراء) ـ الجزء الأول ويقع في 256 صفحة من الحجم الكبير عن مطبعة الساحل بالرباط. وجاء في كلمة توضيح من أسرة المرحوم ما يلي:

«اعتمدنا في نشر هذا العمل على نسخة هيأها المرحوم بنفسه للطبع ـ لولا الأجل المحتوم ـ مخرجة على الآلة وعليها تصويباته، مصدرة بصفحات خطية هي التي تحمل عنوان (أعمالي الخاصة قبل حوادث الاعتقال) ومختومة بخرائط ثلاث مرسومة بيده الكريمة المعطاء. وهذا الجزء الموجود بين يدي القارئ الكريم اليوم صورة وفية لتلك النسخة حتى في الفهارس إلا فيما يرجع إلى الترقيم، فقد والبناء بعد أن توقف في نهاية الكردوسيات واستؤنفت بعد ذلك في المذكرات، وذلك لايمس العمل في شيء هذا. وبإقدامنا على هذه الخطوة نرجو أن تكون قد حالفنا التوفيق. كما نرجو ان نكون عند حسن ظن والدنا. وإننا بذلك أرضينا روحه الطاهرة وأرواح رفاقه في درب الكفاح، الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا والله الموفق».

ويعتبر هذا الكتاب شهادة جديدة على فترة حاسمة من تاريخ المغرب حيث تعرض رجال الفكر والدعوة وأبطال المقاومة والحركة الوطنية إلى اختبار صعب فدخلوا السجون ونفوا وعذبوا ونالهم القهر والحرمان دفاعا عن عرش المغرب وحريته ووحدته.

وفي المقدمة التي كتبها المؤلف رحمه الله تفصيل لمحتويات هذا الكتاب الذي يضم جزءين، الجزء الأول من قسمين، القسم الأول في (التجداديات) أي ما يتعلق بمقام المؤلف في (تجداد)، والقسم الثاني في (الكردوسيات) أي ما يتعلق بمقام المؤلف في (اغبالو نكردوس)، وهذا الجزء يضم المنثور والمنظوم من المذكرات، وأما الجزء الثاني فهو مجموع تراجم لمن اجتمع بهم المؤلف في معتقل (اغبالو نكردوس) من إخوانه في الكفاح الوطني.

● من المؤلفات القيمة التي صدرت مؤخرا عن دار الثقافة بالدار البيضاء كتاب (تاريخ سبتة) للأستاذ الباحث محمد بن تاويت الأستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس ويقع في 230 صفحة من الحجم الكبير، وقد جاء في كلمة التمهيد التي كتبها المؤلف ما يلي:

«... وبعد فإن مدينة سبتة، بقدر ما عرفت من أبنائها في الإسلام مبرة وعناية وشغوفا وازدهارا في شتى المجالات، كان القاضي عياض في مقدمتهم، والأنصاري والحضرمي في مؤخرتهم، عرفت في عهدها المسيحي الغاشم الذي امتد ستة قرون ـ تكاد تعادل الإسلامي تكرانا وهضما لحقوقها، وإظلاما مطبقا لإشعاعها، ولا نقول عرفت من هؤلاء عقوقا، فإنهم ليسوا أبناءها، حتى يتصفوا بهذه الصفة المنكرة، وإنما هم غاصبون متسلطون، وقراصنة متمردون، هبت بهم عاصفة الأطماع والعدوان والحقد على حقيقة الإسلام.

نعم، إنه عهد مظلم في كل جوانبه، بقدر ما كان مشرقا في كل نواحيه، لا ندري له كنها ولا ندرك لوجوده علة. "وقد اتصلنا ببحاث البرتغال والإسبان، في هذا الشأن نستشف منهم ما هيته، فكلهم هزوا أكتافهم، في استخفاف أو استخذاء، وكلهم وضع صورته في إطار الجهل الشنيع الفاضح لهذه الحقيقة المخزية، وربما تلمس بعضهم اعتذارا عن ذلك، بكون سبتة منذ أن وقعت تحت وطأة الغزاة النصارى اتخذت منفى للمجرمين المبعدين، لهذا لم تظهر فيها بادرة من بوادر الثقافة عامة، ولا اعتني قط بتاريخها وتسجيل وقائعها. ومن ثم وجدنا هؤلاء الذين يسكنونها، أحفادا لأولئك المجرمين، تغلب عليهم العنجهية والوقاحة، بخلاف أولئك الطارئين عليها، حديثا، وبعد أن أصبحت تدعى عندهم في النشرات السياحية «جوهرة الأبيض المتوسط».

ومهما يكن فهذه محاولة منا لإلقاء بعض الأضواء على تاريخ هذه المدينة المغربية الأسيرة، تاريخا يضم ما عرفناه عنها، حتى الآن، سواء في ذلك الجانب السياسي والجانب الثقافي، على أوسع نطاق في مدلوله.

وقد جعلنا هذه الدراسة في هذا النطاق:

مقدمة تتناول ما قبل الفتح الإسلامي، تتلوها أبواب ستة:

الباب الأول: سبتة منذ الفتح الإسلامي، إلى العهد الحمودي، وفيه فصلان، ما قبل امتداد سلطان الأمويين بالأندلس إليها، وما بعد ذلك إلى سقوطه بها.

الباب الثاني: العهد الحمودي، وفيه فصلان، العهد الذي كان الحموديون يحكمونها بأنفسهم، والعهد الذي وكلوا أمرها إلى مواليهم.

الباب الثالث: العهد المرابطي، وفيه فصلان، الفصل الأول، عهد يوسف بن تاشفين والفصل الثاني، عهد ابنه علي إلى ابتداء الحكم الموحدي.

الباب الرابع: العهد الموحدي، وفيه فصلان، العهد الأول الذي ينتهي بالخلفاء الأربعة الأول، ثم العهد الثاني الذي تعرضت فيه سبتة للزعازع والانفصال، أحيانا والارتباط الصوري أحيانا أخرى.

الباب الخامس: سبتة المستقلة، وفيه فصلان، الأول ما قبل العزفيين، والثاني عهد العزفيين.

الباب السادس: العصر المريني، وفيه فصلان، الأول حكم المرينيين المستقر بها، والثاني بعد ذلك إلى سقوطها.

الباب السابع: عهد الاحتلال البغيض، وفيه فصلان، الأول الاحتلال البرتغالي، والثاني الاحتلال الإسباني.

وأخيرا نذيل الكتاب ببعض الوثائق المتعلقة بالباب الأخير، انجليزية واسبانية، مرفقين ذلك بصورة فتوغرافية تمثل بقايا سورها المغربي، الذي اختفى الآن وطمست معالمه، قصدا، بالبنايات التي استحدثت إلى جواره».

نهنيء المؤلف على هذا الكتاب الذي يسد فراغا في المكتبة المغربية ويأتي في الوقت المناسب.

للأستاذ المرحوم محمد حسن الوزاني تحت عنوان «مذكرات، حياة وجهاد»، وهو مجموعة من المقالات السياسية تتناول التاريخ السياسي للحركة الوطنية المغربية، وستظهر قريبا أجزاء أخرى من هذه المذكرات.

● صدر مؤخرا «كتاب الامتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع» تأليف ابن الدراج السبتي (693 هـ). ودراسة وإعداد الدكتور محمد بن شقرون الأستاذ بجامعة محمد الخامس، بالرباط.

وابن الدراج واحد من الشخصيات المغربية التي عاشت في العصر المريني، وساهمت مساهمة كبرى في الحركة الثقافية للعصر مع صوره، فيما بعد إلا أن التاريخ بخسه وتراثه حقه وألقاه في زاوية النسيان، إلى أن جاء الأستاذ محمد بن شقرون، فأخرجه إلى النور - بعد تذليل عدة عقبات - بهذه الخطوة التي سيتبعها بخطوة أخرى يخص ابن الدراج فيها بدراسة متفردة ستصدر قريبا.

وكتاب الامتاع يتكون من 268 ص من الحجم المتوسط قدم له المحقق بدراسة وافية عرف فيها بالمؤلف من مختلف النواحي، نقرأ فيها :

- عصر المؤلف وبيئته - ابن الدراج، حياته - ونشاطه الثقافي والإداري والسياسي - ابن الدراج قاضيا بسلا - ابن الدراج أستاذا ذا كراسي متعددة - آثار ابن الدراج - ابن الدراج الفقيه الأصولي - ابن الدراج الشاعر - ابن الدراج النحوي اللغوي - ابن الدراج الأديب - ابن الدراج والموسيقى - كتاب الامتاع والانتفاع في حالة مخطوطة واحدة نادرة.

أما بنية الكتاب فتتكون من مقدمة وثلاثة أبواب، في المقدمة يحدد المؤلف دوافع تأليف كتابه وتتمثل في تضارب مواقف الناس، العلماء منهم والعامة على حد سواء - حول حكم الإسلام في الحفلات والطقوس الغنائية التي عمت المغرب، وخاصة فاس العاصمة، بعد الانتصارات الكبرى التي أحرز عليها المغاربة باسبانيا وغيرها في عصر أبي يعقوب يوسف المريني، والازدهار الاقتصادي الذي عرفه المغرب في هذه المرحلة من تاريخه. ففي إحدى حلقات الدرس سأل أحد الطلبة المجدين أستاذه ابن الدراج عن حكم الأجرة التي يتقاضاها المغنون، هل هي محرمة أم محللة ؟ فاغتنمها الأستاذ فرصة ألف فيها هذا الكتاب وأهداه إلى السلطان حيث كان يشغل لديه منصب كاتب السر، مضمنا إياه مختلف الآراء المطروحة حول الموضوع، واضعا إياها في ميزان الأخلاق والعقيدة.

أما **الباب الأول** ، فيتعلق بالغناء بصفة عامة، وينقسم إلى فصلين، الأول في حقيقة الغناء حيث يعرض المؤلف فيه مختلف تعريفات الغناء التي استخرجها من أمهات الكتب ثم يعرض آراء كبار علماء الإسلام - حسب تسلسلهم التاريخي - في الموضوع. أما الفصل الثاني فقد خصصه لشرح آلاته، وفيه يقدم لائحة بأسماء مختلف الآلات الموسيقية المستعملة في عصره وفي العصور السابقة، الدف والغربال والمصافق والكبر والاصف والمزهر والعود والرباب والكران والصنج والكيثار والمعزف...

الباب الثاني ، يتعلق بقضايا رئيسية، ويتكون هو الآخر من فصلين، الأول في حكم الغناء مجردا عن العوارض اللاحقة، وفيه يعرض المؤلف لأدلة مبيحي الغناء، والغناء الذي كانت الأنصار تتغنى به، وأحاديث النكاح، وذكر ما احتج به المحرمون لذلك، وذكر حجة القول بكراهة ذلك... والثاني في حكم الغناء مع إتقان عمله، وهو أطول الفصول وأكثرها إفادة وتقف فيه على معرفة المؤلف الواسعة بالموضوع الذي يعالجه، وتضلعه فيه، وقدرته الحيوية على الجدال والنقاش، ومن فصوله، فصل ما السماع - فصل ما شرائط السماع - فصل ما آداب السماع - فصل شرائط السماع - فصل ما شرائط القول ليؤثر في المستمع قوله - فصل إذا قام محتشم أو شيخ فهل يقوم الحاضرون بقيامه أم لا - فصل في تخريق الثياب في السماع وغيره...

أما **الباب الثالث** ، فيحمل عنوان ذكر ما يدل على إباحة ذلك، وهو يشكل خاتمة الكتاب التي ضمنها المؤلف إجابة حاسمة في الموضوع، ووضع حدا للجدالات القائمة حوله في المستوى النظري على الأقل.

ويعتبر هذا الكتاب إضافة جديدة للمكتبتين المغربية والعربية على حد سواء، كما يعتبر أيضا إضافة للتراث الإنساني بأجمعه، فهو خطوة من ذلك المشروع - الضمني - الضخم الذي رسمه الأستاذ محمد بن شقرون في كتابه «الحياة الفكرية المغربية على عهد المرينيين والوطاسيين» (ستصدر قريبا ترجمته مزيدة، باللغة العربية والبيئة المغربية ومظاهرها الثقافية ومظاهر الثقافة المغربية) والذي يتمثل في الدعوة إلى كشف الستار عن عشرات من المخطوطات المغربية النفيسة (ضمن الأستاذ كتبه عناوينها وأماكن وجودها وأحوالها...) التي ما زالت محجوزة عن أيدي التحقيق والنشر، والتي كانت حصيلة عصر ذهبي عاشه الفكر المغربي خلال العصرين المريني والوطاسي.

● للعلامة الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي ثلاثة فهارس صغير ووسط وكبير، وهو حري أن يعدد فهارسه لتوسعه في العلوم ومشاركته في عدة فنون وقد وفق الله العلامة السيد رشيد المصلوت الروداني أحد شراح النصيحة الهلالية المشهورة إلى العناية بفهرس هذا الشيخ فحققه وقدم له واعتنى بنشره إفادة لأهل العلم، وهو يحتوي على أسانيده في الصحيحين والموطأ وبقية الستة وسند الإمام أحمد والشافعي وأبي حنيفة والشفا للقاضي عياض وكتب السيرة المعروفة، والتفسير وسائر كتب الدراسة المتداولة في العربية والتوحيد والفقه والتصوف والأذكار وغيرها مع بعض التنبيهات والفوائد النادرة كإشادته برواية ابن سعادة للبخاري التي امتاز بها المغاربة قبل أن ينتبه على ذلك المحدثون وغيرها، وخرج هذا الفهرس في أكثر من 80 صفحة بالحجم الصغير وطباعته نقية.

● صدر للأستاذ حسني الوزاني ديوان زجلي جديد يحمل عنوان «الحب صولة وجولة» يتضمن 21 قطعة زجلية تتميز لغة الوزاني بالسلاسة والبساطة والشاعرية، كما تتميز مقطوعاته بالعمق والأصالة.

المملكة العربية السعودية

● صدر كتاب جديد عن الماسونية وهذا كتاب مهم جدا عن

هذه المنظمة السرية التي غزت العالم منذ حقب طويلة وانتشرت في الوطن العربي والإسلامي أوائل القرن الحالي واشتبه النظر فيها فمن مشيد بمبادئها والغاية التي تعمل من أجلها ومن متشكك فيها محذر من الوقوع في حبائلها. لاسيما وهي تعتمد على الدعاية المضللة والتظاهر بمناصرة الحرية ومناهضة الظلم والاعتداد بمن ينتمي إليها من كبار الشخصيات ورجال الفكر والعلم ونقل المصادر العربية التي تكشف حقيقتها للناس ولذلك وقع بعض رجالات العالم الإسلامي في فخها. وقد تصدى لها هذا الكتاب الذي ألفه كاتبان من أهل الخبرة والإطلاع هما الأستاذان: محمد صفوت السقا أميني الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي وسعدي أبو حبيب فبينا انها مؤسسة يهودية صهيونية أنشئت لمحاربة الأديان وتخريب المجتمعات والعمل على سيطرة اليهود على المقدرات السياسية والاقتصادية الدولية بطرق خفية من الدس والمكر والتخريب بين الشعوب والحكومات وإيقاد نيران الحروب لصالح اليهودية العالمية وسيادتها وتحكمها، وقد أقاما على ذلك عشرات الأدلة واستشهدا بنصوص الباحثين والكتاب الذين سبروا غورها. والقارىء لهذا الكتاب يطلع على المؤامرات الدنيئة التي دبرتها الماسونية ضد البلاد الإسلامية والخلافة العثمانية بالخصوص وما لا تزال تقوم به في الأوطان العربية من أدوار الهدم والتحطيم بأسماء مستعارة ومؤسسات تابعة لها لتبعد عنها الشبهة وهو يقع في 260 صفحة وقد نشرته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

• يطالعنا الأستاذ محمد الحقيل بين الحين والحين بكتب من مروياته، تجاوز فيها مرحلة الرواية الشفوية إلى مرحلة الرواية الطباعية، وقد نشر خلال الفترة الأخيرة كتابين له يؤكدان هذا المعنى، أولهما «الوحشيات والأوابد لشعراء في الجاهلية والإسلام» وثانيهما «كنز الأنساب ومجمع الآداب» الذي قدم له الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، وقال عن مؤلفه انه «إلى كونه عالما أديب وشاعر من الطبقة العالية، وروائي ومحاضر، ومحدث، ومسامر من الطراز الرفيع، الذي يذكرنا بحماد وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وغيرهم من فحول العربية وأدبائها.

وكان الشيخ إبراهيم حمروش شيخ الأزهر الأسبق، وحافظ إبراهيم ومحمد الأسمر، ومحمد مصطفى حمام، وكامل كيلاني، من طبقة الرواة والمحدثين.

وهكذا نعرف أن العلامة الشيخ محمد الحقيل، طراز جليل متميز، من إعلامنا، وعلمائنا الذين تميزوا بكثرة الرواية، وضخامة المحصول من المعقول والمنقول، ومن الشعر والأدب واللغة والتاريخ والنسب والسير وغيرها».

ومنهجه في التأليف هو منهج الأسلاف من العلماء والأدباء، كالجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه وأبي الفرج الأصفهاني وأبي علي القالي، ومذهب الحقيل في الاستطراد هو مذهب الجاحظ، ويدافع أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في «البيان والتبيين» عن هذا المذهب بانه أجلب لنشاط السامع، وادعى لالتفاته، وكذلك يذهب الحقيل، فيقول في آخر كتابه : «وقد جعلنا من هذا الجزء فنونا، لأن القارىء ينشط إذا كان الكتاب متفننا، وفي ذلك نشر لبساط الانبساط ورغبة في استدعاء النشاط».

والجزء الأول من هذا الكتاب يعد موسوعة كبيرة في الأنساب العربية القديمة والحديثة والمعاصرة، أما الجزء الثاني فقد روى فيه المفاخرات التي حدثت بين العرب، وتحدث عن حروبهم وأيامهم.

وهو بذلك يتخذ مسار الشخصية العربية في الاهتمام بالأنساب والأيام التي حفظها العرب وتداولوها في مجالسهم وأسمارهم، وقد أشار النويري إلى أن الشخصية العربية قد اهتمت بالأنساب وفاخرت بها.

وكما كانت الأنساب هي وسيلة القبيلة في البحث عن هويتها وتأكيد ذاتها من خلال شجرة النسب، على حد تعبير الدكتور قاسم عبده قاسم، جاءت الأيام وسيلة لتأكيد هذه الهوية وتدعيم وجودها الحاضر من خلال ماضيها الحافل بالمآثر والبطولات . وأعتقد أن هذا المعنى هو الذي يكمن وراء العمل الكبير الذي يقدمه لنا الشيخ محمدالحقيل في هذا العصر سواء في هذين الكتابين أو في أعماله الأخرى التي قدمها للمكتبة العربية مثل «زهر الأدب في أنساب وأخبار العرب» «ورصيد القلم للشوارد والحكم».

• في أثر المتنبي حمل الشيخ عبد العزيز التويجري قلمه وأوراقه.. متتبعا الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس أكثر من نصف قرن من الزمان (أبو الطيب المتنبي).

ثم عاد الشيخ التويجري من رحلته الطويلة حاملا باقة شذية من خير ما استوقفه من زهر رياض أبي الطيب، متأملا ما فيها من حكمة عظيمة، وأدب راق، وقيم لا تزال ظلالها تعيش في عالم اليوم.

وفي هذا الكتاب «في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء» لم يحاول المؤلف أن يكون مفسرا لغويا ولا شارحا بيانيا، ولا ناقدا متعاليا، ولا محبا، ولا خصما حاقدا.. ولكنه أراد أن يكون قارئا متذوقا يعيش بوجدانه وفكره في شعر المتنبي ويتوغل في شعاب حسه، يقص اثر الفكرة، وتتبع همسات الخاطر، ويستشف صافي خبايا الوجدان.. يلقى أبا الطيب مادحا وهاجيا، متغزلا ورائيا، وشجاعا وباكيا، وحكيما صهرته نار التجارب.

لقد بعث المؤلف شاعرنا أبا الطيب المتنبي أعظم من كتب الشعر في العربية من قبره بعد أكثر من ألف عام.. ثم خرج به إلى البداوة بين جبال اليمامة وصحراء الدهناء في رحلة طال أمدها حتى قاربت على الخمسين عاما.. بعثه كي يحكي له تجربة الحياة عن هذه الدنيا وناسها ومظاهر الخير والحق فيها، وحياة الناس في هذه الأودية لم تغير منها تلك الحضارة الحديثة الزائفة.. واستمر المؤلف في اثر المتنبي يسمع منه التجربة ويناقشه في أرائه.. والمتنبي بكل ماله من تجارب في الحياة يقول رأيه في شؤون الدنيا والناس.. والمؤلف يلاحقه لكي يسجل كل أرائه.. حتى يقدمها إلى كل من لا يدري شيئا عن حياة أبائه وأجداده ويعيش فقط فيما تقدمه له هذه الحضارة .

والكتاب عبارة عن خمسين رسالة من المؤلف إلى المتنبي.. كل رسالة منها صدرها بقصيدة أو أبيات من شعر المتنبي الذي يتحدث فيه عن طبائع الناس سواء الخيرة أو الشريرة. ثم يجعل من كلمات المتنبي موضع الحوار بينهما. سواء اتفق معه أو اختلف. وقد اختلف كثيرا خاصة حين يحكم المتنبي على الناس من خلال النظرة التشاؤمية المعروفة عنه ويسيء الظن بهم.. فالمؤلف يجنح إلى التفاؤل. وإلى النظرة الخيرة للناس.. ولهذا فهو يحاول أن يهدىء من حدة المتنبي وتشاؤمه وأن يقنعه بالخير الموجود في نفوس الناس.

والمؤلف في آخر صفحة من الكتاب.. ينهي رسائله إلى المتنبي بشبه اعتذار لأنه ينهي رسائله إليه.. فهو مهما اختلف معه سيظل تلميذا بين يديه.. تلميذا لشعره وفلسفته.. يقول عبد العزيز التويجري :

«أبا الطيب ما مللت البقاء معك.. ولكن لا بد من الرحيل».

ويعتبر كتاب (في أثر المتنبي بين اليمامة والدهناء) من المؤلفات الأدبية ذات القيمة والوزن الثقافي، وهو يعبر عن مدى الإزدهار الفكري الذي تشهده المملكة العربية السعودية في هذه المرحلة. وهو بذلك جدير بأن يكون كتاب الموسم نظرا لجدته ونفاسته.

مصر

• صدر ديوان شعري جديد بعنوان (أغنيات العشق والثورة) وهو من تأليف الدكتور أحمد سيد محمد أستاذ الأدب العربي بجامعة أسيوط بمصر.. ويتضمن 41 قصيدة في الحب والوطنية.

وقد صدر للدكتور أحمد سيد محمد من قبل عدة كتب منها (المرأة في أدب العقاد) و (الشخصية المصرية في الأدبين الفاطمي والأيوبي) و «الوطنية في شعر رفاعة الطهطاوي».

• (الإنسان والنسيان) رواية جديدة أصدرها (السيد إبراهيم).

• (حتى تعود الابتسامة) ديوان شعر للدكتور كامل سعفان يتضمن ثمان وثلاثين قصيدة.

• (العزلة والمجتمع) تأليف نيكولاي برديائف وترجمة فؤاد كامل عبد العزيز ومراجعة علي أدهم.

• (أضواء وأصداء) ديوان شعر جديد لمحمد إبراهيم أبو سنة.

• (قوص في التاريخ الإسلامي) وقوص مدينة في صعيد مصر كانت معبر حجاج إفريقيا إلى الديار المقدسة من تأليف محمد عبده الحجاجي.

• (يارسول الله) من تأليف إبراهيم علي أبو الخشب.

• أصدرت مجلة (الهلال) عددا ممتازا بمناسبة الذكرى الخمسينية لوفاة الشاعرين العظيمين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم من أبحاث هذا العدد :

ـ القضية الهامة في ذكرى شوقي وحافظ لكمال النجمي رئيس تحرير الهلال.

ـ ماذا بقي من أمير الشعراء؟ لأنور الجندي.

ـ الشعر السياسي عند حافظ وشوقي لحافظ محمود.

ـ ذكريات عن شوقي لفتحي رضوان.

ـ مقدمة شوقي أهملها الدارسون والناشرون لفاروق شوشة.

ـ العذوبة والعذاب في شعر شوقي للدكتور نظمي لوقا.

ـ شوقي ودوره السياسي للدكتور السيد فهمي الشناوي.

ـ حافظ أشهر وهؤلاء أشعر لكمال النجمي.

ـ شوقي ورجال صنعوا التاريخ لأحمد زكي عبد الحليم.

ـ شاعر النيل في أوروبا.

ـ سطور من حياة حافظ.

ونشرت المجلة قصيدة لم تنشر من قبل لشوقي بعنوان «الله».

وقد احتفل في مصر بالذكرى الخمسينية لوفاة حافظ وشوقي ونظمت بالمناسبة عدة ندوات ومحاضرات وعروض أدبية تخليدا لذكرى الرائدين الكبيرين.

• «زوايا الحياة..» مجموعة قصصية تصور الحياة وكيف نعيشها بما فيها من سعادة وآلام للأديب رستم كيلاني.

• «الطاحونة...» مجموعة قصصية للأديب محمد عبد الله عيسى.

• «الحب طفلنا الضال...» مجموعة قصصية للأديبة عائشة أبو النور صدر لها من قبل «ربما تفهم يوما» مجموعة قصصية ورواية «سافر في دمي..».

ـ «أحلى أوقات العمر..» ديوان للشاعر للدكتور كمال نشأت.

• «خبز وحرية..» إضافة جديدة لتأكيد الشخصية الإسلامية في هذه المنطقة من العالم في محورين رئيسيين ، مناهضة الفقر، والتمسك بالعقيدة أمام مغريات المادة والحضارة الحديثة للباحث الدكتور إبراهيم الدسوقي أباظة.

• نوقشت بكلية اللغة العربية بالأزهر رسالة الدكتوراه المقدمة من الباحث أبو العباس رزق المدرس المساعد بجامعة الأزهر وموضوعها «التيار الإسلامي في أدب طه حسين» وقد أشرف على الرسالة د. عبد المنعم خفاجي وعضوية الدكاترة محمد كامل جمعه وعبد العليم حفني.

• ديوان شعر جديد صدر للشاعر عبد العليم القباني يضم إلى جانب قصائده ، «بطاقتين من شعر الأبوة» وهو الديوان العاشر للشاعر.

السودان

• صدرت مجلة جديدة نصف سنوية عن معهد الخرطوم الدولي للغة العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تحمل اسم (المجلة العربية للدراسات اللغوية).

صدر العدد الأول من السنة الأولى للمجلة العربية للدراسات اللغوية في أغسطس من هذا العام. وتنضم هذه المجلة لشقيقاتها من المجلات والدوريات التي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومعاهدها وأجهزتها المختلفة لتكون إحدى الأدوات في خدمة الثقافة واللغة العربية. وقد شارك في تحريره نخبة من علماء وأساتذة اللغة العربية بالمعاهد والجامعات العربية وكان من أبرز الدراسات التي حواها العدد الأول :

قضايا نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الخارج للدكتور محيي الدين صابر.

ـ مقدمة في علم تعليم اللغة العربية للدكتور نهاد الموسى.

ـ من حديث الجملة للدكتور جعفر ميرغني.

- استخدام التحويلات النحوية في دراسة اللغة العربية للدكتور الرشيد أبو بكر.
- تدريس اللهجة الفصحى للمتحدثين بالعربية الهجين في جنوب السودان للدكتور عشارى أحمد محمود.
- تحليل لغوي جديد للتداخل الصوتي في اكتساب وتعلم لغة أجنبية للدكتور رجاء توفيق نصر.
- ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية للدكتور داوود عبده.
- استخدام السبورة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها للدكتور علي القاسمي.
- البحث التربوي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها للدكتور أحمد المهدي عبد الحليم.
- ملف العدد ، الاجتماع التأسيسي لتخطيط التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية. للأستاذ أحمد عبد الحليم.

وتعتبر المجلة إضافة حقيقية للغة والثقافة العربية وتسد فراغا في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. كما أنها تساهم في إثراء البحوث اللغوية والدراسات التربوية في ميدان اللغة العربية. وجاءت الدراسات في هذا الجانب تحمل بجانب النظرية التجربة العملية والمعملية.

تونس

• صدرت في تونس مجلة جديدة بعنوان (الشعر) عن وزارة الشؤون الثقافية مديرها الأستاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافية ورئيس تحريرها الناقد نور الدين صمود ويتولى سكرتارية التحرير يوسف رزوقة وتتكون أسرة التحرير من الأساتذة ، جعفر ماجد الميداني بن صالح، علي عارف محيى الدين خريف، عبد العزيز قاسم، محمد الهادي الطرابلسي، محمد مصمولي.

العدد الأول من (الشعر) يتضمن موضوعات هامة منها:

- مسائل نظرية في جماليات الشعر.
- اليوت والبحر.
- أثر السياسة والذات في البناء الشعري.
- القافية ، أهي وسيلة تجميل أم وسيلة تكبيل.

نتمنى للزميلة الجديدة عمرا مديدا.

ونلاحظ أن عنوان المجلة ليس جديدا. ففي مصر تصدر مجلة باسم (الشعر)، يتولى رئاسة تحريرها الدكتور عبده بدوي وكانت تصدر في لبنان مجلة باسم (شعر)، ومع ذلك فهذا لا ينال من (الشعر) التونسية

الولايات المتحدة الأمريكية

• صدر في الأسواق الامريكية كتاب بعنوان (الفن كسلاح) بقلم المؤرخ الفرنسي روبرت فيليب وهو الكتاب الذي يوضح دور الفنون التخطيطية أي التصوير والزخرفة والكتابة والطباعة في السياسة.

يضم الكتاب الأساليب التي أتبعت والأفكار التي أوردها الفن السياسي خلال خمسة قرون. هذا الفن الذي تناول التهديدات والسخرية من القيادات وأصدر النشرات والملصقات مثل ملصق ، (بلدك يريدك) الذي كان فوق كل حائط في العالم خلال الحرب العالمية كذلك يوضح الكتاب عن طريق الفن النمو السياسي والاجتماعي للحضارة الغربية.

اليابان

• صدر في طوكيو كتاب جديد بعنوان (ترويض الآلام) من تأليف الأديب الياباني المعاصر (كوري كوبو).

الكتاب من النوع الرمزي حيث يصور فيه قصة حياة بطل من أبطال الحرب العالمية الثانية نجا من الموت لكن الحرب تركت عليه بصماتها حيث أصيب بعاهة في قدمه اليسرى.

ويعتبر النقاد هذا الكتاب من أجود الكتب الرمزية التي صدرت خلال عام 1982 ومن أشهر أعمال (كوبو) (العالم بين الحرب والسلم) و (زهور برية مستأنسة).

الكويت

•صدر حديثا الجزء الأول من المجلد الأول من «مجلة معهد المخطوطات العربية»، التي تصدر عن المعهد في الكويت، يرأس تحرير المجلة الدكتور خالد عبد الكريم جمعة، مدير المعهد، وهي تهتم بالتراث العربي من جوانبه المختلفة تحقيقا ودراسة، وفهرسة، وتعريفا بمخطوطاته وكتبه. وقد ضم العدد الأول مجموعة من التحقيقات والدراسات وهي ،

- نظرة في تحقيق الكتب (علوم اللغة والأدب) للدكتور أحمد مطلوب.
- إنشاء معهد قبل قرنين لتلقين فن الكتاب والتزويق والتجدول للدكتور عبد الهادي التازي.
- تقديم وتحليل لكتاب «جامع المبادىء والغايات» لأبي علي الحسن بن علي (أو عمر) المراكشي للدكتور محمد سويسي.
- دراسة وتعليق على كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» للزهراوي - الجزء الثلاثون للدكتور أحمد مختار منصور.
- الأشهب بن رميلة (شاعر أموي مغمور) - تحقيق ودراسة للدكتور نوري حمودي القيسي.
- قواطع الأدلة في الأصول لابن السمعاني - دراسة وتحقيق للمقدمة للدكتور محمد حسن هيتو.
- مجموع خطي نادر في الطب والصيدلة، للأستاذ أسامة النقشبندي.
- نقد كتاب «التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح» للدكتور أحمد مختار عمر.
- كتاب في علم الخواص للمدائني للدكتور سامي مكي العاني.
- ضوء جديد على زمن تأليف جمهرة أشعار العرب للدكتور سليمان الشطي.
- مصادر الباخرزي في كتابه «دمية القصر وعصرة أهل العصر» للدكتور محمود عبد الله الجادر.
- برنامج صلة الخلف بموصول السلف للدكتور محمد حجي.
- تقرير حول معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب.

أنهى الأستاذ الباحث اللغوي الشهير محمد خليفة التونسي، مراجعة الجزء العشرين من معجم «تاج العروس» للزبيدي، الذي يبدأ

من فصل القاف مع الطاء (ق ب ط) وينتهي بمادة (د هـ ق ع). ويعتبر معجم الزبيدي الذي يتوقع أن يصدر في نحو خمسين جزءا على نفقة وزارة الإعلام الكويتية، من أوسع المعاجم اللغوية المشهورة التي تشرح القاموس المحيط للفيروز آبادي. والمنهج العام الذي اتبعه المؤلف في المعجم هو وضع كلمات القاموس المحيط وشرحها بإضافات تدخل بينها. أي أنه شرح ممزوج بنص الكتاب الأصلي.

هذا وستتابع وزارة الإعلام الكويتية تحقيق المعجم، ومراجعته، ونشره بعد أن توقف بسبب وفاة الأستاذ عبد الستار أحمد فراج، الذي أشرف على المشروع الكبير لعدة سنوات، فصدر منه تسعة عشر جزءا، قام بتحقيقها ومراجعتها عدد من المتخصصين وهم :

- **الجزء الأول :** أ ب أ - ي ر ن أ (باب الهمزة) تحقيق عبد الستار فراج، مراجعة لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء .

- **الجزء الثاني :** أ ب ب - ر ي ب (باب الباء) تحقيق علي هلالي، مراجعة عبد الله العلايلي، وعبد الستار فراج.

- **الجزء الثالث :** ز أ ب - ق د ح ب، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مراجعة الدكتور ابراهيم السامرائي، وعبد الستار فراج.

- **الجزء الرابع :** ق ر ب - ص و ت، تحقيق محمد بهجة الأثري، وعبد الستار فراج.

- **الجزء الخامس :** ص غ ت - ر و ن ج، تحقيق مصطفى حجازي، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء السادس :** ز أ ج - ط ي ح، تحقيق الدكتور حسين نصار، مراجعة الدكتور جميل سعيد، وعبد الستار فراج.

• **الجزء السابع :** ف ت ح - ج ي د، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مراجعة لجنة فنية من الوزارة.

- **الجزء الثامن :** ح ت د - ف ي د، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء التاسع :** ق ت د - ي ز د ذ (آخر باب الدال) تحقيق عبد الستار فراج، مراجعة اللجنة الفنية.

- **الجزء العاشر :** أ ب ر - ح ر ر (باب الراء) تحقيق ابراهيم الترزي، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء الحادي عشر :** ح ز ب ر - س د ر، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء الثاني عشر :** س ر ر - ع ذ م هـ ر، تحقيق مصطفى حجازي، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء الثالث عشر :** ع ر ر - ق ي ر، تحقيق الدكتور حسين نصار، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء الرابع عشر :** ك أ ر - ي هـ ر (آخر باب الراء) تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة عبد الكريم العزباوي، وعبد الستار فراج.

- **الجزء الخامس عشر :** أ ب ز - ح ي س (باب الزاي وجزء من السين) تحقيق الترزي، وحجازي، والطحاوي، والعزباوي، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء السادس عشر :** خ ب س - ن ي س، تحقيق محمود محمد الطناحي، مراجعة مصطفى حجازي وعبد الستار فراج.

- **الجزء السابع عشر :** و ج س - ر هـ ص، تحقيق مصطفى حجازي، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء الثامن عشر :** ش ب ر ب ص - ف ي ض، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء التاسع عشر :** ق ب ض - ف و ط، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مراجعة عبد الستار فراج.

- **الجزء العشرون :** قب ط - د هـ ق ع، تحقيق عبد الكريم العزباوي، مراجعة محمد خليفة التونسي.

الدكتور محمد البهي في ذمة الله

•• توفى إلى رحمة الله تعالى المفكر الإسلامي الكبير الدكتور محمد البهي مؤلف كتاب (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) وعشرات المؤلفات الإسلامية التي تبرز مكانته العلمية الرفيعة ودوره كمفكر ساهم في تجديد الفكر الإسلامي بأوفى نصيب.

وكان المرحوم قد شغل منصب وزير الأوقاف في حكومة بلاده في مطلع الستينات واكتسب حضورا في الساحة العلمية بفضل دراساته وأبحاثه التي شملت فروع الثقافة الإسلامية.

رحمه الله، وإن لله وإنا إليه راجعون ••

فهرس العدد 225/1982

الافتتاحية :

رُؤيةٌ ثانيـةٌ

رأيتُ النّاسَ تشْقَى بالذّكاءْ وتَسْعَدُ بِالجهالةِ والغبَاءْ

وتحمَدُ ذا الجسَارةِ والرِّيَاءْ وَتَلْفُظُ ذا المُرُوءةِ والوفَاءْ

وَتَجْفُلُ إنْ رَأَتْ خُلُقاً كريماً تَمتيّاً، لَمْ يمَازِجْهُ الثَّرَاءْ

وَتزْهَدُ في المُسَالِمِ والبرِيءْ وَتُقْعِي عندَ مَنْ خلَعَ الحَيَاءْ

وتشْكُرُ من يُخادِعُ أوْ يُدَاجِي - عَلَى قِحَةٍ - وتُنْكِرُ مَنْ تَشَاءْ

فلاَ تعْتَبْ عَلَيْهَا أوْ تَلُمْهَا فَإِنّكَ سَوْفَ تُؤْذَى أوْ تُسَاءْ

فَإنْ سَاءَتْكَ أَخْلاَقٌ فَلاَ تَرْتَجِي مِنْهَا لِصَاحِبِهَا شِفَاءْ

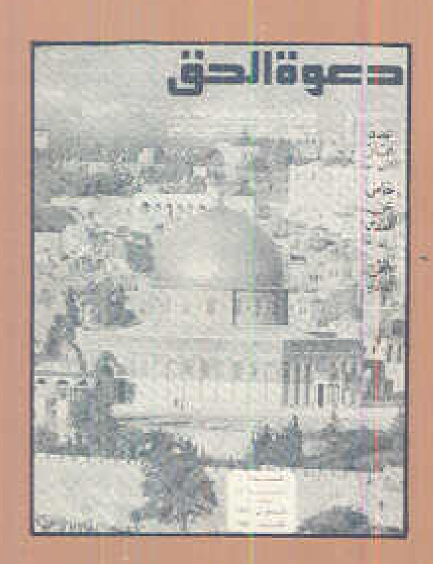
وَلكِنْ قُلْ لَهَا : عَفْواً وَمعْذِرَةً ، وَاطْلُبْ لَهَا طُولَ البَقَاءْ

الرباط : أحمد تسوكي

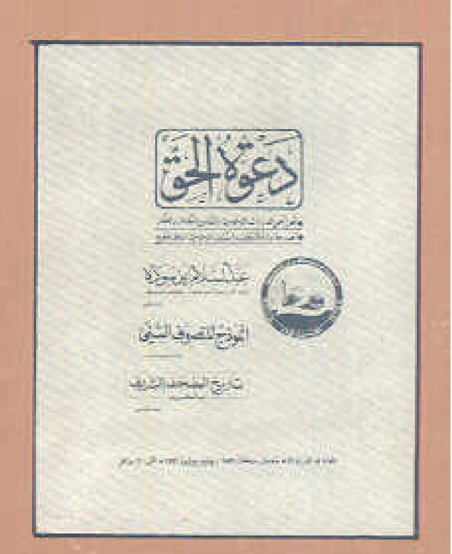


















صدر العدد الأول في يوليوز سنة 1957